
مذكرات
جاسوس
مروان منير
سما
للنشر والتوزيع



العنـــــــــوان: مذكرات جاسوس

المـؤلــــــف: مروان منير

إشراف عـــــام: نجلاء محمد رضا قاسم

الناشـــر



جمهورية مصر العربية

15 ش يوسف الجندي متفرع من شارع البستان - باب اللوق - القاهرة

تليفون: 24517300 202+ - 01271919100 2+

emil: samanasher@yahoo.com - publishing@sama-publishing.com

تصميم الغلاف:

إخراج داخلي : حمدي إدريس

التحرير والتدقيق اللغوي:

الترقيـــم الدولـــــي:

رقــــم الإيــــــداع:

الطبــعـــة الأولـــى:

مذكرات جاسوس

مروان منير



إلي كل من بذل الجهد والعرق ليســـاهم في رفعة هذا الوطن الغالي..

«مــصـــــــــر»

إلي كل من حارب بالسلاح.. بالقلم.. بالدعاء للزود والدفاع عن وطن يستحق أن يُبذل له النفيس والغالي..

تحيه لأرواح الشهداء في كل بقعه غالية من بقاع الوطن..

مروان منير



تحية خالصة من قلبي إليك أيها القاريء وأيتها القارئة...

لتخصيص وقت من يومك للمـــرور بعينك وقلبك وعقلك علي صفحات هذه الرواية... لكي تشاركني متعة الفكر والخيال لنرسم ســـويًا لوحة رائعة تزيد من متع الحياة واللحظات الجميلة التي نحتاجها وسط ضجيج يزداد يومًا بعد يوم..

شكرًا من قلبي..

مروان منير



شخصيـــات الروايـــة

«أبو زيد الإسناوي»

«زينب زوجة أبو زيد»

«حامد شقيق زينب»

«كاميليا إبنة أبو زيد»

«نديم إبن أبو زيد»

«لونا زوجة أبو زيد الإنجليزية»

«ميلاد صائغ»

«عم حجازي صاحب محل أحذية»

«فكري الصباغ ضابط بالجيش المصري»

«انطون (طوني) بقال يوناني»

«نارفارا زوجة طوني»

«لاريسا إبنة طوني»

«يوسي كاتسير ضابط بالجيش الإسرائيلي»

«إميليا صديقة يوسي كاتسير»

«صبري عبد الهادي ضابط مخابرات مصري»

«بهاء إسماعيل ضابط مخابرات مصري»

«شاؤول بن عامي ضابط مخابرات إسرائيلي»

«حاييم جرعون ضابط مخابرات إسرائيلي»

«شكري صديق نديم»



كل ما ورد في هذا العمل من أحداث وشخصيات لا يمت للواقع

بصلة، وما هو إلا من قدح زناد وفكر المؤلف..

حتي وإن دارت في مجريات أحداث تاريخية حقيقية..

مروان منير

سارت بخطوات بطيئة وهي تنظر ناحية اليمين وناحية اليسار إلي أن إستقر بها الحال وجلست علي مقعد بجوار النافذة.. داخل القطار المتجه إلي بورسعيد.. هبت نســـمة هواء تداعب وجهها الرقيق.. أخذت معه نفسًـــا طويلًا.. شهيقًا كم كانت تحتاجه قبل البدء إلي رحلة لا تعلم ماذا يخبـــيء لها القدر بين تفاصيل تلك الرحلة..

إنتبهت إلي صفارة طويلة معلناً بها إعطاء الإذن للقطار للتحرك ومغادرة محطة قطار سيدي جابر بالأسكندرية.. مروراً بعدة مدن ومحافظات حتي الوصول إلي محطته الأخيرة.. بورسعيد..

إنها كاميليا ذات العشرين عاماً.. جميلة.. بوجه جذاب يلحظه الناظر فيها..

فتحت حقيبة بها بعض الكتب والأودات الشـــخصية.. أخرجت كتابًا من الكتب الجامعية لتراجع بعض الدروس التي لم تستطع مدارستها في الأيام السابقة..

فهي تدرس بكلية الآداب.. قسم لغات شرقية وتحديدًا.. اللغة اليونانية واللغة العبرية.. والعربيـــة تحديدًا وقع إختيارها عليها نظرًا لكرهها الشديد لمن يتحدث تلك اللغة.. وعملًا بالمقولة التي معناها «إعرف عدوك»..

وإذا بعيناها تشـــردان وهي تنظر خلال النافذة لكنها لا تدرك ما تراه عيناها..

حيث قادها عقلها لتتذكر سنوات طويلة فائتة.. تعود إلي عشر سنوات مضت من عمرها.. تتذكر ما حدث وكأنه البارحة.. كل ركن في المكان.. كل كلمة وهمسة.. كل حركة..

هي الفتاة الصغيرة.. بوجه بريء وفســـتان بســـيط للغاية وشـــعرها الأســـود تجمع في ضفيرة واحدة مسدلة بطولها علي ظهرها .. والذكاء يعلوا وجهها الصغير..

تلعب في الشـــارع المقابـــل لبيتها مع أخيهـــا «نديم» الذي يصغرها بعامين وصديقه «شكري» وبعض الفتيات والفتيان من أبناء الحي.

وإذا بهم يســـمعون ضجيج وأصوات عالية رجت أركان الحي الصغير فى بور فـــؤاد وكأنه الزلزال.. صوت رج أركان الرصيف الذي يجلس عليه الأولاد وهم يلعبون السيجة بالحجارة الصغيرة.. في الليل الخافت تحت أضواء مصباح صغير..

نظر الصبية ناحية الصوت العالي القادم من المقهي الصغير في نهاية الشارع..

لم يدرك هؤلاء الصبية بالطبع إنها الفرحة الطاغية.. إنه النصر المعنوي والسياسي والإقتصادي علي من جثم بغشاوة علي صدر الأمة..

إنه كان البيان المذاع من الراديو القديم.. فوق رف خشبي في المقهي الصغير..

والذي كان مفاده ان مصر اعلنت تاميم قناه السويس لتصبح شركه مساهمة مصريه..

هذا ما قاله الرئيس جمال عبد الناصر عبر خطاب قوي للغايه هز أركان العالم اجمـــع وكأنها المطرقة التي هبطت على رؤوس الدول الاستعماريه آن ذاك..

وردت كلمات الى مســـامع الصبيه من الماره العائدين..من المقهى.. وكل اب ينـــادي على ابنه او ابنته ان يعود الى المنزل.. يكفي هذا لقد تاخر الوقت كثيـــرا كلمات وضحكات متناثره هنا وهناك تحدث حماسا ودفئا بين الرجال..

..أخيرًا....ضربه معلم....أيوه كده.. كفايه استعمار..

ولكن على النقيض.. قال بعض الرجال ربنا يســـتر من القادم اكيد مش يسكتوا «..قرار متهور وغير مدروس..»

لكن ظهر الفرح والسعاده على الغالبية..

سارت «كاميليا» و»نديم» خلف والدهما..»أبو زيد الاسناوي»..

إلي أن دخلا المنزل حيث استدارت كاميليا لتشير بالتحية الي «شكري» الذي انتظرها قبل العودة الي بيته الصغير» مع السلامة « صعدت كاميليا الدرج وهي تســـأل أباها..لماذا كل هذا الفرح.. ماذا حدث يا أبي..

لم يجيبها «أبو زيد» الذي كان أكثر الناس ســـعادة.. فقد كان اشد

الناس كرهًا للإنجليز من أي شخص آخر..

رغم أنه ظل لسنوات محســـوبًا علي المعسكر الإنجليزي وأنه أحد رجالهم..

.. الخادم الأمين.. كلب الإنجليز.. العميل..

كلها كلمات أطلقها الناس علي «أبو زيد» قبل عدة سنوات..

بالفعل.. عمل لدي المعسكر الإنجليزي.. أخلص لهم.. أعطاهم أفضل فترات شبابه..

جلس «أبو زيد» في الشرفة الخشبية ناظرًا إلي السماء.. أشعل سيجارة..

وراح يتذكر كل ما حدث له فـــي الماضي.. لم يعد يهرب من ماضيه.. لم يعد رافضًـــا للحديث أو تذكر كل ما مر به.. الإهانة.. الذل.. الطرد..

وكأن كلمـــات الرئيس عبد الناصر.. قـــد أعادت له بعضًا من الكرامة الملقاة تحت أقدام هؤلاء الأنجاس.. تأميم القناة هو القلم والصفعة التي رفعت رأس أبو زيد..

يذكر.. أنه ترك قريته بصعيد مصر بحثًا عن العمل في القاهرة كما فعل الكثير من أقرانه في البلـــد حيث هاجروا إلي القاهرة.. غابوا فيها لعدة سنوات ليعودوا بعدها بالأموال التي تكفي لشراء الأرض والبيت والزوجة..

ويصبحوا من الأعيان..

شـــد رحاله بصحبة جاره وصديقه «حامد» الذي ســـار إلي جواره..

قبل الفجر الـــى محطة القطار.. وقلبـــه يتمزق بين طموحه وأحلامه بالســـفر إلى القاهرة وتحقيق حلم المال والثراء.. وبين حبيبته «زينب» شقيقة «حامد» الذى كان يحبها في صمت يجعل عيناه تتراقص كلما وقع بصره عليها..

.. وصـــلا إلى محطة القطار.. بعد أن غـــادر القطار المحطة مسرعاً.. لم يســـتطعا اللحاق بالقطار... وما العمل الآن.. القطار القادم يصل في نفس الموعد.. السادســـة صباحاً ولكن في اليوم التالى.. بعد أربع وعشرون ساعة..

سارا نحو الطريق الزراعى السريع.. رفع كلاً منهما يده يشير إلى ســـيارة تقلهم.. وبعد فترة معاناة وقلق.. توقفت سيارة نقل ثقيلة.. تحمل أحجاراً.. وبعد نقاش مع السائق الذى أخبرهما أنه ذاهب إلى القاهرة بالفعل..

ركبا في الخلف مع الحجارة.. وســـارت العربة تشق طريقها ببطء إلى القاهرة.. إلى المجهول ذاته.. راحا كلاهما في ســـبات عميق بعد أن نالا قسطاً وفيراً من الأتربة والرياح تضرب رأسيهما..

اســـتيقظا على يد غليظة تنهرهما بشدة.. وصلنا.. ياللا.. انزلا هنا..

هبطا من صندوق السيارة الخلفى محملين بالأتربة والرمال.. وآثارالحجارة...

نظرا حولهما.. إنها الصحراء.. إنهـــا خاوية.. لا أثر لبيوت أو مبانى حولهما.

القاهـــرة.. مدينة كبيرة كما يســـمع قاطنـــى الجنوب.. إنها العاصمة..

أين هما الآن.. لم يجدا إنســـاناً واحداً ليســـألا عن هذا الفراغ الشاســـع الرهيب والشمس الحارقة موقد رووسهم وهم في حالة إعياء من أثر الطريـــق الطويل والغبار والأتربة.. ليس لديهما من الماء أو الطعام شيئاً..

سارا لمسافة بعيدة.. إلى أن اقتربا من طريق أسفلت تمر منه السيارات مسرعة.. وقد أصابهما الإعياء والوهن..

ســـقطا بجوار الطريق.. كم مر من الوقت عليهما.. الله وحده أعلم

توقفت أمامهما سيارة نقل.. نظرا سويا.. سيارة نقل ثانية.. !!

هبط منها عسكرى إنجليزى.. نظرا إليهما وتحدث إلى زميلة.. ما يفيد أنهمـــا لازالا على قيد الحياة.. دار نقاش وصوت عال بين العسكرى الانجليزى وزميله الذى بدا معترضاً على رأى العسكرى الأول الذى أراد أن يســـمح لهما بالركـــوب معهما نظراً لحالتهما الصحية السيئة..

ركبا في الصندوق الخلفى بمســـاعدة العسكرى الأول وسارت السيارة.. لكن مسرعة بعض الشىء مع غياب الشمس.. حيث حل المســاء وبعده الظلام إلى أن توقفت العربة أمام بوابة يحرسها عساكر إنجليز مسلحين...

دخلت الســـيارة إلى الداخل والتف بعض العساكر حول "أبو زيد" وحامد..

تلاشت الصورة شيئاً فشيئاً مع أصوات متداخلة تتحدث بلغة غريبة وغير مألوفة..

..كم مر من الوقت قبل أن يســـتيقظ "أبـــو زيد" ليجد أمامه قارورة مـــاء وطبق بداخله قطعة مـــن الجبن وبعض حبات من الزيتون وعدد من أرغفة الخبز...

نظر حوله مع شعاع من ضوء الشـــمس عابراً نافذة صغيرة وسط قماش خيمة صغيرة.. وممدد بجواره صديقه «حامد»...

ربت على كتفه بشـــده.. استيقظ حامد.. وبعد أن أطال النظر حوله..

حاول النهوض.. فلم يستطع من شدة الألم والأعياء الذى أصاب أغلب أعضاء جسده النحيل..

وقبـــل أن ينطق بكلمة.. دخل إلى الخيمة.. نفس العســـكرى الإنجليزى الذى انتشلهم من صحراء الطريق القاسية..

ابتسم لهما وأشار إلى الطعام أن يأكلا..

تناولا الطعام في نهم.. غير عابئين ماذا يأكلون.. أهو خبز أم جبن.. أم شيء آخر.. مرت دقائق شهدت عودة الحياة إلى أبدانهم.. وبدأ العقل في التركيز في المكان.. فيما حولهم..

إنهما في خيمة من القماش...

نظر حامد من الفتحة الصغيرة في الخيمة.. ليشـــلهد حركة عســـاكر وضباط بهيئة وملابس لا تبدو مصرية.. فهم أنهم من الجيش الإنجليزى...

يا آلهي.. كيف وصلنا إلي هنا.. وهل نحن ما زلنا داخل مصر أم خارجها.. بدأ الحديث بين أبو زيد وحامد في شد أطرافه.. إنتهي بخروجهما من الخيمة ليجدا من يدفعهما بقوة إلي الداخل.. قائلاً بلغة عربية ركيكة للغاية أنهم غير مســـموح لهم بمغادرة الخيمة حتي يأتي اليه الأذن بذلك..

مرت ساعة وقد دب الخوف والرعب في أبدانهما.. الإنجليز أعداء محتلون.. وهما مصريان.. فلابد وأن يقتلوهما.. او يضعوهما في السجن كأي أسير.. لكنهما ليسوا بأسري فهما لم يدخلا حرباً مع الإنجليز..

آخر مـــا تذكروه هو الصحراء القاحلة التي أحاطت بهم بعدما غادرا عربة النقل.. ظنًا منهما أنها القاهرة أو كذلك أخبرهما سائق الســـيارة النقل.. يا لها من بداية سيئة لهجرة الأهل والقرية بحثًا عن العمل وإدخار المال.. يـــا للعار والمهانة إذا علم أهل قريتهم انهما أســـيران في خيمة في معسكر الإنجليز.. مر الوقت بطيئًا..

حتي دخل إلي خيمتهما نفس العسكري الإنجليزي الذي إنتشلهما من الصحراء.. أخبرهما أنهما يستطيعان المغادرة..

وقد رتب لهما سيارة تقلهما إلي أقرب بلدة من بور فؤاد..

نظرا إلي بعضهما البعض قائلين سويًا.. «بور فؤاد» أين تقع هذه المدينة..

.. أجابهما إنها تابعة لبور سعيد علي قناة السويس..

وشدد عليهما القول أن هناك عمل لهما داخل الكامب الإنجليزى أو الأورنوس كما كان يطلق عليه هذه الأيام..

إذا أرادا العمل فليعودا ويسألا عليه شخصياً.. إسمه «روبرت»

غادرا ”أبو زيد“ وحامد ساحة المعسكر أو الكامب الإنجليزى أو الأورنوس فرحين كمن غادر الســـجن بعد سنوات طويلة من الحبس..

والأمر كله لم يتعدى يوم وليلـــة.. لكنها كانت أثقل يوم وليلة على قلب حامد.. وعلى العكس.. فقد أحب ”أبو زيد“ التعامل مع العسكرى الإنجليزى وكرمه الزائد في الأهتمام بهما وتقديم الطعام اليهما.. وعقد العزم على أن يعود في الغد للعمل كما وعدهما ذاك العسكرى أحمر الوجه «روبرت».

... إستطاعا بعد البحث والسؤال في الحصول على مسكن في بور فؤاد..

حجرة صغيرة في بدروم إحدى البنايات القديمة...

حل عليهما التعب مجدداً واستسلم كلاً منهما إلى النوم والأفكار تتلاعب برأســـيهما.. مع خيالات للأحداث التي مرت بهما منذ أن تركهما قطار القاهرة.. ليواجها مصيـــراً مختلفاً تماماً عما كان من الأمانـــى والأحلام.. بالعمل والعيش في القاهرة وأمنية النفس بزيارة الأولياء.. والدعاء لكل من حملهما أمانة الدعاء بمســـاجد أولياء الله الصالحين..

في صباح اليوم التالى.. هم حامد بالخروج للبحث عن عمل.. أي عمل في المدينـــة الصغيرة المجهولة لديها.. أيقظ "أبو زيد" من نومه.. ليصطحبه في رحلة البحث عن عمل..

لكنه فوجئ بـــرد غير متوقع من صديقه "أبو زيد".. وبعد أن أستفاق من دهشته.. دار بينهما حوار ونقاش ساخن للغاية..

حامد : ماذا تعنى أنك لست بحاجة في البحث عن عمل ؟

أبو زيد : نعم ولما أبحث وقد أوكل إلىّ عمل بالفعل..

حامد : أي عمل تتحدث عنه.. إياك تقصد العمل لدى الأعداء..

أبو زيد : إنهم ليسوا بأعداء.. من قدم لى المعروف والطعام.. فجميله فوق رأسى إلى أن أموت.. بالأضافة أننا نحتاج للعمل سريعاً.. فلم يتبق معى إلا قروش قليلة.. بعد أن دفعنا نقودنا في هذا المكان الخرب..

قالها وهو يتلفت حوله بنظرة يملؤها الأشمئزاز والقرف..

حامد : قـــل الحمد لله أننا وجدنا مأوى فـــي ظروفنا الصعبة هذه.. يجب أن تعلـــم أن الإنجليز هم أعداءنا.. يحتلون

أرضنا.. نهبوا وسرقوا خيراتنا طيلة عشرات السنين..
هل نسيت ما درسناه في كتاب الشيخ «عبد الحميد»..
هل نسيت دنشـــواى.. هل نسيت قتلهم للمصريين في كل حادثة.. إنهم أعداءنا.. ولن يستقطبونا ببعض قطع من الخبز والنوم على الأرض في خيمة من القماش..

إنهم مثل الشيطان.. يعطيك من حلو الكلام ويأسرك بالمعروف ويطالبك برد الجميل إلى أن تكون عبداً لديه.. فيهينك ويزيد في إهانتك.. ثم قبل أن يسلبك روحك يتبرأ منك وكأنه لايعرفك..

هم كذلك الإنجليز أو أي محتل.. ربما يحسن إليك لكنه ينتظر الثمن والرد الباهظ الذى يفوق طاقتك..

هل أنت على إستعداد لذلك يا "أبو زيد".. عد إلى عقلك..

أبو زيد : لا.. لن يحدث هذا.. إنه مجرد عمل أتقاضى عليه أجر مثل أي عمل لدى أي مقاول أو مصنع..

إســـتمر النقاش طويلاً بينهما.. غضب على إثرها حامد وترك الغرفة متخذاً طريقة لأكتشاف المدينة والسؤال والبحث عن عمل.. أي عمل حلال.. مع تذوقه لمرارة الحسرة والألم من موقف صديقه "أبو زيد"..

والذى شـــعر أنه قد وقع بينهما حدث جلل ربما يعكس صفو صداقتهما والمرارة الأخرى التي شـــعر بهـــا في حلقه هو بعده عن القاهـــرة وعدم قدرته على الوفاء بالوعـــد وزيارة أولياء الله الصالحين..

قابل «روبرت».. العســـكري الإنجليزي ”أبو زيد“ بالترحاب.. واصطحبه إلى المكان الذي ســـيعمل به.. وإذا به يعطيه بعض أدوات تنظيـــف الطـــرق مطالبًا أياه بالقيـــام بتنظيف طرقات المعسكر الضيقة.. وجمع القمامة.. شعر ”أبو زيد“ ببعض الإهانة وتكومت غضة في حلقـــه.. لكنه ابتلع ريقه وأجاب نفس المهانة محدثًا نفسه.. وماله.. دي فقط البداية وربما إذا اثبتت كفائة في العمل أن اترقى وانتقل إلى عمل أفضل..

اشـــتغل بجد شـــديد وفي آخر اليوم بدا عليه التعب.. ناوله «روبرت» بعضه النقود المعدنية.. راتبه أو يومية عن اليوم الأول..

فـــرح ”أبو زيد“ بالنقـــود واتخذ طريقة عائـــدًا إلى المجرة الصغيرة في بدروم العمارة اشـــترى بعض أرغفة الخبز وقطعًا من الجبن القديم.. وجد حامد جالس بالغرفة.. ناظرًا إلى السقف القديم المتهالـــك.. هم ”أبو زيد“ بإعداد الطعـــام.. وإذا بحامد يشـــكره ويرفض الأكل.. فســـأله ”أبو زيد“ إن كان وجد عملًا.. جارته الإجابة بالرفض..

حامد: بحثت كثيرًا لكن المدينـــة صغيرة ولا يوجد أي مكان شاغر لأي عمل

أبو زيد: ولا يهمك.. تعالى ناكل سوا وبكرة ربنا يفرجها..

حامد: من أين لك بهذا الطعام.. أهو من الأورنوســـي.. كامب الأنجاس

هكذا كان يطلق حامد على معسكر الإنجليز..

أبو زيد: لا.. إنه من مالي.. أول يومية اتقاضاها.. من أول يوم عمل ثم قص عليه "أبو زيد" ما كان من يوم الأول داخل الاورنوس. مما زاد من رفـــض حامد تناول طعام من راتب قادم من الأنجاس.. أورنوس والإنجليز الأوغاد..

وظل هكذا حامد على هذا الحال لمدة ثلاثة أيام متتالية رافضًا مشاركة "أبو زيد" طعامه.. كان لا يتناول إلا المياه من الصنبور.. حاول خلال الأيام الثلاثة اثناء "أبـــو زيد" عن العمل لدى هؤلاء الأعداء.. لكن دون فائـــدة.. إلى أن تلا عليه آية من القرآن كان قد درسها من كتّب الشـــيخ «عبدالحميد» محاولا تذكيره بشرح هذه الآية..

حامد»: هل تذكر يا "أبو زيد" شرح هذه الآية..

أبو زيد: أية آيه؟!

حامد: «بســم الله الرحمن الرحيم»

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

صدق الله العظيم

سورة إبراهيم «22»

بعد أن جاب «حامد» الأرض طولاً وعرضًا.. لجأ إلي المســـجد للصلاة والراحة قليلاً وإذا بيد تربت علي كتفه.. إنه شـــيخ وإمام

الجامع.. بعد أن بادله التحية عـــرف منه معاناته في البحث عن عمل..

القي الشـــيخ بالإطمئنان في قلب «حامد».. وطلب منه أن يمر عليه في الغد ربما يســـتطيع أن يساعده في الحصول علي عمل.. ثم قام بإعطاءه بعض الطعام..

عاد «حامد» ادراجه سائرًا ببطء إلي الحجرة..

تناول طعامه في نهم بعد أن ترك نصفه لأبو زيد.. ثم خُلد إلي النوم.. الذي لم يذُق طعمه منذ أيام..

وفي اليوم التالي.. توجه إلي المســـجد لصلاة الظهر.. إلتقي بالشيخ الذي بادره بالبشارة إنه تحدث مع مقاول أنفار يعمل في تمهيد الطرق أحيانًا أو فـــي ترميم المباني.. إتفق معه أن يذهب إليه ليتسلم العمل لديه..

بالفعل توجه «حامد» إلي المعلم «شـــندي» وتسلم عمله وسط مجموعة من العمال في تمهيد إحدي الطرق..

سِمع أبو زيد بعض كلمات الإعجاب من «روبرت» والثناء علي عمله.. وأن القادة في الأورنوس أو الكامب الإنجليزي ســـيعيدون بنظافة المكان..

وقرروا منحه زيادة في راتبه.. وقد يوكلون إليه ببعض الأعمال الإضافية.. وبالفعل طلبوا منه أن يقوم بحمل أقفاص الخضروات والفاكهة من عربة المتعهد بتوريد الخضروات واللحوم.. إلى داخل حجرة تخزين الطعام..

وبينما كان "أبو زيد" يحمل تلك الأقفاص.. لاحظ سوء جودة الخضروات وأنها مقاربة على التعفن..

تحـــدث مع «روبرت» بلغـــة عربية أحيانًـــا وبعض الكلمات الإنجليزية التي تعلمها خلال عملـــه.. أن هذا الخضار والفاكهة ليست طازجة وأنها بحالة ليست جيدة.. ثم عرض على روبرت أن يحضر إليه في الغد بعض من خضروات وفاكهة طازجة وبسعر أقل كي يرى الفرق بنفسه..

وبالفعـــل توجه "أبو زيـــد" في الصباح التالي إلى ســـوق الخضروات الجملة..

وابتاع بعض من الخضروات والفاكهة بعد أن تفحصها بنفسه.. وتوجه بها إلى الأورنوس.. وهناك ذهـــل «روبورت» ورفاقه من جودة تلك الخضروات وأســـعارها مما أثار غضبهم وخنقهم على ذاك المتعهد اللص الذي على مدار ســـنوات يأتي إليهم بالقديم وبسعر باهظ..

قام «روبرت» بطرد المتعهد بعد أن منع دفع أموال الشـــحنة الأخيرة..

ثـــم أوكل مهمة توريد الخضروات واللحـــوم والمواد الغذائية إلى "أبو زيد" ومن يومها صار "أبـــو زيد" هو المتعهد الجديد للاورنوس..

ولكن في الحجـــرة التي تجمعه وحامـــد.. ظلا كلاهما على موقفه.. لا يتشاركان الطعام.. يأبي «حامد» أن يأكل مما يجلب أبو

زيد.. معلقًا أنها نقود نجسة من مكان نجس.. المحتل الإنجليزي.. تحسنت أحوال "أبو زيد" المالية وظهرت عليه أثار النعمة..

فلبس الغالي من الملبس.. ووضع في أصبعه خاتمًا من الذهب الخالص..

بينما «حامد» يعود كل ليلة متعبًا.. بملابس رثة متسخة من أثر العمل في تمهيد الطرق بين الرمال والزلط والحجارة والأسمنت.. وفي أحد أيام الجمعة حيث يوم الإجازة لكلاهما..

جلس "أبو زيد" إلى جوار «حامد».. ليفتح له قلبه.. مصارحًا إياه باتخاذه القرار بالزواج.. وأنه منذ فترة كان يحلم بالزواج من شقيقته «زينب» بدا الاستغراب والاندهاش على وجه «حامد».. مع بعض الشعور بالغضب حامد: أختي أنا يا أبو زيد.. لماذا..؟

أبو زيد: إني أرغب في النسب منك وأرى في زينب مثالًا للأخلاق والزوجة التي أحلم بها..

حامد: لكن يا "أبو زيد" لا تؤاخذني فيما سأقوله.. أنت تعلم الخلاف فيما بيننا.. فلوسك ملوثة.. ولا أقبل على أختي أن تأكل من طعام مصدره نقود المحتل الإنجليزي..

أبو زيد: لا تكن قليل العقل.. أنني أعمل واتعب مقابل تلك الأموال.. ولا يهم أين أعمل أو من يعطيني أجري.. المهم أنني أبذل الجهد والعرق وربنا عالم بذلك..

حامد: لا تخدع نفسك بهذا الكلام يا أبو زيد.. لك الحرية في اتخاذ قرار الزواج لكن ليس من أختي «زينب» إنت فاهم يا "أبو

زيد“ اختـــر فتاة أخرى تخدعها بهـــذه الآراء، لكن أبي وأمي لن يوافقا على الارتباط بك.. عندما يعلما طبيعة مصدر رزقك..

لم يهتـــم ”أبو زيد“ كثيرًا بكلمات «حامد» القاســـية وموقفه الجامد تجاهه.. قام باستئجار منزلًا صغيرًا..

واستأذن الأورونس «روبرت» في الغياب لثلاثة أيام لأمر هام.. سافر عائدًا إلى قريته محملًا بالأموال والهدايا..

ومنذ أول يوم وطأت قدمه من القرية حتى انتشـــر خبر عودة ”أبـــو زيد“ أو المعلـــم ”أبو زيد“ في هيئة ثريـــة ومعه الأموال والهدايا..

زار عائلة «حامد».. وتقدم للزواج من «زينب» وقد أخبر أباها كذبا أن «حامد» يبارك هذه الزيجة وفي أشد حالات الفرح.. ولولا صعوبة الحصول على أجازة من عمله لكان صاحبه في تلك الرحلة إلى القرية ليشهد بنفسه زفافه على أخته «زينب».

أتم «أبو زيد» كل شـــئ فى ثلاثة أيام وعقد قرانه على «زينب» بعد أن قدم مبلغ كبير من المال لأبيها.. والعودة بها بصحبته إلى منزله الجديد فى بورفؤاد..

لم يصدق «حامد» ما فعله أبو زيد مـــن وراء ظهره.. يتزوج أخته رغم علمه برفضه لتلك الزيجة.. إنه يتعمد كسره وإهانته..

لا بد أن أقتله.. اكمل «حامد» طريقه إلى بيت «أبو زيد»..

لكن توقف قبل الصعود عندما سمع صوت «زينب» وهي تهلل فرحا من شرفة المنزل عند رؤيتها «حامد» قبيلل صعوده للمنزل..

توقف «حامد» للحظات.. لا يدري ماذا يفعل.. لقد عقد العزم على قتل «أبو زيد» لتأديبه.. لكن ما ذنب هذه المسكينة... «زينب» أختي الصغرى إنها البنت الوحيدة على ثلاث ذكور.. أنا أكبرهم..

لا تعلم بمعارضتي للزواج من هذا الحقير «أبو زيد»..صديقي الوفي..

إنها الأن زوجة.. لا أستطيع كسر خاطرها وقلبها.. إنها بريئة كم أن أبي أيضا بــــرئ.. لم يتخيل أحد أن أبو زيد خدعهم وادعى مباركتي للزواج به... يا إلهي.. ماذا أفعل الآن.. أ أقتل زوجها فى أيام الزواج الاولى..

هــــل أخبرها بما حدث و كذبــــة «أبو زيـــد».. أم ألقي عليها القنبلة الحارقة عندما تعلم بطبيعة عمل زوجها.. وأنه خادم لدى الأعداء.. هل أصارحها أنه يعمل مرمطون لدى الأورنوس.. الكامب الإنجليزي النجس..

إن ماله حرام وأنه عدو للبلد ومد يده للتحالف مع الشيطان..

صعد ببطئ.. قابلته «زينب» مسرعة على الدرج..

ألقت بنفســـها على صدره وبين أحضانــــه.. فقد كانت تحب «حامد» كثيرا لأنها لم تجد الحنان والإهتمام والتدليل إلا منه..

حاول «حامد» أن يحيطها بزراعيه.. وهي مرتمية على صدره.. لكن زراعاه لم تقويا على إحتضانها كما أن لســـانه عجز عن أن ينطق بكلمة مباركة بالزواج..مبروك.. كلمة بسيطة لكنها في تلك اللحظة صار لها ثقـــل ووزن يفوق الجبال، لم يعتد»حامد» على

إظهار عكس ما بداخله.. ودون أن يلحظ.. فرت دمعة من عيناه.. وهو الرجل الذي لم يبكي طوال حياته وفي أصعب الظروف وما أكثرها.. دمعة فرح.. أم حزن.. لا.. إنها دمعة قهر.. قهر الرجال..

أشـــد ما يمر به الرجل أن تكون يداه مكبلتان بالأغلال.. أغلال حبه لزينب والخوف عليها من إفساد فرحتها...

أغلال وضعها «أبو زيد».. بقلب قاس.. دون الإعتبار للصداقة بينهما أو حتى نخوة وشهامة أهل الجنوب..

طالما حلما «حامد» و «زينب» بيوم زفافها والفستان الأبيض البسيط الأنيق.. ناصع البياض.. والسعادة والفرحة تملأ القلوب..

لكن ما حدث هو اختطاف.. اقرب إلى الإغتصاب.. فقد طعنه« أبو زيد» بخنجره البارد دون رحمه.. وإذا به يخرج آهة من صدره ويصرخ بداخله وصوت مكتوم.. « لا يا أبو زيد.. كله إلا زينب.. «

توالت الدمعة بدمعة أخري وثالثة ورابعة..

وإذا بزينب تلحظ تساقط دمعة على وجهها..

زينب : مالك يا خوي..؟!!.. مالك؟!

حامد : «إنها.. إنها دموع فرحة بك..نعم فرحة بك»

ثم دفعها برفق وهبط الدرج عائدا إلى الشـــارع وسط نداءها إليه بالعودة..

آخر ما سمعه.. «أمي أرسلت لك بعض الزاد.. تعالى خذه»

ياه.. اه.. كم يشتاق حامد لطعام أمه.. وكم كان في أشد الحاجة لتذوق طعام تربي عليه طيلة حياته..

لكن هذا الطعام جاء فى التوقيت الخاطئ.. كيف له أن يتذوق طعام ولو كان من يد أمه.. وهو مكسور.. مقهور.. يشعر بالمرارة.. ولا يستطيع تغيير أو فعل أي شئ.. أخته هي نقطة ضعفه..

حتى وإن قتل «أبو زيد».. فالأذى سيقع أيضا على أخته.. نقطة ضعفه.. آه يا أمي.. كم أشتاق إلى طعامك.. هل يستطيع المذبوح أن يفتــــح فمه ويضع به قطعة من لحم دجاجة مذبوحة من قبل.. كيف لمذبوح أن يأكل الذبيح..

سار ببطئ لعدة خطوات إلى نهاية الشارع.. خارت قواه.. وجد الأضواء الخافتة فى الشارع تتراقص أمامه.. جلس على الرصيف.. أمام محل يبيع ويصلح الأحذية..

هرع إليه صاحب متجــــر الأحذئية.. «حجازي» الذي قاده إلى داخل المحل.. قدم إليه الماء.. وتركه يســــتريح وهو يراقب بقايا قطرات من دمع تخرج من مقلتاها دون أن يدري..

وضع له كوبا ساخنا من الشاي الثقيل.. ووضع عليه غطاءًا..

فى الوقت الذي تمدد فيه «حامد».. جسدا مكسورا.. مقيدا.. بلا حراك..فقد وضعا أبو زيد وزينب بذرتهما الأولى.. في أرض زينب الخصبة..

بذرة.. صارت بعد تسعة أشهر..فتاة جميلة.. «كاميليا»

لم تفهم «زينب» سبب اختفاء أخيها «حامد» وعدم زيارته لها طيلة فترة حملها.. وكلما تسأل عليه زوجها أبو زيد.. كان يخبرها أنه دائم التنقل والسفر مع المقاول..

لكن الحقيقـــة.. كانت غير ذلك.. فقـــد كان يزورها لكن من بعيد.. يقترب من البيت وعندما يشـــاهد أضواء النوافذ.. يعشـــر بالإطمئنان..

ثـــم يذهب لزيارة صديقه الجديد «حجـــازي» الذي حل محل الصديق القديم الخائن «أبو زيد»..أرسل الله إليه «حجازي» ليكون فيه العوض عن الخزلان الذي شـــعر به تجاه أبو زيد.. فقد كان «حجازي» كما يطلق عليه «ابن بلد» يتســـم بالشهامة والجدعنة بجانب حسن السمعة وحب الناس لأمانته.. كذلك الوطنية الشديدة التي يتمتع بها وكم الغضب والكره الذي كان بداخله تجاه المحتل الإنجليزي.. لم تكن «زينب» تعلم عن طبيعة عمل زوجها أكثر مما أخبرها به أثناء اصطحابها من البلدة إلى بورتوفيق.. حيث أخبرها أنه متعهد توريدات مواد غذائية إلى الجيش.. فقد ظنت أنه يقصد الجيش المصرري.. لم تكن تعلم

تدري أو يقترب من مخيلتها أنه يعمل لدي الجيش الإنجليزي المحتل..

وكانت هذه هي الخدعة الثانية بعد خدعتها الأولي الكبري حين أخبروها أهلها أن «حامد» يبارك زواجهما..

وكان هذا أيضًا سر عدم زيارة «حامد» لأخته فقد كان غاضبًا وعاتبًا عليها..

كيـــف لها تقبل العيش مع رجل خائـــن.. يعمل لدي الأعداء.. من يقبل أن يبيع وطنه.. فليس له أي ولاء أو إنتماء لأي شـــيء إلا النقود..

كيف لها أن تأمن علي نفسها مع هذا الوغد.. فمن يخون مرة.. يخون ألف مرة..

كيف لها تقبل هذا الأمر.. كان لا بد وأن ترفض.. تثور.. تمتنع عن أكل طعام نجس برائحة المحتل الإنجليزي..

وكان «حامد» بريئًا من قبل من تهمة مباركة الزواج..

كانت «زينب» أيضًا بريئة من تهمة علمها بطبيعة عمل زوجها «أبو زيد»..

رجل فاسد واحد إستطاع بكذبتين أن يفسد أجواء أسرة بأكملها وينشر السم في قلب كل منهم..

"زينب» تشعر أن أخاها تغير منذ تركه القرية.. وصار لا يهتم بها وهي لا تجد ســـبيلًا لهذا وكذلك حامد شعر أن زينب تم غسل مخها.. وصارت تسير وراء أبو زيد.. حتى فى أكل الحرام..

وكانت الســـلوى الوحيدة لحامد.. هو الفضفضة مع الصديق الوفي الوحيد «حجازي» الذي كان يبذل جهداء لتصفية الأجواء.. وكان يـــرى الأمور من زاوية أخرى.. لم يكن يلقي باللوم على أبو زيد.. وكان يصرخ دائما..

حجازي : «لولا وجود المحتل الإنجليزي الجاثم فوق صدر الأمة منذ عشرات السنين.. الناهب لثرواتها والسارق لخيراتها.. لما كان هناك خونة أو خيانة.. أو بابـــا مفتوحا يدخل منه أمثال أبو زيد بضعفهم وحبهم للمال..

لو لم يكـــن هناك محتل.. لم يكن هنـــاك خونة..حيث يصبح الناس متاسوون في الإحساس بالوطنية..

أعلم أن «أبو زيد» أخطأ، وكان لابد وأن يرفض ويكره وجودهم.. لا أن يرتمي بين أحضانهم.. لكن أعود لأكرر أن وجود المحتل هو سبب كل الفســـاد.. ولا بد من الخلاص منه أيا كان الثمن أرواحنا وممتلكاتنا فداء للوطن وثمن بسيط للتخلص منهم..

آن الأوان أن ينعم المصريين بخير بلدهم دون أن يقاســـمهم فيها محتل.. ينعش اقتصاد بلده البعيدة على حســـاب اقتصادنا وازدهارنا.

اســـتمع «حامد «.. بإهتمام .. وقد خففت كلمات «حجازى « موجات الغضب العارمة داخله.. وكأنهـــا قطعة ثلج فوق حديد ساخن.. لن تطول برودتها طويلاً سرعان ما تتلاشى أمام سخونة الحديد..

لم يكن القدر رحيماً بقلب «حامد» وكأن الضربات عقدت عقدً موثقاً على زيادة الضربات ولكمات اليد يوماً بعد يوم..

فقد علم أن أخته «زينب» وضعـــت مولودها الأول.. إنها فتاة جميلة.. وأسموها «كاميليا»..

فقد حُرم من رؤية من جعلته يحصل على لقب «خال».. حرمان تلو الآخر.. حرمان من زفاف أخته.. حرمان من طعام أمه وريحة الحبايب..

والآن حرمان من حمل وتقبيل أول مولودة لأخته الوحيدة..

ما أقسى القدر !!

انتفض واســـتفاق على من يسحب كرسى ليجلس بجواره فى المقهى الوحيد في الشارع.. إنه الصديق الجديد «حجازى» الذى طلب من «حامد» أن يأتي معه إلى محل الأحذية.. فهو يريده في أمر هام..

سار خلفه.. دخلا المحل سوياً.. فقد كان محلاً واسعاً.. مقسم إلى قسمين..

القســـم الأمامى.. محل لبيع الأحذية الرجالى فقط.. والقسم الخلفى.. ورشة تصنيع وإصلاح الأحذية..

دخلا معاً إلى الورشـــة في الداخل بعدمـــا القوا التحية على العامل في القسم الأمامى.

المتجر..

حجازى :.. اسمع ياحامد.. نحن الآن نعرف بعض لمدة تفوق العام.. وهـــذا وقتاً كافياً ليعرف أحدنا الآخر.. ويشـــهد الله أنى وجدت فيك الإنســـان والصديق المخلـــص الصالح.. الغيور على بلده.. المحب لهذا الوطن.. وهذا هو أهم شيء مشترك بيننا.. لذا فقد وقع الإختيار عليك..

حامد :.. أشكرك.. أنا أيضاً أبادلك نفس الشعور وأكثر.. فلقد أرسلك الله ووضعك في طريقى في الوقت المناسب.. والذى كان يوجه لى برسالة.. معناها أنك فقدت صديقاً.. فبدلك الله بصديق خيراً منه.. وهذا الجزاء يشـــعرنى بعدل الســـماء.. فيقل غضبى وتهدأ ثورتى..

لقـــد تحملتنى كثيراً وكنت ســـبباً كبيراً في شـــفاء جروحى ومواساتى.. لكن ماذا تقصد بـــ وقع علىّ الإختيار ؟!!..

حجازى :.. اســـمع يا حامد.. انت تعلم أن هذا الوطن الغالى يحمل فوق بعض أجزاء منه محتل غاصب.. يلوث تراب هذا البلد الطاهـــر.. ونحن لا نكون رجالاً حتى نطردهم ونعيدهم إلى حيث أتوا..

.. ولن يهنأ لنا عين حتى يتحقق المراد.. الجلاء عن بلدنا..

ولقد رأيت فيك خير الرجال لتشـــاركنا هذا الهدف.. وبعد أخذ المشورة والرأى.. فقد وافق أعضاء التنظيم على إنضمامك إلينا..

حامد :.. تنظيم.. ؟ ! ماذا تقصد.. أنا لا أفهم شيئاً..

حجازى :.. إنه تنظيم سرى ولكن بعلم قادة الجيش المصرى.. ومعاونتـــه بالتدريب والســـلاح.. يقوم علـــى مقاومة الاحتلال والتخلص من كل عسكرى انجليزى ظن أنه يرتع في هذا البلد كما يحلو له..

لا.. هيهات لن يهنأ يوماً واحداً.. وسنتخلص منهم كلما حانت لنا الفرصة.. وبالفعل فقد قمنا بعـــدة عمليات.. ربما وصل إلى مسامعك بعضاً من حوادث إختفاء أو قتل عدة من الجنود الإنجليز..

حامد : « نعم.. ســـمعت.. إذن أنتم وراء تلك الحوادث.. عفارم عليكم.. بارك الله في رجال أمثالكم.. أنا معكم.. لعلى أجد في هذا العمل بعضاً من رد الكرامة والأخذ بالثأر من أسياد "أبو زيد" ».

قـــام «حجازى» إلى بعـــض الرفوف علـــى الحائط الجانبى للورشـــة.. أزاح بعض علب الأحذية الكرتونية وأدار مقبضاً.. فتح على إثره باباً صغيراً في الحائط.. دخل منه وتبعه «حامد»..

يهبطا ثلاث درجات.. خمسةً من الرجال مجتمعين حول دائرة مستديرة.

ودخان السجائر يملأ المكان..

بدأ التعارف بين الرجال الخمسة.. وحامد.. حيث كان الرابط بينهم هو «حجازى» وبذلك صار عددهم سبعة رجال..

وبدأ النقاش ووضع الخطط والخرائط بعد أن أقســـم «حامد» على المصحف.. قسم الولاء.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

بينما كان "أبو زيد" منهمكاً في تفريـــغ العربة الكارو التي يحمل داخل صندوقها الخشبى بكل المواد التموينية..

التقت عيناه بعينان زرقاوتان لفتاة شقراء... واقفة في شرفة مبنى خشبى قديم تســـمر مكانه.. فإذا بها تبتسم.. وكأن الدنيا قد أشـــرقت وشمساً أخرى أنارت السماء بجوار الشمس الحالية.. وعيناها ترسل خيوطاً ذهبية جديدة..

توقف عن العمل وأطال النظر مع خفقان قلبه بشده..

زادت إبتسامتها بأشارة من أصابعها.. إشارة تحية..

نظر خلفه.. ثم حوله.. لمن هذه الإشارة.. كان وحده بالمكان.. كان أقرب عسكرى إنجليزى على بعد أمتار عديدة منه..

بادلها الإبتســـام.. فإذا بها تقطف زهـــرة من قصرية زهور بالشـــرفة.. ثم تلقيها إليه.. ينظر حوله ثانية.. ثم يشير بإصبعه إلى صدره

«أنا !!»

أومأت برأسها..

التقط الزهرة الحمراء من على الأرض.. وضعها على أنفه وبادل الفتاة الإبتسام.. وظل هكذا حتى سمع صوت يأتي من خلفه.. إنه

« روبرت» يطلب منه السرعة في إنزال المواد التموينية وتخزينها في مكانها المخصص في المخزن..

إنتفض وواصل العمل وبعد دقيقة.. نظر ثانية إلى الشـــرفة.. كانت خاويـــة.. أين الفتاة.. أين الشـــمس الجديـــدة.. العينان الزرقاوتان.. الإبتسامة الساحرة.. أين الشعاع الخارق الواصل إلى قلبه..

لم يتوقف قلبه عن الخفقان رغم ســـرعة العمل.. وعقله يكاد يجن.. أين هي.. هل يتخيل.. أنها التهيؤات والخيالات..

وإذا به ينظر إلـــى الزهرة التي مازالت فـــي يده رغم حمله لصناديق الخضروات والفاكهة والمواد التموينية..

وضعها على أنفه ثانية وأخذ شهيقاً ونفساً عميقاً للغاية وكأنه يتنفس نسمات الجنة..

نفس نفس.. ونسى زوجته « زينب « وابنته الصغيرة «كاميليا»..

وإذا به يجرى خلف «روبرت» بالسؤال.. وأشار إلى الشرفة..

«من يقطن هذه الشرفة»

وإذا بالجدية ترتســـم على وجه «روبرت» وأجابه وكأنه يؤدى التحية العسكرية إنه

"Major Smith" إنه الماجور «سميث» قائد المعسكر..

ســـقط في يد "أبو زيد".. وأخذ يردد.. قائد المعسكر.. قائد الكامب.. هل هـــي زوجته.. من هي وماذا تفعل هنا.. لم يعتاد أن

يرى أي أثر لأمرأة أو أنثى في هذا المكان.. إنه ثكنة عسكرية.. أي مكان للجيش والجيش يعنى الرجال.. الجنود والضباط والقادة..

لا مكان للنســـاء هنا.. فماذا تفعل هـــذه الفتاة.. ربما خادمة لديه.. لكن الخدمة هنا للرجال حتى ولو كانت أسوأ وأردىء أنواع الخدمة..

ســـار بخطوات ثقيلة وبطيئة وبين كل لحظة وأخرى يسترق النظر خلســـة خلفه إلى الشرفة... وقبل أن يغادر بوابة المعسكر ومع آخر طلة ونظـــرة فإذا بها تخرج إلى الشـــرفة مرة أخرى بلباسها الوردى والأبيض..

إنها الشمس تســـطع ثانياً بعد أن إختفت.. عاد أدراجه داخل المعسكر متعللاً لحراس البوابة أنه نسى شيئاً بالداخل..

وظل ناظراً إليها تشـــير إليه مع نفس الإبتســـامة.. ليبادلها الإشارة

مع ابتســـامة تحولت إلي ضحكة بفعل خفقات وضربات قلب الشاب..

قاد عربة الكارو.. عائداً إلي بيته.. ظل واجماً لا يسمع ما تقوله «زينب» ولا يســـمع بكاء الصغيرة «كاميليا» والذي طالما ازعجه واشتكي منه..

لكنه لم يسمع إلا صوت العصافير والطيور البعيدة.. ومازالت الزهرة في يده رغم أنها صارت في حالة يرثي لها بعد أن اختلطت بعرق يده المتسخة دائمًا..

ظل يشتم رائحتها ويقربها من أنفه ويقبلها وكأنه مقبل علي التهامها وابتلاعها في فمه..

مرت الأيام.. اليوم تلو الآخر.. حيث هبطت الجميلة الشـــقراء من شرفتها العالية إلي أرض الوضيع «أبو زيد» هكذا تميل بعض الفتيات إلي النقيض تمل الواحدة.. من الرجال من بني جنســـها وتشعر بالميل تجاه المختلف..

فتبحث إحداهن عن الرجل الأسمر لا الأشقر.. القوي.. الخشن.. بلغة مختلفة وثقافة مختلفة.. وهـــذا ما أعجبها في أبو زيد رغم حقارته ورثة ملابسه ورائحته الغير محببه للنفس..

إنها «لونا» ذات التسعة عشر عامًا إبنة قائد المعسكر.. «ماجور سميث»

لم يصدق «أبو زيد» ما سمعه..إبنة قائد المعسكر الإنجليزي.. معجبة بي أنا..

أنا أبو زيد..

يا للطامة الكبرى.. وماذا عن أباهـــا.. ولكن إنهم من الجنس الآخر.. الإنجليز.. الذين لا يعرفـــون الغيرة أو النخوة مثلنا نحن الشرقيون..

وفى اليوم التالى.. كان يوماً أســـوداً على المعسكر الإنجليزى بأكمله.. حيث دخلـــت عربة من عربات الجيـــش حاملة جندي إنجليزى مقتولاً بعدة طعنات في صدره ورقبته وبطنه..

حالة من الغضب تملكت مــــن الجميع.. وبعد أن فهمت «لونا» ما حدث.. مقتل جندي إنجليزى على يد بعض المصريين.. طلبت من ”أبو زيد“ أن يغادر المعسكر فوراً كى لا تنصب اللعنات فوق رأسه.. ويرى مالا يحب..

حتى وإن كان يعمـــل لدى الكامب الإنجليـــزى إلا أنه مازال مصرياً.. فيصب عليه الجميع اللعنات..

وبالفعل.. غادر ”أبو زيد“ مســـرعاً.. وإنطلق بعربته الكارو وهو بين خفقان قلبه الذى أحب «لونا» وبين حزنه على ســـرعة المغادرة.. بســـبب مقتل جندي إنجليزى.. والذى لم يكن يعرفه بالطبع.. أن مجموعة «حجازى» و«حامد» هم من قاموا بعمل فخ للجندى الإنجليزى وقتله.

وضع «حامد» رأسه على وسادته مبتسماً.. في أقصى درجات السعادة.. يشد عنقه للأعلى وكأنه يريد أن يرفع رأسه مرة أخرى بعد أن كان مطقطقاً تلك الرأس لأكثر من عام.. منذ اليوم المشؤم.. يوم قدوم ”أبو زيد“ ومعه أخته أو زوجته..

جزء من جرحه إلتئم بمقتـــل ذاك الجندي الإنجليزي الكريه.. الغير مرغوب في وجوده في شـــوارعنا وأزقتنا.. كان يســـدد له الطعنات وهو يتخيل «أبو زيد» أمامه.. وكأنه ينتقم من «أبو زيد» ويثأر لنفسه وأخته ويغسل عار الخداع والكذب الذى مارسه «أبو زيد» ومازال يمارســـه على تلك المسكينة «زينب» التي لا تعرف

شـــيئاً عن حقيقة ما حدث حتى وبعد أن أنجبت له الطفلة الأولى «كاميليا».

شعر «حجازى» بما يمر به «حامد».. لذا تركه يسدد اللكمات والطعنات للجندى الإنجليزى.. وكأنه يسمع صوت صرخات عقله..

ظل «حامد» مبتسماً.. ثم قال بصوت خافت.. الأول.. واستسلم بعدها لنوم عميق..

انتشـــرت فرق دورية من عســـاكر الإنجليز في شوارع البلدة الصغيـــرة محاولة حل لغز مقتل زميلهم والقبض على الجانى أو الجناة.. لكن مرت ثلاثة أيام دون جدوى..

كان في هذه الأثناء.. وفى مـــكان بعيد عن العمران.. الرجال الســـبعة يتدربون على فنون القتال وعلى إستعمال السلاح.. وقد أظهر «حامد» براعـــة فائقة في إجادة إصابـــة الأهداف الثابتة والمتحركة.

وكان «حجازي» هـــو الرابط أو همزة الوصـــل بين الجيش المصري والرجال السبعة..

وقد إســـتطاعوا في فترة وجيزة تنفيذ عـــدة عمليات أرهبت الجنود الإنجليز..

لدرجة إنهم إمتنعـــوا عن الخروج من المعســـكر إلا نادرًا.. ولم يجوبوا الشـــوارع بكل غرور وغطرسة كما كانوا يفعلون في السابق..

إزداد تعلق «أبو زيد» بـ «لونا» الشـــقراء الإنجليزية الجميلة.. إبنة القائد.. وهذا ما كان يخيف «أبو زيد»..

تعددت لقاءاتهـــم وإنتقلت من مرحلة اللقاء والحديث وتلاعب الأيادي.. إلي أكثر من ذلـــك.. حيث وقع المحظور.. داخل حجرة صغيرة في مخزن المواد التموينية..

عاد «أبو زيد» من تلك الليلة وهو منتشـــي من السعادة.. ولم يقرب أو يتحدث إلي «زينب» لأيام.. وشـــعرت هي بذلك لكنها من طول صبرها كانت تجد له الأعذار الواحدًا تلو الآخر.. كما أوصتها أمها قبل مغادرة البلدة..

«الطاعة والصبر والإبتسامة» إنها كلمات من ذهب.. لها مفعول الســـحر في إســـتمرار الحياة رغم الصعاب والمنغصات.. هكذا تذكرت «زينب» كلمات أمها التي لم تنل أي قسط من التعليم لكن الحياة والمجتمع المحافظ.. علمها أفضل تعليم.

وبعد أن أعدت لأبو زيد طعام العشاء.. أشعلت بعض من قطع بخور جاوي.. وأشعلته فوق قطعة من فحم.. ودارت به فوق رأس «أبو زيد» وهي تتمتم

ببعض كلمات وأذكار وآيات..

ولم يكن لهذا البخور أو التعويذات أي تأثير على «أبو زيد» فقد لازال في حالة النشوة التي تذوقها لأول مرة ويبدوا أنه لن يسلاها بعد الآن..

تعددت لقاءات «أبو زيد» و«لونا» الإنجليزية في ثوبها الجديد.. لقاءات حجرة مخزن المواد التموينية.. وتعددة معه جرعات العسل التي يشـــربها «أبو زيد» في كل مرة وازدادت «لونا» دلالًا وجمالًا في كل مرة.. مما ســـلب عقل «أبو زيد» ولم تفلح كل المحاولات التي تبذلها «زينب» من أصناف الطعام والبخور الجاوي..

والحناء التي ترسم بها يديها.. فقد صار «أبو زيد» أبعد عنها من أي وقت مضى..

وأبعد عن إبنته «كاميليا» التي لم يلاعبها أو حتى يحملها كما كان يفعل في السابق وصار موعد عودته إلى المنزل مساء يتأخر كل يوم ســـاعة أو أكثر إلى أن صار يدخل البيت مع آذان الفجر.. وخيوط النهار الأولى..

مرت الأيام.. و «أبو زيد» يشـــرب من عسل «لونا» التي ظهرت علـــى بطنها بوادر حمل انتفخت بطنها قليـــلًا لكن «أبو زيد» لم يلحظ هذا لانشغاله بخفقان قلبه وهي نفس الأوقات هذه ازدادت عمليات فشـــل الجنود الإنجليز.. وارتفعت هامـــة «حامد» أكثر وأكثر.. لدرجة أنه نسي كل إساءات أبو زيد..

والذي لم يعرفه «حامد» عـــن غرق «أبو زيد» في حب «لونا»، إلى أن اختفت «لونا» لمدة أسبوعين..

وكاد عقل «أبو زيد» أن يطير من مكانه.. ينظر إلى الشـــرفة يوميًا.. في كل لحظة..

تمضي أوقات الليل فـــي الحجرة.. منتظرًا قدوم «لونا».. لكن دون جدوى.. لم يكن «أبو زيد» يـــدري بأي حال من الأحوال أن هذه الحجرة التي شـــهدت أجمل لحظات عمره.. قطرات العسل.. ستتحول لتصبح شاهدة على أسوأ وأسود أيام حياته.. ففي إحدى الممرات وهو معلق بصره بالشرفة على يلمح «لونا»..

ربما هي غاضبة منه في شـــيء.. لا.. إنه يعاملها بكل حنان ودلال وهـــي تبدو ســـعيدة بين ذراعيه.. إذن فلمـــاذا هذا البعد والاختفاء دون تبرير..

لـــم يكن يعلم معاناة «لونا» مع الحمـــل.. فقد كانت في حالة صحية صعبة..

والأصعب هو الحالة النفسية لعدم قدرتها للخروج إلى الشرفة أو لقـــاء "أبو زيد" هذا بجانب المجهود الكبير الذي تبذله لإخفاء حقيقة حملها وانتفاخ بطنها بعض الشيء..

وفي هذه المرة تحديدًا التي رفع رأسه لأعلى.. إذا بضربة قوية من رجل يقف خلف "أبو زيد" على رأســـه.. يا إلهي.. نظر "أبو زيد" بغضب.. فإذا هو وجها لوجه أما قائد المعسكر.. «الماجور سميث»..

لم يحسب حساب هذه اللحظة التي لابد قادمة لا محالة.. وقع القفا الذي تلقاه "أبو زيد" موقع الإهانة في نفسه.. رفع صوته..

وإذا به يتلقى الضربـــة الثانية.. والتف حوله عدد من الجنود الإنجليز..

اكالوا له الضربات الواحدة تلو الأخرى.. إلى أن انفجرت الدماء من أماكن كثيرة من وجهه ورأسه..

ثم سحبوه يحلا علي الارض إلى الحجرة الداخلية، ليسجن في مخزن المواد التموينية.. نفـــس الحجرة، نعم هي نفس الحجرة التي شهدت عسل الحب.. ملقى بها على الأرض ليتذوق حنضلها..

وآخر ما سمعه هو كلمات من «الماجور سميث»..

« لا تستحق حتى أن تلقى في حجرات السجن في المعسكر.. شـــرف لن تناله أيها الحقير.. فهو مخصـــص للجنود الإنجليز كعقوبة لمن يخالف التعليمات.. ثلاثة حجرات خاوية.. زنازين.. معدة كسجن جزئي»..

وبعد عدة ساعات فُتح باب الحجرة.. وضع الجنود القليل من الطعام على الأرض ثم أمســـكوا "أبو زيد" وكالوا له اللكمات.. ثم ألقوه على الأرض مرة أخرى..

.. وفي اليوم التالي نفس الحال..

أراد» الماجور ســـكوت» تجهيز مكانًا فـــي إحدى الميادين والساحات في بور فؤاد لتعليق وجلد هذا الحقير "أبو زيد" أمام أعين المصريين ليكون عبرة لهم..

كيف يتجرأ على أبنة قائد المعســـكر.. الذي أحسن إليه وأوكل إليه مهمة إمداد المعســـكر بالمواد التموينيـــة وأجزل له العطاء والمال..

أشار إليه بعض أعوانه أن هذا التصرف سيثير غضب المصريين وإنه لا يجب أن يستهين بهم.. ثم ذكره ببعض العمليات العدائية وقتلهم للجنود الإنجليز وذكره أيضًا بمشـــهد وصول الجثث إلى المعســـكر.. بدا الاقتناع على وجه «الماجور ســـميث».. ثم أمر بتجهيز العامود الخشب الذي سيربط عليه ”أبو زيد“ ويتم جلده داخل المعسكر..

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

مرت أيام على «زينب» لا تعرف شيئًا عن «أبو زيد» وقد اعتادت على ذلك فقد كان يغيب عنها فترات طويلة بحجة العمل والتنقل بين أســـواق الخضروات وتجار الجملة لجمـــع المواد التموينية للجيش.. وهي تظن أنه جيش البلاد.. الجيش المصري..

وبحـــس الأم وفطنتهـــا.. ودون اســـتخدام أدوات طبية أو تيرموميتر.. شـــعرت بحرارة تخرج من وجـــه ورأس الصغيرة «كاميليا»..

أنها ســـاخنة.. الحمى تتملك منها.. حاولت ووضع بعض من قطع القماش المبلل بالماء على رأسها (كمادات).. تهبط الحرارة شيئًا قليلًا ثم تعاود بالصعود والارتفاع مرة أخرى.. ماذا تفعل.. أين أنت يا «أبو زيد»..

لابد من الذهاب بها إلى المستشفى.. لكن أين هي المستشفى وفي أي اتجاه وضفت الصغيرة فـــي لفافتها.. وخرجت بها إلى

الطريق.. سارت لنهاية الشارع وهي تلهث وأنفاسها متلاحقة.. لم تتمالك نفسها من البكاء..

شاهدت أربع من الرجال يســـيرون.. نادت من خلفهم.. فين أقرب مستشفى من فضلكم..

التفت الرجـــال إليها.. وإذا بها أمـــام «حامد» أخيها بصحبة «حجازي» وآخران من المجموعة..

توقفت الدموع في عيناها.. نسيت طفلتها المحمومة.. وتسمر «حامد» مكانه.. غير مصدق.. أنها «زينب» أخته الصغيرة.. الزوجة المظلومة..

مرت لحظات ودقائق بطيئة عليها.. قبل أن ترتمي «زينب» في أحضان «حامد» وسط المارة.. وانخرط كل منهما في البكاء.. وقد بللت دموعهما وجه ورأس الصغيرة «كاميليا» وكأن الدموع تقوم بعمل تبريد للحرارة المرتفعة للصغيرة..

عرض «حجازي» عليهما أن يعودا إلى المنزل «بكاميليا» وهو يعرف طبيب يسكن قريبا ســـوف يحضره على الفور.. ثم عرف العنوان من «حامد» الذي مازال يتذكـــر عنوان أخته رغم ذهابه هناك لمرة واحدة.

❊❊❊❊❊❊

شـــدّ وثاق الجنود الإنجليز جسد أبو زيد العارى.. على خشبة غليظة وسط معسكر تدريبات الكامب الإنجليزي..

وســـط حضور كل من كان بالمعســـكر من جنود وضباط.. وحضر القائد «الماجور سميث» وبدأ العد التنازلي لإنزال العقاب على الحقير الـــذي تجرأ على إبنه قائد المعســـكر، وبدأت أولى الضربات بالسوط على ظهر «أبو زيد» العارى..

أطلق صرخَةً مدوية من شدة الألم.. تلتها صرخة أخرى.. لكن هذه الصرخة الأخرى لم تخـــرج من «أبو زيد» لكنها خرجت من «لونا» الإنجليزية..

صرخـــة ألم الوضع.. فقد كانت فـــي حالة وضع.. رغم مرور سبعة أشهر فقط على حملها..

ومع ضربة السوط الثانية.. تطلق «لونا» صرخة أخرى..

وتوالت الضربات.. وأيضًا الصرخات إلى أن توقفت «لونا» عن الصراخ بقدوم طفل أحمر البشـــرة.. بينما توالت صرخات» أبو زيد» إلى أن غشـــى عليه وهو موثوقًا بالعمود الخشبى.. ثم أشار الماجور سميث لمن يقوم على ضربه بالسوط أن يتوقف.. يكفى هذا.. لم يتركه إلا بعد أن ســـالت الدماء من ظهره وأغشى عليه.. كما راحت «لونا» في نوم عميق بعد وضع مولودها الأول..

أمضى الطبيب حوالي الســـاعتين في بيت «أبو زيد» بوجود «زينب» وحامد وكان «حجـــازي» منتظرا في الخارج على ترقب للاطمئنان.

مــــازال «حامد» غير مصدق لما حــــدث.. فقد حمل الصغيرة «كاميليا» وهو عائدًا و»زينب» اختــــه إلى البيت.. قبل أن يحضر «حجازي» الطبيب.

إني أحمل بين يـــدي ابنتك يا زينب.. إنهـــا أول من أعطاني لقب خال ثم توجه بالنظر إلى وجـــه «كاميليا» الكامن في هدوء واستشعر حرارة جســـدها الصغير «أنا خالك يا كاميليا.. أدلعك وأقولك ايه.. كراميلا..

إيه رأيـــك.. حلو كراميلا..صح.. وزي ما كنت بادلع أمك زمان وأقولها زنوبة، ســـمعت «زينب» كلماته واجهشت في البكاء وهي تسير جواره ببطء.. إذن لماذا تركتني وحيدة يا أخي.. لم تهتم بي مثل ذي قبل لم تزورني ولا مرة ولم تســـأل على أحوالي ولا مرة.. لا أفهم لماذا.. أنا زنوبة.. أختك الصغيرة.. تتركني هكذا» لا يجد «حامد» من الكلمات والتبرير كي يدافع عن نفسه.. فهي لا تعرف ما يعرف هو.. لا يريد تشويه صورة زوجها في نظرها حتى وإن كان يستحق ذلك.. لكنها هي من تهمه.. لا يستطيع كسر فرحتها وإفساد حياتها..

بعد مرور ساعتين.. اســـتطاع الطبيب السيطرة على حرارة جســـد «كاميليا» وأخذ «حامد» و»زينب» أن تلك الحرارة بسبب أمران.. عادة عندما يحدث أمر واحد فقط لا يتحمل الطفل.. لكن هذه الصغيرة تعرضت لأمران في آن واحد..

الأول هو نزلة معوية.. ينبغي معه تطهير جهازها الهضمي..

الأمر الثاني هو أن ظهر ضرس في أسنانها.. مما سبب لها الألم وارتفاع في درجة الحرارة..

وأثناء حديثه.. سمع الجميع طرقات قوية على الباب..

فتـــح «حامد» الباب.. ليرى أمامه.. أثنان من الرجلان يحملان «أبو زيد» وهو في حالة أعياء شــديدة.. ومن وراءهم «حجازي» الذي ذهب بروشتة الطبيب لإحضار الدواء من أقرب صيدلية..

مـــرة أيام عصيبـــة على «زينـــب» و«حامد» ومـــن وراءهم «حجازي»..

من الاعتناء «بكاميليا» وأبيهـــا «أبو زيد» حتى بدا الاثنان في التعافي..

وكذلك الضيف الجديد.. فقد كان «أبو زيد» ممســـكا بكل ما أوتي به من قوة بلفافـــة.. بها طفل رضيع حديث الولادة.. عندما أحضره الرجال إلى منزله..

حاولت «زينب» الاهتمام بالرضيع.. إنه ذكر.. جميل البشرة.. يختلف في ملامحه عن الأطفال المصريين.. لم تفهم من هو ذاك المسكين الصغير.. وكذلك «حامد»..

قامت بإرضاعه فقد كان ثديهـــا مازال يدر لبنا.. منذ رضاعة «كاميليا» قبل فطامها..

يمر عليهم الوقت بطيئًا.. وقد تعافـــت «كاميليا» تمامًا.. وبدأ «أبو زيد» في التعافي.. ووصلت إلى مسامعه بكاء طفل رضيع.. من الغرفة المقابلة له..

بدأ يدرك ما حوله شيئًا فشيئًا.. لقد شاهد «حامد» في البيت.. فقد أنزل وجود «حامد» في البيت بعد القطيعة المرور على قلبه وانزال بعض آلامه.. وتذكر معها كم كان نذلًا حقيرًا في كل أفعاله مع صديقـــه القديم.. وخال ابنته «حامـــد» دخلت عليه «زينب» للإطمئنان عليه ومـــن خلفها.. «كاميليا».. ذات العامان تســـير خلفها.. وهي حاملة بين يديها المولود الصغير..

وهي تشـــير إليه.. من هذا يا أبو زيد.. ما اسمه.. ابن من..؟! أسئلة كثيرة بلا إجابات وألغاز جديدة تضاف إلى الألغاز القديمة التي أحاطت بهـــا لمدة ثلاثة أعوام كاملة.. وأيضًا بلا إجابات هل ستســـتمر حياتها مع «أبو زيد» هكذا.. لغـــز تلو الأخر علامات الاســـتفهام تحوطها وتؤرق نومها وتسرق كل فرحة تتمناها من حياتها الجديدة.. هل هذا طبيعي؟! هل كل زوجة لابد وأن تتذوق طعم الغموض والحيرة.. لا.. ليس الزواج هكذا..

..كســـر «أبو زيد» حاجز الصمت.. وكأنه يطلق رصاصة على القفل الموصد لأبواب الحقيقه.. أخيرا سيفصح عن الأسرار ويفك طلاسم وألغاز أحاطت «زينب» لشهور طويله..

أبو زيد : قبل أي شيء.. أريدك يا زينب أن تختاري إسمًا لهذا الصغير الجديد..

نظرت «زينب» إلى «حامد» ثم إلـــى الصغيرة «كاميليا».. من يكون هذا الجديد.. هل وجدته أمام باب جامع.. أم من يكون ؟!..

تدخل «حامد» واستاذن زينب أن يسميه هو بإسم يحبه..

مارأيك في «نديم» أومأت «زينب» برأسها وأستحسن «أبو زيد» الإســـم.. وبعدها جثم على ركبتيه أمام زينب وعيناه تغرورقان بالدمع..

سامحيني يا زينب.. أخطات في حقك كثيرًا ومن قبل أخطات في حق صديقي المخلص الوفي كما أخطات في حق نفســـي من قبلكما..

قص «أبـــو زيد» كل ما حدث طيله الثلاث ســـنوات الماضيه منذ أن عارض صديقه «حامد» وأصر على العمل لدى الأنجاس.. الأورنوس.. الكامب الإنجليزي.. إلى خداعه لها وأســـرتها والزواج بها وإيهامهـــم بموافقة ومباركة حامد للزيجـــة.. والعكس كان الصحيح..

ثم إيهامها أنه يقوم بتوريد المواد التموينية للجيش المصري.. بينمـــا كان للمحتل الإنجليزي.. ثم أخيرا ادعـــاءه بعدم معرفته بأسباب مقاطعة أخيها «حامد» لها..

من الآن الطامة الكبرى والاعتراف الثاني.. علاقته بـــ «لونا» الإنجليزية وأن هذا الصغير الـــذي تحمله «زينب» فوق صدرها.. هو ابنه من «لونا» والذي ارضعته من صدرها منذ قليل.. هو ابن زوجها «أبو زيد»..

سقطت الدمعة وراء الأخرى تلاحقها فوق وجنتي «زينب» في صمت دون أن تســـتطيع أن تنطق كلمة.. تنظر إلى الصغير وهي تســـمع وقد تصارع داخلها شعوران.. شعور بكره ذاك الصبي..

أنه من امرأة أخرى.. وفي السـر والشعور الآخر.. أنها أحبته وهو يلقم ثديها بلهفة ليتلقى أولـى رضعاته لم تقاوم حبها للصغير «نديم» والشـعور بالعطف عليه الذي غلب الشعور بالمرارة مما فعلـه زوجها وهي التي كانت تنتظره كل ليلة وتفعل كل شـيء لإرضاء وإسعاده وهو غارق في عسله مع فتاته الخواجاية..

بكى «أبو زيد» بين قدميها.. وطلب منها الصفح.. كما طلب من «حامد» مع وعد منه أنه سيرد اعتباره أيًا كان الثمن..

بعد إزالة الغموض أو الألغاز التي أحاطت حياة «زينب» بدا لها أن هذا اليوم هو أول يوم في حياتها الزوجية.. كل ما سـبق كان خدمة وكذبة كبرى.. أول يوم تنعم فيه بنوم هادئ.. أخيها «حامد» إلى جوارها.. بعد أن صفح عن «أبو زيد».. وعادت صداقتها لسابق عهدها.. واهتمام «أبو زيد» بها و»كاميليا» و»نديم».

رغم الهدوء والسلام الذي عم بيته.. لكن غليان الغضب مازال يشتعل في قلب وكرامة «أبو زيد» وعلى قدر شفاء جروح جسده إلا أن جروح كبرياءه مازالت تنزف بشدة..

وهو أن يقوم بأي عمل للإنتقام من المحتل الإنجليزي.. إلا أن «حامد» استطاع ايقافه واثناءه عن القيام بأي عمل متهور..

«ليس هكذا تسـترجع الحقوق.. الصبر يا صديقي.. الكثرة تغلب الشجاعة والجماعة خير من الفرد.. لن تستطيع وحدك فعل أي شـيء».. ثم أطلعه علي حقيقة اجتماعاتهم في محل الاحذية التابع لحجازي، وصار الرجل الثامن في المجموعة..

وتوالت اجتماعاتهم ومناقشـــات وأخذ الآراء للترتيب للقيام بعمل لرد اعتبار «أبو زيد» وكل مصري تعرض للإهانة..

تفاوتت الأفكار والاقتراحات.. تجتـــذب الجميع إلا «أبو زيد» الذي ظل صامتا وصامدًا.. يســـتمع بإهتمام إلى أن فرغ الجميع من المناقشـــات والمقترحات واستعراض المميزات والعيوب لأي عملية يمكن القيام بها.. مـــن قتل أحد الجنود الإنجليز أو خطف جندي والمساومة عليه أو... أو.... أو....

والعديد من الأفكار..

إلى أن خرق «أبو زيد» حاجز صمته.. وتكلم.. قائلًا :

« أنا عندي فكرة.. اسمعوني جيدًا..

اســـتمع الجميع لما اقترحه وما جاء في خطة «أبو زيد» التي كان يغزل خيوطها منذ أن نزف أول قطرة دماء.. وطرده ومولوده من المعسكر الإنجليزي.. الأورونوس»

بدأ الإعداد والتنفيذ بمساعدة باقي أفراد المجموعة..

اســـتطاع «الماجور سميث» أن يفرض ســـيطرته وقناعاته والتأثير على «لونا»..

لرؤية «أبو زيد» على أنه شخص حقير مد يه وأخذ ما لا يملك أو يستحق وأن من حظها السعيد أن استطاعت التخلص منه من بذرته الحقيرة مثله واستطاعت أن تتناسى تجربتها مع «أبو زيد» وتحاول البدء في حياة أو علاقة جديدة..

عرف «أبو زيد» أن «روبــــرت» أوكل مهمة الامداد والتموين.. للمتعهد القديم الذي حل محله «أبـــو زيد» في الفترة الماضية.. تواصـــــل معه «روبرت» مرة أخرى ليعود إلـــى المهمة التي حرم منها من قبل ويبدأ في امداد الاورنوس بالمواد الغذائية التموينية المطلوبة.. إنه «زكي مرزوق»..

تقرب «أبو زيد» من «زكي مرزوق».. ووطد علاقته معه..

وساعده في انفاذ مهمته.. بأن عرّفه على موردي المواد الغذائية بأسعار الجملة.. وبذلك يستطيع توفير أموالًا أكثر وزيادة مكسبه ربما للضعف، فرح «زكي مرزوق» كثيـــرًا بمعاونة «أبو زيد» له والذي أخبره أنه ترك الكامب الإنجليزي لأنه وجد فرصة أفضل في مكان آخر..

وبعد عدة أسابيع.. زادت ثقة «زكي» في «أبو زيد»..

وفي أحد الأيام.. مرض «زكـــي مرزوق» وطلب من «أبو زيد» مساعدته على تجهيز بعض الخضروات والفاكهة والمواد التموينية التي يحتاجها الكامب الإنجليزي وبالاتفاق بين «أبو زيد» وباقي المجموعة.. وضع «أبو زيد» أصابع الديناميت والمتفجرات.. وثبت معها تايمر أو ميقاتي.. في قاع كل صندوق ومن فوق الديناميت وضع الخضروات والمواد التموينية وذهب بصحبة «زكي مرزوق» الذي تحامل على نفسه رغم اعراض المرض.

وقبل الوصول لبوابة الكامب الانجليزي بقليل..إســـتأذن «أبو زيد» ونزل من العربة الكارو.. معللاً أن علاقته «بروبرت» ومسؤلي الكامب مقطوعه ولا يستطيع الدخول معه..

وكان قبلها قد قام بضبط التايمر على التاسعه صباحاً أي قبل دخول شـــحنه المواد التموينية مع المتعهد «ذكي مرزوق» بثلاث ساعات تقريباً حيث إعتاد أن يدخل يومياً فى السادسة صباحاً..

ســـار «أبو زيد» قليلا إلى سيارة متوقفة في الشارع على بعد مائتى متر تقريبـــاً ويجلس فيها حامد وحجازى ورجل ثالث من المجموعة..

مر الوقت بطيئاً عليهم إلى أن إقتربت الســـاعه من التاســـعه صباحاً وبدأت الأفراح.. إنفجارات هائله في الأورنوس أو الكامب الإنجليـــزي النجس.. وتعالت الصرخـــات والأصوات ودوي نفير الطوارئ في أنحاء المعسكر..

إنطلق الرجال الأربعه بسياراتهم وهم يتلذذون بمنظر النيران المرتفعه إلى عنان السماء..

أجمل صوت وأنقى صـــوره أزالت الإنفجارات، همّا كان جاثياً على قلب «أبو زيد»، أخبرت إسترد كرامته.. ورفع راسه ثانياً وكأنه بكل طلقـــه إنفجاريه تعود إليه جزء من كرامته وإصلاحا لأخطاء إرتكبها في حق نفسه وزينب.. حامد وكاميليا وأيضًا نديم..

هل الإنفجارات.. والدماء المسالة والأعضاء البشرية المتناثرة يمكن أن تدخل السرور والفرح وتشرح صدر أي إنسان.. يا للقدر العجيب.

دخل «أبو زيد» إلي منزله ليحتضـــن زوجته «زينب» ويمطر «كاميليا ونديم» بالقبلات.. ومشـــاهد الإنفجارات لا تفارق عيناه وأصوات الصرخات وأجراس الإنذار المدوية في المعسكر لاتزال تطن في أذنه أجمل طنين..

لا كامب بعد اليوم.. لا ماجور ســـميث.. أو روبرت أو لونا أو حتي المتعهد زكي مرزوق..

فالنيران طهرت المكان.. طهرت الأرض المصرية من الأوساخ.. لتعود إلي ســـابق عهدها.. والغريـــب أن الإنفجار حدث من أيام موسم الشتاء..

لكن أبت الســـماء أن تمطر فى هذا اليوم كي لا تطفئ نيران السعادة التي حرقت وأكلت أجساد المحتل الغاشم..

يالروعة السماء عندما تتعاطف مع المظلوم ولا تقدم يد العون للظالم..

هل كان هناك إتفاقًا بين الرجال الثمانية وبين السحب في كبد السماء..

لا ترتطم ببعضها ولا تسقط نقطة مطر واحدة من بعد التاسعة صباحًا..

"الحمد لله» هذا ما ردده الرجال.

استفاقت «كاميليا» في القطار على صوت مفتش القطار يطلب منها مراجعة تذكرة الركوب....اعتـــذرت عن التأخير وقدمت له التذكرة... والذي أشـــر عليها وردها إليها.. وإذا بها تسأل كم من الوقت متبقي كي نصل إلى بورسعيد

فأجابها.. ربما ساعتين من الزمن إن لم يكن هناك أي تعطيل على الخطوط..

نظرت إلى الكتاب الذي فـــى يدها.. ولم تقرأ منه كلمة واحدة حيث راحت في استعراض شريط ذكريات امتد لسنوات قبل وبعد ميلادها..

كم اســـتمعت لقصص من أمها «زينـــب».. وأبيها «أبو زيد» وخالها «حامد».

من أحـــداث وقائع منذ أيامها الأولى.. كذلـــك أخيها «نديم».. جميل الصورة بوجهه الأحمر وعيناه الزرقاوان وشـــعره الأشقر.. فكل من يراهما معًا لا يصدق أنها أخته..

حاولت النظر فى كتاب الجامعـــة.. الادب اليوناني من خلال شعر «كفافيس»

لكن هيهـــات... ظلت الذكريات والأحـــداث الماضية تلاحقها وكأنها تلح عليها وتزيد من الالحاح كي تقتحم عليها التفكير.. ولا تسمح لها بالتركيز في الحاضر..

كانت في سن العاشرة... تلهو وتلعب مع أطفال الحي.. تذكر منهم ميلاد ابن عم عويس الصائغ.. وأيضا شكري ابن عم عطوة الخباز.. وأخيها نديم... وبعض الأطفـــال الآخرين.. التي لم تعد تذكرهم.

تذكر يوم أن ألقى الرئيس جمال عبدالناصر خطابه الشـــهير ونطق أهم القرارات...

بتأميم قناة الســـويس – لتصير شركة مساهمة مصرية.. نعم مصرية ولا بد أن تظل مصرية واختلف الرجال من مناقشتهم بين مؤيد وهم الأغلبية والقلة ممـــن عارض القرار خوفا من رد فعل الدول الكبري.. انجلترا وفرنسا آنذاك..

وبالفعل.. لم يمر أكثر من ثلاثة أشـــهر علـــى هذا الخطاب الشهير..

إلا ودقت طبول الحرب من قبل تحالف الشـــيطان... الثالوث الشيطاني..

انجلترا وفرنسا وإسرائيل (الكيان الصهيوني المحتل)

.. يلـــزم الجميع بيته.. وعندما بدأ القصف على بورســـعيد.. يتكدس السكان فى المخابئ أو يقبعون في بيوتهم من الظلام.. وقت الحرب يحظر إشعال المصابيح أو أي مصدر للإنارة

صفارات الانـــذار تدوي في المـــكان.. وعندما تتوقف يخرج الناس لقضاء حاجياتهم الضرورية..

وتترك الاسر العنان للأطفال للعب أحيانا في الشرفات أو أمام المنازل..

انتشـــرت قطع العربات والدبابات الاســـرائيلية في طرقات بورفؤاد..

وعندما تجمع الأولاد للعب فى إحدى الأمسيات.. ظهرت دبابة إســـرائيلية في المكان ومن خلفها دبابة أخرى.. إقترح نديم ذو الثمان أعوان أن يمســـك كل طفل بقطعة حجارة ويقذفونها في وقت واحد على الدبابة لعلها تصاب بالعطل..

توقفت الدبابة على مرمى البصر من الأطفال.. دبت الرهبه في قلوبهم إنها المره الأولى التي يشاهدون فيها دبابه في الحقيقه.. إنها ضخمه للغايـــه وتحدث صوتاً مخيفاً للغايه فوق أســـفلت الطريق..

ميلاد: أنا خائف.. دي إيـــه دي.. بتتحرك إزاي مين بيحركها أكيد داخلها عفريت..

نديم : لا يا أهبـــل دي الدبابه التي خلفها هـــي التي تدفعها للأمام.. نظر إليه ميلاد غير مقتنع ولسان حاله يقول ومن يحرك الدبابه الخلفيه إذاً ؟!

كاميليا :..لا يهم كل هـــذا.. المهم اننا لازم نمنعهم من دخول شـــوارع بلدتنا.. لكن ماذا تفعل تلك الماســـوره الطويله هذه.. وأشارت إلى مدفع الدبابه..

شكري : دعوكم من هذا الهراء.. أنا أكبركم سنًا وأذكر لكم أن ما قالته كاميليا هو الصواب.. لا يجب أن نضيع الوقت قبل أن تمر الدبابه وتذهب بعيداً.. لابد من مهاجمتها وإيقافها..

نظر الأطفال إلى بعضهم البعض.. وذهب كل طفل في ناحيه يجمع أكبر عدد من الطوب والحجاره ويضعهم في مكان واحد.. وبعد مرور عدة دقائق.. سمع الجميع صوت ينادي من ميكروفون محمول باليد وبلغه عربيه غير سليمه.. لا داعي للمقاومه.. عليكم أن تستسلموا او تلزموا بيوتكم

فـــي هذة الأثناء.. تجمع «أبو زيد» و «حامد».. مع «زينب» في بيتها إنتظارًا لحلول الظلام كي يســـتطيعون التحرك والإجتماع بباقى المجموعة مع «حجازي» لينظروا في الأمر ويقرروا ما يمكن عمله.. وكل بضعة دقائق.. تخرج «زينب» إلى الشـــرفة لتطمئن على الأولاد.

واصل الأطفال العمل بهمة في جمع الأحجار وتجمع لديهم كومة ممتازة من الحجـــارة والطوب.. وإنطلق الصوت من الميكروفون مرة أخرى..

..من القائد «يوســـي كاتســـير» إلى أهالي المنطقة.. «إلزموا بيوتكم وإلا ســـوف تلقون مصير البلدة المجاورة لكم من تدمير وقتل كل من فيها»..

ظهرت «زينب» وأطلت من الشـــرفة بعد سماعها هذا التنبيه وذكر إسم «يوسي كاتســـير» وإذا بها تصيح على الأولاد.. «ياللا يا أولاد أطلعـــوا وباقي الأطفال تروح بيوتهم».. ثم أضافت.. ربنا يستر، خنزير.. قادم..

ترك الأولاد كومة الحجارة.. وصعدت «كاميليا» وخلفها أخيها «نديم» وأنضموا إلى حديث الكبار ولكن كمستمعين فقط.. وتردد إســـم «الخنزير» طوال الجلسة.. سألت «كاميليا» خالها «حامد» : مين خنزير ده يا خال ؟..

إبتسم «حامد» إبتســـامه باهتة.. «إنه قائد إسرائيلى يعبث في بلدتنا».. متواجد على أحدث دبابة.. إسمه «يوسي كاتسير»..

ثم أضاف وهو يطلق ضحكة ساخرة.... لكن الأهالي هنا حرفوا وغيروا اسم «كاتسير» إلى «خنزير».. يبدو ان نطق اسم «كاتسير» صعب عليهم وأن «خنزير» يبدو اســـهل لهم في النطق.. أو ربما يرون في هذا القائد خنزيرًا.. نظرًا لغبائه وشراســـتة وســـهولة التدمير والقتل لديه..

هو صغير السن في بداية العشـــرينات من عمره لكنه بسبب شراستة وشـــدتة تقلد المناصب والرتب العسكرية بشكل سريع ومذهل..

نظـــرت «كاميليا» إلى «حامد».. بكل فخر واعتزاز.. وســـألتة : «لكـــن كيف لك يا خال معرفة كل تلك المعلومات عن «يوســـى كاتسير» أو هذا الخنزير..»

أجابها «حامد».. «أنهـــا كلمة واحدة يا كاميليا.. أبرك من ألف كلمـــة.. أعرف عدوك.. جمع المعلومات عن الأعداء يســـهل عليك مهمتك وتحديد الخطة لضربهم والتخلص منهم..»..

وكان هذا هو أول درس من مدرسة الحياة تعلمتة» كاميليا» في سن العاشرة.. «أعرف عدوك»..

خلدت الى النوم.. وهي تردد بســـرية.. أعرف عدوك.. أعرف الخنزير..

مرت الليله بسلام رغم تواصل أصوات الطلقات وحركة العربات المصفحـــه.. وجنازير الدبابات الهادرة.. وأصوات الطائرات التي تجوب أجواء بورسعيد دون رادع كافي كي تعود من حيث أتت.. إجتمع الرجال الثمانيه في المكان الســـري داخل ورشه الأحذيه الخاصة بحجازي..

ناقشوا الأمر من جميع الجوانب وكانت أكبر مشكله تواجههم هي الحصول على السلاح المناسب لتمويل دخول قوات إسرائيل إلى حرب شوارع.. وهنا ربما تكون الغلبه للمصريين نظرًا لعلمهم الجيد بطبيعة المكان..

فكانت المهمه الموكله إلـــى « حجازي «هو التواصل مع قادة الجيش بمنطقه القنـــاة لمحاوله الحصول منهم على الســـلاح والقنابل اليدوية..

وكان على باقـــي المجموعة هو ضم أكبر عـــدد من الرجال والشـــباب إليهم وتدريبهم بشكل سريع للمســـاعدة في مقاومه العدد الصهيوني..

في الظهيرة تجمع أبو زيد وزينب وحامد مع الصغيران كاميليا ونديم حول مائدة الطعام.. قطع من الخبز الجاف مع بعض من شرائح الجبن والطماطم..

إلتهموا طعامهم وكانوا يضحكون وكأنهم في حالة اللاحرب..

يشـــعرون بأمان غريب.. وكأن طائرات الصهاينة والإنجليز والفرنسيين تحرسهم.. ولا تضربهم..

وعندما إقتربت الشمس على المغيب.. تجمع الأولاد فى الساحه.. ونظروا إلى كومة الحجاره التي جمعها بالأمس.. لم تكن كافية.. فإنتشروا لجمع المزيد..

وإذا بأصوات الدبابات تـــدوي من بعيد تعلن عن قدومها إلى الشارع القريب من الساحه..

وهذة المرة كان الجنود الإســـرائيليين يجلسون فوق الدبابة وكأنهم شعروا بالأمان وأنه ليس هناك حاجه للإختباء داخل الدبابة والإحتماء بجدرانها المقاومة للرصاص وكما حدث بالأمس.. كانت الدبابة في المقدمة وخلفها دبابة أخرى..

توقفت الدبابة الأولى.. ونـــزل جنود العدو ليقفوا إلى جوارها وهم يتلفتون في كل إتجاه.. حاملين بنادقهم في حالة إســـتعداد لقتل أي مقاوم.. حانت اللحظة.. إلتقط الأولاد الحجارة من الكوم

الكبير الذي صفوه وإنطلقوا تجاه الدبابة والعساكر الإسرائيليين وألقوا عليهم ما بيدهم من حجارة..

حاول جنود الأعداء تفادي قصف الحجارة تجاههم.... وبعدها طـــاردوا الأطفال وركضوا خلفهم.. هرب الأطفال في الشـــوارع الجانبية.. لكن الجنود الصهاينة إستطاعوا الإمساك «بكاميليا» و «نديم» أخيها..

وقادوهم بعنف إلى أن وقفـــوا أمام ضابط.. يبدو أنه القائد.. وسمعت «كاميليا» الجنود الإسرائيليين ينادونه.. «كاتسير»..

نعم إذاً أنه هو «يوسي كاتسير» أو خنزير !!

كانت يـــد «كاميليا» اليمنى لازال قابضـــة على قطعة حجارة مدببة.. نزل «خنزير» على ركبتة أمام «كاميليا» وبجوارها «نديم».. والجنود يحيطون بهما..

سألها «يوسى كاتسير».. «لماذا تقذفوننا بالحجارة ؟!.. نحن هنا لمساعدتكم كي تكون حياتكم أفضل..»

ثم ســـألها.. «أنتى بنت مين يا شـــاطرة ؟!..» وكان يتحدث العربية بلهجة شامية..

وتوالت الأســـئلة.. و كاميليا» صامتـــة.. وفجأة.. رفعت يدها اليمنى في حركه سريعة وضربت خنزير في وجهة بالجزء المدبب من الحجارة.. سالت الدماء من وجهه.. أصابت حاجبه وكانت قاب قوسين أو أدنى.. أن تصيب عينة.. و تفقأها.. فيصير أعور بعين واحدة..

ساعده أحد الجنود وربط رأسه بمنديل..

أنقض «يوسى كاتسير» على كاميليا ورفع بندقيتة وكاد يقتلها.. وصمت لحظة.. ثم سألها «أين بيتكم ؟!.. أين تسكنين ؟!..»

لم تجبه «كاميليا» وإستمرت على صمتها..

إستشاط «خنزير» غضبًا فوق غضبه وجرحه النافذ.. وتوجه إلى أخيها نديم وسأله.. «أين تسكن هذه الفتاة وأشار إلى «كاميليا» وبالطبع لم يكن يعلم أنها أخته نظرًا لإختلاف الشكل والملامح بينهما..

صمت «نديم» أيضًا..

هزه «خنزير» بعنف.. لكن دون جدوى..

خنزير : حسنًا سأجعلك تتحدث وتفصح عن مكان بيتها..

أمسك بكاميليا ووضعها على الأرض مستلقيه على ظهرها أمام الدبابة وأعطى الأمر لسائق الدبابه أن يمر فوق جسدها بجنزير الدبابة..

هنا إنفجر «نديم» في البكاء.. وإستدار.. وأشار إلى البيت البعيد خلفه..

قامت كاميليا وركضت بسرعه.. وركض نديم خلفها وتوارى سويًا في أحد الشوارع الضيقه..

تحرك مدفع الدبابة المثبت على القرص الدائري فوق الدبابة.. بزاويه تسعين درجه شمالًا.. وسار مواجهًا لبيت «كاميليا ونديم» وعلى مسافه ثلاثمائة متر تقريبًا.

إنطلقت قذيفة مـــن دانة مدفع الدبابة أحدثـــت صوتًا هائلًا أخترق الصمت..

المكان..

إستقرت الطلقة في وسط البيت الخشبى.. الذي إنهار بالكامل وإشتعلت به النيران..

شاهدت «كاميليا» ما حدث وهي مختبئة تحت إحدى السيارات.. ولا تعلم أين ذهب «نديم» أين يختفى ؟!!

لم تتحمل الصغيرة «كاميليا» ما شاهدته من هدم بيتها وبداخله أمها وأباها وخالها..

إســـترخت عيناها وهي تخرج من تحت الســـيارة لتستلقى على الأرض في إغماءة وآخر ما وصل إلى مســـامعها هي ضحكة شيطانية مدوية من «خنزير» «يوسي كاتسير»..

ظلت ممـــددة على الأرض.. ودموعها تهطـــل على وجنتيها.. وشفتاها تنطق.. بالنداء على أمها.. أبيها.. خالها..

لم تدر كم مر عليها من الوقت.. بعد ســـماعها صوت ضحكة الشـــيطان «خنزير».. هي شجت رأســـه.. لكنه هدم بيتها وقتل أبويها وخالها.. ظلت تهزي وهي ملقـــاة في عربة قديمة بجوار

ضابط بالجيــش المصري.. الذي وجدها ما زالت على قيد الحياة وهي ملقاة على الأرض.. أخذها معه أثناء عودته إلى القاهرة..

هي الآن فــي طريقها إلى القاهرة.. وما زالت في حالة إغماء.. أين «نديم».. لقــد ظل مختبئًا داخل إحدى البنايات المهدمة وهو يبكي إلى أن وجدهُ بعــض الرجال الذين كانوا في حالة فرار من الطلقات العشــوائية التي يطلقها المحتل في كل مكان.. توقفوا أمام بكاؤه.. أمســك به أحدهم وحملهُ بين ذراعين واســتمر فى الركض إلى أن أستقلوا سيارة.. قادتهم إلى خارج المدينة.. وبعد عدة ساعات..

وجد «نديم» نفســه مع هذا الرجل .. ممســكًا يده ويدخل به إلى بيت ريفى بسيط.. في قريةً تابعة لمركز الحسينية بمحافظة الشرقية..

إلتف حولهُ ثلاثة بنات و ولد.. من خلفهم سيدة ريفية مكفهرة الوجه.. لم تتوقف عن ســكب سيل من الأسئلة فوق رأس الرجل.. الذي هو زوجها.. وكل هذة الأســئلة حول «نديم».. من هذا ؟!!.. أين وجدته ؟!!.. ومــاذا يفعل هنا ؟!!.. وماذا تنوى فعله؟!!.. هل سيعيش هنا معنا ؟!!.. هو أحنا لاقيين نأكل ؟!!.... لا لا.. اذهب به إلى العمدة أو سرايا الباشا.. ممكن يتكفل به..

ظل «نديم» يتلفت حوله.. ثم جلس على الأرض وأغمض عيناهُ من فرط التعب.

رغم أن العدوان الثلاثي فشل في إحداث أي ضرر على الدولة المصريه أو إثناء القياده المصريه عن قرار تأميم قناه الســـويس أو كسر هيبة الدولة..

لكنـــه أحدث بالغ الأذى والضرر لـــدى العديد من الأفراد في أرواحهم وممتلكاتهم..

.. عرفت «كاميليا».. وعرف «نديم» معنى اليتم.. مات الأب «أبو زيد» وماتت الأم المخلصه البريئه «زينب» كما فارق الحياه الخال المناضـــل الوطني «حامد» وتهدم البيـــت ووضعت فوق أطلاله ذكريات سنوات الطفوله الأولى..

ومخالب الشيطان «خنزير» او «يوسى كاتسير» ما زالت آثارها باقيه كما أن ضحكته الخبيثة الشـــيطانية لا زالت تنشر سمومها في أذني «كاميليا» التي ظلت تعاني من الكوابيس لعدة سنوات.. إستطاع «حجازي» وما تبقى معه من الرفاق والرجال من إحداث بعض الخســـائر في صفوف العدو الصهيونـــي.. فدمروا بعض قطعه الحربيه وقتلوا عدد من رجاله..

إنهم رجال يعرفوا معنى الكرامه ليس منهم لقمة ســـائغة في فم العدو النجس.. لم يســـتمر العدو إلا أسابيع قليلة حتي غادروا بعدها الأراضي المصريه..

إستقر جيشهم بسيناء حتى مارس 1957 ثم عاد خائب الرجا يجر خيبته خلفه إلى الأراضي المحتله.. التي ســـرقها وأغتصبها في عام ١٩٤٨ بعد معاونة الشيطان الأكبر في لندن.

إستمر العمل والبناء في الدولة المصرية كما استمر بناء السد العالي رغم كل المحاولات والعراقيل التي وضعها البنك الدولى و من وراءه أمريكا لإثناء مصر عن بناء الســـد.. لكن الله كان دائمًا فوق كيد المعتدى..

وفي تلك الأثناء وبعـــد تكوين أول جهاز للمخابرات المصريه بقيادة نخبة من الضباط الأحرار..

كانت المعركة المخابراتية تدور بشـــدة بين رجال المخابرات المصرية وثعابيـــن وخفافيش الظلام الصهيونيـــة.. التي كانت تحاول تخريب الدولة المصريـــة والعبث بإقتصادها ومن ناحية أخرى كانت تقوم على تكوين لوبي صهيونى عبر الجالية اليهودية فـــي مصر.. في هذه الأثناء.. بدأ انضمـــام كلًا من الملازم أول/ صبري عبدالهادى،والملازم أول/ بهاء إسماعيل..

من صفوف القوات المســـلحة إلى جهـــاز المخابرات العامة المصرى..

دارت الدراسات والفرق والدورات التعليمية بينهما وبين القادة أصحاب الخبرات ممن سبقوهم إلى عالم الغموض والجاسوسية.. وكان جواسيس الأعداء منتشرون في الأراضى المصرية.. يسقط منهـــم البعض، ويفلت البعض الآخر بالأختبـــاء أو الهرب خارج الحدود المصرية..

إستطاع كلًا من «صبري عبد الهادى» وزميله «بهاء إسماعيل» من اجهاض بعض تحركات خفيه لجواسيس أندسوا وسط الأحياء الشـــعبية لنقل رســـائل عن أحوال الأقتصاد المصرى وتحركات الجيش إلى جهـــة مجهولة.. والتي إتضح فيمـــا بعد وبعد تتبع ترددات الموجات التي يتم عن طريقها إرسال الرسائل..

إنه الموساد الإسرائيلى.. جهاز المخابرات الإسرائيلي.. هو من كان على الطرف الآخر لتلقى تلك الرسائل..

ورغم هذا النجاح إلا أن الأمور كانت تزداد غموضًا وتعقيدًا..

وقد قدم كل أجهزه المخابرات في العالم مخترعاتهم لمحاولة معرفـــة كل معلومة وأى معلومة عن القيـــادة والجيش والأحوال المصرية..

فصار رجال المخابرات المصرية يواجهون الأساليب المختلفة فى عالم التجســـس والحصول على المعلومـــة.. كذلك الأجهزة الحديثة والدقيقة في تسجيل وتصوير وإرسال المعلومات بجانب متابعة الأفراد الحاملون لبطاقات هوية مختلفة وجوازات سفر من مختلف البلاد..

أمر صعب للغاية.. ورغم ذلـــك.. حقق رجال الظل الكثير من النجاحات رغم ضعف وقلة الإمكانات..

إســـتطاع الطفل «نديم» الأندماج فى الأسرة الجديدة التي لم يختر أن يعيـــش في كنفها لكن القدر فـــرض كلمتهُ.. وفي ليلة وضحاها صار «نديم» طفلًا يتيمًا...

حاول أن يفهـــم ما حدث.. وأين هـــو الآن.. يقضى يومه فى الجلوس وسط الأسرة الجديدة.. الأطفال يلعبون وهو جالس على جنب لا يريد أن يشاركهم اللعب..

تملك الحزن منه وكأنه ابن الثمانين عامًا وليس ثمانية أعوام.. ومن اليوم الأول شـــعر بالرفض من زوجة صاحب البيت.. العامل في مصنع لتعبئة الفاكهة..

..ولكن من حين إلى آخر ينضم إلى فرق المقاومة الشـــعبية.. حيث أنه أستُدعى للجهادية «التجنيد».. ما زال في الجهادية.. منذ أكثر من عام.. ويتم إرساله للتدريب مع فرق المقاومة الشعبية في منطقة القناة.. لذا صحب «عطـــوة» نديم الصغير خوفًا عليه من القتل معه إلى بيته بعد أن فهم أن بيته قد تهدم وأسرتة بالداخل..

..أنا عاوز أختـــى «كاميليا» هكذا كان يصيح «نديم» من وقت لآخر مما جعل «إعتماد» زوجة «عطـــوة» أن تضيق به ذرعًا ولم تعد تحتملهُ.. خاصًة أنها لديها ثلاث بنات وولدًا صغيرًا لا يتعدى الخمسة أعوام.. دارت مشاجرة بين «إعتماد» و«عطوة» وقد وصل بعض من تلك المشـــاجرة إلى مســـامع الأولاد الصغار و«نديم» وسطهم.. الخوف يتملك منه.. فلم يأكل منذ يومان ولم يتحمم أو يبدل ملابسهُ.. فليس لديه أية ملابس..

إعتماد : إحنا ناقصين يا «عطوه» حرام عليك يا راجل تجيب لنا بطن أخرى.. من يـــدري من هذا الولد.. ملامحه لا تبدو مصرية..

لابد انه أجنبي لكن لغته تدل على أنه من اســـرة مصرية.. لابد ان تعود به..

عطوه :خفي عن الولد يا «إعتمـــاد».. حرام عليكى، ده بيتهم أتهدم ومات كل من فيه.. أعتقد أبواه وبعض الأقارب ربما.. خليه عندنا.. ورزقنا و رزقه على الله..

إعتمـــاد : أي رزق تتحدث عنه فنحـــن... نعيش بالكاد ولولا أن البنـــات الثلاثه يعملن في مصنع تعبئه الفواكه بتاع الباشـــا لما أســـتطعنا أن نعيش ونأكل.. ده حتى الولد الصغير اللي عنده خمس سنين يعمل في تركيب الأقفاص، ويجمع أعواد الجريد التي تجرح يداه كل يوم ..

عطـــوه : لازم تأكليه أي حاجه يا «إعتماد».. الولد لم يأكل منذ يومان.. الآن.. وإعطيـــه بعضًا من ملابس البنات التي تصلح له.. كي يتحمم ويبدل ملابسه..

إعتماد : كمان حانديله هدوم بناتنا.. هم أصلا عندهم أي هدوم يا حسرة..

خرقت كلمات «إعتماد» أُذن «نديم».. إزداد خوفه.. لكن كلمات «عطوه» بعثت بعض الطمأنينه في قلبه..

إستسلم للنوم في مكانه من التعب..

فى الصباح.. أستعدت البنات للخروج للعمل في مصنع الفواكه ومعهم أخاهم الصغير..

.. وقف نديم خارج البيت يشـــاهدهم.. لكن ما شـــد أنتباههُ هو عدد لا بأس به من الصبية والفتيات يرتدين مرايل المدرســـة الصفراء.. ويمسكون حقائب..

ويسيرون في خط واحد كأنهم في طابور..

سأل «نديم» : «إلى أين يذهب هؤلاء الأولاد ؟!!..» أجابت إحدى الفتيات قبل أن تغادر، إنهم ذاهبون إلى المدرســـة.. المدرســـة الوحيدة بجوارنا.. مدرسة «بحر البقر»..

توجه «نديم» إلى «إعتماد» وطلب منها الذهاب إلى المدرسة.. فإنه من المفترض أن يدرس في الصف الرابع الإبتدائى..

أطلقت «إعتماد» ضحكة شـــريرة رجت ضلـــوع» نديم» في صدرهُ....كمان عايز تتعلم.. يعنى أكل ولبس وتعليم.. ما شـــاء الله..

أنت من بكرة ســـوف تذهب إلى مصنع الفواكه بتاع الباشا.. علشان تساعد فى مصروف البيت..

ثم أمســـكت به بقوة من ذراعه وكأنها قابضة على لص شديد الخطورة وســـاقته أمامها إلى حيث يتحمم.. وألبسته فستانًا من فساتين بناتها القديمة البالية..

لم يتمالك «نديم» نفســـه عندما شاهد جســـدهُ النحيل داخل فستان بتاع بنات..

وأنخرط في البكاء.. ثم تســـلل من وراء إعتماد وأخذ ملابسه القديمة..

التى وضعتها إعتماد مع الملابس المتسخة التي ستغسلها بعد قليل..

وضع الفستان مع الملابس المتســـخة.. وأعاد ارتداء ملابسه التى كان بها منذ قدومهِ من بور فـــؤاد.. نعم ان رائحتها كريهه لكن رجولته وكرامه التي يعتز بها، تجعل ملابســـه الرثة مفضلة ومحببة لديه على أية ملابس من ملابس البنات.

كانت «إعتماد» تعمل بجد في ضرب العجينة وقرصها وقلبها على كل جانب..

وبعدها أشـــعلت نيران الفرن ببعض قطع فروع الأشـــجار الجافة.. وبدأت في خبز بعض قطع الخبز.. وصلت رائحة الخبز الطازج الشهى إلى أنف «نديم»..

ســـار وراء أنفه وحاسة الشـــم القويةِ إلى أن وصل إلى حيث تجلس «إعتماد» أمام فتحة الفـــرن الصغيرة وهي تُخرج أرغفةً مخبوزةً وتضع مكانها عجينةً مستديرة..

مدّ «نديم» يدهُ إلى إحدى الأرغفة الطازجة الساخنة.. وإذا بيد «إعتماد» تهبط على يدهُ الصغيرة لتضربهُ بعنف مع صياحها فى وجههُ..

.. أنت مجنون.. عايز تأكل العيـــش قبل أولادى.. انتظر حين يعودون من المصنع..

.. أنت جابوك منين !!.. منك لله يا عطوة..

وقبل أن تُكمل كلامها كان «نديم» قد أختفى من أمامها وجلس خلف النافــذة ذات القضبان الحديدية يراقــب عودة الأولاد من المدرسة وهم يسيرون في خط واحد كما فعلوا في الصباح..

ســـار «نديم» في صباح اليوم التالى خلـــف البنات وأخوهم الصغير..

ادخلوه إلى الريس «مندور» ملاحظ الأنفار.. والكل في الكل.. كما يطلق دائمًا على نفسه..

نظر إلى «نديم» بعمق.. ثم أطال النظر.. وسأله.... أنت بتتكلم عربى ؟!..

أجابه نديم في تردد.. «نعم»..

«منـــدور» : «أُمال شـــكلك عامل كده ليـــه زي الأجانب ولاد الخواجات؟!!..

«نديم» : «لا أدرى..»

«مندور» : «بتعرف الأرقام ؟!!..» يعنـــي تعد واحد.. أثنين.. ثلاثة.. وهكـــذا»..

«نديم» : «نعم» أنا كنت شاطر جدًا في الحساب ودايمًا أجيب الدرجه النهائية..

«مندور» : «حساب أيه ؟!!..» «هو أنت بتروح المدرسة ؟!!..» أمال أنت هنا في الصباح بتعمل ايه ؟!!».. «ليه ســـايب مدرستك ؟!!..» «نديم» : «أنا كنت باروح المدرســـة..لكن شكلى كده مش هاشوفها ثاني أبدًا..

ثم أطلق تنهيدة عميقة.. خلعت معها قلب «مندور»..

«مندور» : «ولا يهمك يا بني.. شكلنا كده حانتكلم كتير.. لكن لا وقت الآن ثم طلب منــــه أن يقرأ بعض الأوراق أمامه كى يختبر قدرتهُ على القراءة..

قرأ «نديم» بإجادة.. مما أسعد «الريس مندور»..

فلم يوكل إليه بأقل الأعمال وأحقرها.. كما يفعل مع كل صبي أو فتاة وافدة جديدة.. بل أوكل إليـــه مهمة القيام بِعد الأقفاص الممتلئه بالفاكهه وتدوين العدد بالكشف مع تحديد كل صنف في صفحة خاصة.. وحدد له راتبًا يزيد عن البنات وأخوهم الصغير.. عمل «نديم» بإجاده تامه فقط كانت مهمه سهله لمن يجيد القراءة والكتابة..

وفي نهايه اليوم.. إنتفض الريس «منـــدور» واقفًا رافعًا يده بالتحية.. وجسده يرتعش من الفرحه وصاح في الجميع.. جميع العاملين «الست هانم».. ثم دخلت سيده أنيقه منمقة.. تبدو عليها آثار العظمة..

ثم بادرت بســـؤال «الرئيس مندور» إيه الإخبار ؟! الشـــغل عامـــل إيــه ؟!

أعطى الرئيس مندور تقريرًا شفويًا ومفصلًا وذكر لها الوافد الجديد «نديم».. إلتفتت «الهانم» إلى «نديم» وإســـتدعته لتسأله : «هل أنت مصري ؟!..

أومأ «نديم» برأسه.. وعلامات الدهشه على وجه «الهانم».. ثم إستدارت عائدة من حيث أتت..

أخذ «نديم» طريقة خلف البنات واخوهم في العوده..

وهو ما بين فرحًا بعمله الجديد وحزنه على حرمانه من الذهاب إلى المدرسه.

حُرمت نعمة الأنجاب.. وظلت لســـنوات تسمع وتشاهد أنباء وأخبار كل سيدة من أسرتها أو أصدقائها.. تُرزق بمولود جديد.. فما عليها إلا تقديم الهدايا مع بضع كلمات تُبارك بها الأم مولودها الجديد مع إبتسامه منغمسة بالحزن والألم الذي يعتصر قلبها كل ليله ونهار..

جابت عيادات الأطباء.. ووصل بها الأمر إلى أستعمال الوصفات الشعبية..

لكـــن كلمة الله نافذة.. لم تحمل أحشـــاءها بطفل من زوجها ضابـــط الجيش «فكري الصباغ» الذي دخل عليها بعد غياب لأيام طوال للدفاع عن الوطن ضد المعتدى الإسرائيلي على الأرض ومن فوقها طائرات إنجليزية وفرنسية وأيضًا إسرائيلية..

لكن الله خذل الأعداء وكان النصر حليف لمصر.. وخرجوا من البلاد يجرون أذيال الخيبة..

دخل عليها وفي يدهُ فتاةً ســـمراء جميلة.. بشعر طويل لكن يملؤهُ التراب..

وملابس متسخة وهي في حالة أعياء شديد من أثر البكاء طوال الطريق من بور توفيق إلى القاهرة..

صورة ما حدث من شـــجها لرأس الثعبان الحقير «يوســـى كاتســـير» أو «خنزير» لا تفارق عيناها.. لينتقم من طفلة صغيرة بقتل أباها وأمهـــا وخالها وهدم منزلها.. أمام عيناها ولولا هربها والركض بعيدًا لدهسها تحت جِنزير دبابته اللعينة..

وما زالت آثار الدموع على وجنتيها ظاهرة للعيان..

شرح «فكري» لزوجته «اسعاد» ما حدث..

إنشرح قلبها وهي تسمع حكايه الطفلة الصغيرة.. رغم إعتصار قلبها بالألم لما حدث لها إلا انها شعرت انها ربما تكون مكافأه من الله على صبرها وحرمانها من الأنجاب..

إهتمت «بكاميليا» كثيرًا.. قدمـــت لها الطعام وحممتها بالماء الساخن.. وألبســـتها بعضًا من الملابس التي كانت كبيره عليها للغاية ممـــا جعلها تنخرط في ضحك متواصـــل وهي تراها في ملابسها الواسعة..

وضعتها في السرير إلى جوارها.. وآخر ما سمعته من «كاميليا» قبل أن تسقط جفناها إيذانًا بالبدء في نوم عميق..

«أبي.. أمي.. خالي..» أين أخي «نديم» هل تاه.. ضاع أخي !!

إســـتعد «فكري الصباغ في اليوم التالي في إجتماع بالقيادة العامة للقوات المسلحة» مع حضور لبعض عناصر من المخابرات العامة والحربية للإجتماع..

وبعد تقديم «فكري الصبـــاغ» لتقريره عن حرب56 وحصر الخســـائر.. دار نقاش مطول بين الرجـــال.. وكان واضحًا جليًا أنه لابد من إعاده هيكلة الجيش المصري وتنظيم وإعاده تسليح وتدريـــب القوات وأيضًا لابد من إمتـــلاك منظومه للدفاع الجوي لصد الأعداء بطيرانهم عن العبث بالسماء المصرية و حماية تراب الوطن الغالي..

فتحت حركات تنقلات واســـعة بين الضباط وتم أختيار الأكثر خبرة وكفاءة منهم لقيادة بعض المناطـــق.. فتم وضع «فكري الصباغ» في أولوية الضباط الموكل اليهم أنشاء القيادة الشمالية للقوات المســـلحة.. فتقرر نقلهم الى الأسكندرية للإعداد وأنشاء قاعدة عسكرية تحمى شمال البلاد..

غمرت «إســـعاد» «كاميليا» بكم وفير من الحب والرعاية.. مما خفف من آلام وجروح الصغيرة.. لم يكن ســـهلًا عليها ما مرت به فى أيام قلائل.. وفقدانها لأسرتها وأخيها..

التحقت «كاميليا» بالمدرســـة لفترة قليلة قبل انتقالهم جميعًا للعيش في الأســـكندرية وتحديدًا في حى العطارين.. وهو حى عريق ذا تاريخ وباع في انتشار المتاجر ذات الطابع الفنى والذوق الرفيع من متاجر أثاث وأقمشـــة ولوحـــات فنية تعبر عن الذوق الرفيع التي عرفت به مصر في تلك الفترة..

و حـــي العطارين به خليط من جنســـيات مختلفة تقطن به وتتعايش في ســـلام وحب.. حيث كانت الأسكندرية وعرفت بأنها

مدينة «كوزوموبوليتانية» أي جاذبة لكل الجنسـيات مع أختلاف أديانهم.. و كان فيهـا جاليات من اليونـان وإيطاليا، ومالطا، أرمينيا..وغيرهم كثر مع أختلاف الأديان.. فأنتشرت فيها الكنائس والمعابد اليهودية..

وكانت تضـم أيضا جاليه يهوديه ضخمه يسـكن أغلبها في تجمع سكاني عُرف بإسم حي اليهود.. وقد ساهم وجود الأجانب في إزدهار الإقتصاد المصري..

إنتقلت أُسـره «فكري الصباغ» وزوجته «إسـعاد» والشغالة «سـنيه» وبالطبع معهم «كاميليا».. إلى شقه في حي العطارين في بنايه صغيره وكان الجيران في غايه اللطف حيث إستقبلوهم بترحاب شديد..

وخاصه جارهم الجريجي «اليوناني» «أنطون» أو «طوني» كما كان يناديه البعض وهو يملك محل بقالة.. وزوجته «نارفارا» تعمل خياطه.. وإبنتهما «لاريسـا» التي كانت في مثل عُمر «كاميليا» تقريبًا و أسره أخرى يهوديه.. لكنهم يبعدون عنهم بعده أمتار.. وفي الأيام الأولى إسـتطاعت كاميليا التعرف على بعض الفتيات والأولاد في الحي أثناء اللعب سـويًا.. وفـي إحدى المرات كانت «كاميليا» تشـكل فريقًا مع «لاريسا» الجريجيه ضد فتاه مصريه وأخرى يهوديه..

وقد فاز فريق «كاميليا ولاريســـا» في اللعب على فريق الفتاة المصرية والفتاة اليهودية وإذا بالفتاة اليهودية تغضب بشـــده وتتهم كاميليا ولاريسا بالغش في اللعب..

مما آثـــار غضب «كاميليـــا» وأنفجرت فـــي وجهها بأقصى العبارات ووصفتها أنها هي وكل جاليتها بالغشاشين والكاذبين والمحتلين.. إنها تكره اليهود كافه..

عادت كاميليا إلى بيتها.. باكية..ودموعها تنهمر بشدة من أثر ما حدث فهي لم تقبل أن تُتهم بالغش ولم تتخيل أيضًا أن مثل هذا الأمر البسيط يخرج كل ما فيها من غضب وكأنها ضغطت على زر خلفه الخنزير أو يوسي كاتسير..

فتذكرت كل ما حدث منذ زمـــن قريب فى بور توفيق.. وهدم بيتها أمام عينهـــا ووضعها أمام الدبابة علـــى الأرض.. وفقدانا لأخيها.. غير موت أبيها وأمها وخالهـــا.. وكأنها كانت تنتقم في صورة تلك الفتاة اليهودية..

أستقبلتها «إسعاد» بلهفة وقلق.. مسحت دموعها وأحتضنتها وأخذت تربت على كتفيها..

خرج «فكري الصباغ» من حجرة النوم حيث كان يبدل ملابسه بعـــد عودته من العمل على صوت نحيب وبـــكاء «كاميليا» وبعد أن أســـتمع إليها وقد قصت ما حدث بـــكل أمانه وكيف أن الفتاة اســـتفزتها وأخرجت كل ما فيها من حقـــد وغضب على اليهود.. أجلسها «فكرى» إلى جانبه وأبتسم في وجهها وأخبرها أنها ليست

مخطئة لكن هناك أمران لابد وأن تتعلمها طيلة حياتها.. الأولى.. أن الإنسان القوي هو من يستطيع التحكم في غضبه وكبح جماح نفسهِ وأن يعرف متى وأين يخرج غضبه ويطلق له العنان..

أما الأمر الثاني.. وهو كره اليهود..

فكري :.. هذا خطأ كبير وهناك لبس في معلوماتك ومفاهيمك.. دعيني أشرح لك.. اليهود هم أُناس مسالمين ما لم يأتِ منهم فعل شنيع.. اليهوديه ديانه مثل الإسلام والمسيحيه.. فلا ينبغي أن نكره أصحاب أي ديانة نحن كمسلمين مطالبين أن نؤمن بها وبكتابها ونبيها.. لكن إذا كرهت دولة إســـرائيل المحتلة لأنها سرقت أرض فلســـطين وأحتلتها.. فأنت على صواب.. لأنني شخصيًا أكره هذه الدوله المحتلة لأراضينا العربيه.. وإذا كرهت الحركة الصهيونية العالميه.. فأنت أيضا على حق..

وهنا أوقفته «كاميليا» بعد أن جفت دموعها تمامًا وهدأت وهي تســـمع بإهتمام وبادرت بالسؤال.. «يعني إيه الحركه الصهيونيه العالميه»..

فكـــري :.. إنها حركة عالمية أو منظمة أسســـها رجل يدعى «تيودورهيرتزل» في 29 أغسطس عام 1897.. وكلمة صهيونية نسبة إلى جبل «صهيون» الواقع في فلسطين..

ربما في مناسبة أُخرى أشرح لك كل التفاصيل..

لكن مـــا أطلبه منك هـــو أن تفرقي بين اليهودي المســـالم والصهيوني.. والإسرائيلي المحتل..

الآن.. إخرجي إلى البقال المجاور لنا واشـــتري بعض الحلوى وإذهبـــي إلى بيت الفتاه اليهودية.. هل تعرفين أين تســـكن ؟!! أومأت «كاميليا» بنعم وقدمـــي لها الحلوى وإعتذري لها.. وعودا صاحبتان كما كنتما.. والآن إعطي بابا فكري حضن كبير..

عاد نديم إلى ســـجنه.. في بيت «عطوه وإعتماد» وظل قابعًا خلف النافذه ذات القضبان الحديديه وكأنه مسجون ينتظر إعلانه بموعد الإفراج عنه.. لم يشـــعر ودموعه تجري على خديه بعد أن تذكر أخته كاميليا..

وفـــي الصباح كالعادة.. ذهب إلى العمـــل في مصنع الفواكه بنفس ملابســـه التي حضر بها من بور توفيق وقد إتسخت بشكل لافت للنظر وصارت له رائحه غير محببه للنفس..

يســـير خلف البنات وأخيهم الصغير وعينـــاه تراقب الأولاد الذاهبين إلى المدرسه..

بعد أن إنتصف النهار.. إنتفض الجميع وقوفاً وســـاد الصمت المكان فقد حضرت الهانم.. وبعد أن تفقدت ســـير العمل نظرت إلى «نديم»وأطالت إليه النظر وظهرت على وجهها مســـحه من الحزن وأغرورقت عيناها بالدمع.. لكنها تمالكت نفسها وسيطرت على كل قطرة تريد الخروج.. حبســـتها داخل مقلتيها.. ثم رفعت رأسها.. وتقدمت إلى نديم.. وسألته :

لماذا ترتدى نفس الملابس ؟!!.. فهي تحتاج إلى الغسيل.. لماذا لا تغسلها.. أقصد تعطيها إلى «اعتماد» زوجة «عطوة» لغسلها.. صمت «نديم» لفترة ثم أجاب بخجل..

..أنا لا أملك غيرها..

هنا لم تستطع «الهانم» السيطرة مجددًا على نهر وشلال الدموع فأنخرطت في البكاء.. وأستمرت لدقائق في حالة بكاء.. والجميع ينظر إليها..

في حالة ذهول.. فهى دائمًا المرأة القوية التى تدير المكان بدلًا من زوجها الباشا نظرًا لإنشغالهُ الشديد.. فهى دائمًا حازمة وصارمة مع الجميع.. الآن تبدو ضعيفة في حالة من الأنكسار لم يعهدها أحد في المكان من قبل..

وكأنهم يكتشفون جانبًا طالما كان خفيًا مظلمًا.. لم يظهر أبدًا للعيان.. نهضت من مكانها وهي تخفى وجهها بيدها وسارت ببطء دون أن تنطق بكلمة إلى أن أختفت عن الناظرين.. والجميع يهمس ويتساءل.. إيه حكايه «نديم» الوافد الجديد مع الهانم.. لماذا يستحوذ على أهتمامها بهذا الشكل فهى لم تهتم بأيًا من أولاد الفلاحين أو بناتهم..

وتقدم الريس «مندور» من «نديم» ليسأله.... أنت كنت تعرف الهانم قبل كده ؟!!..

مرت ساعة.. وعقل «نديم» الصغير لا يتوقف عن التفكير فيما حدث..

شــــعرَ بالخوف.. هل الهانم غاضبه عليه.. ربما لا يؤدي عمله بالكفاءة المطلوبة.. هل هي غاضبه بســـبب رائحته ؟! وملابسه المتســـخة ؟!.. معها كل الحق.. فهو يعمل في الفاكهة.. ولابد أن يكون على درجة من نظافة البدن..

ظلت الأسئلة حائرة داخله.. مما أصابه بالتوتر.. فأخطأ في عد بعض صناديق الفاكهة وقام بعدها مرة أخرى خوفًا أن يُخطئ في العدد قبل أن يدونها في الكشف..

عادت الهانم مرة أخرى.. وتكرر المشهد ذاته.. صمت الجميع وأنتصبـــوا في حالة وقوف.. لكن ما تغير هـــو وجه الهانم الذي أعتلته الإبتســـامه وبدا عليها نضاره وإشراقة غطت على مسحة الحزن السابقة..

ثم تقدمت إلى «نديم» ومدت يدها إليه بحقيبة صغيرة وقالت : «هذه لك.. الآن تستطيع أن تستحم وتبدل ملابسك كل يوم».. ثم توجهت بحديثها.. إلى بنـــات عطوة وأوصتهنّ أن يهتمنّ بنديم.. وأن يبلغن «إعتماد» أن الهانم توصيها على «نديم»..

قضى «يوســـى كاتســـير» أو خنزير كمـــا كان ينادونه أهل بورسعيد أســـوا أيام حياتة.. حيث تلقى الأوامر بالأنسحاب من سيناء.. حيث أن القوات الإسرائيلية بعد إنتهاء حرب 1956 والتى أستمرت تسعه أيام ثم تمركزت فى سيناء وظلت بها حتى السادس من مارس عام 1957 وصدرت الأوامر من القيادة السياسية وعلى

رأسها «ديفيد بن جوريون» رئيس الوزراء الإسرائيلي بإنسحاب جميع القوات من سيناء لتعود إلى الضفة المحتلة..

ثار «يوســـى كاتســـير» وهاج وظل يصرخ فيمن حوله.. أنه يرفض الأنسحاب.. يرفض الأوامر.. وقيل له أنها صادرة من «بن جوريون» شخصيًا..

لكنه هاج أكثر وأكثر.. وظل هكـــذا في جدال مع قادتهم في المعسكر فى سيناء.. الى أن فقد أعصابه.. وهدد بأن يقوم بعمل جنونى إذا لم يتراجع وزير الدفاع ومعه رئيس الوزراء الإسرائيلى عن هذا القرار..

وظل يهذى.. أنه يكره المصريين وأن سيناء هي أرض الميعاد هي أرض «موشى» أو «موسى».. فقد علم والده الحاخام اليهودى «كاتســـير» أن أرضهم شاسعة فهى من النيل إلى الفرات أي أنها تشمل مصر كاملة وباقى الدول العربية إلى العراق..

وهو يرتضى الآن بأن تكون البداية من سيناء.. لكن تطلبون أن ننسحب.. من أرضنا.. نعم هي أرضنا وليست أرض المصريين..

زاد جنونه.. سحب بعدها ســـلاحه الآلي وفتح النار على من حوله.. قتل ثلاثة ضباط وجنديان.. وأصاب تسعة آخرين.. إلى أن إستطاع الباقي السيطرة عليه وأوثقوه بالحبال.. حتى تنفيذ قرار الإنسحاب والعودة..

وما أن عادت القوات الإســـرائيليه.. تم تقديم «يوسي كاتسير» إلى محاكمة عســـكرية عاجلة.. كانت نتيجتة أن تم تجريده من

رتبته العسكريه وحرمانه من أية مســـتحقات ماليه وفصله من الجيش بالإضافه إلى إيداعه بالســـجن الحربي لمده ثلاثة أعوام.. ثار وهاج أثناء إقتياده إلى محبســـه.. وأســـتخدم كل الحركات والألفاظ للإعلان عن إستيائه وغضبه من غباء القادة والظلم الواقع عليه ثم ختمه هذا المشـــهد البشع بجملة «مفيش حد فاهمني».. على الجانب الآخر كان هناك من يتابع وقائع قضية قتل «يوســـي كاتسير» لثلاثه من زملائه وإصابة تسعة.. كما كان يتابعاها عن كثب أيضًا.. ضابط المخابرات الإســـرائيلي «شاؤول بن عامي» وزميله الضابط «حاييم جدعون»

اللذان يعملان في «الموساد» جهاز المخابرات الإسرائيلي منذ عدة أعوام..

وكانا موكلان بمتابعة نشـــاط المصريين في أوروبا وتحديدًا في اليونان.. وقد كان رجال الموســـاد في هذه الفترة يعانون من نقص شديد في المعلومات عن مصر.. القياده.. الجيش.. الوضع الداخلي.. الإقتصاد بشكل عام..

وكان أكثر ما يقلق الساسه والقادة في إسرائيل وعلى رأسهم «بـــن جوريون»رئيس الوزراء وأيضًا كان يشـــغل منصب وزير الدفاع منذ عام 1955..

هو الإجابة على سؤال واحد.. «هل يستطيع العرب وعلى رأسهم مصر الهجوم على إســـرائيل وطردهم من فلسطين وإغراقهم في البحر كما كان يدعي بعض القادة ؟»..

ما هي الإمكانات والإستعداد ومستوى تسليح الجيش المصري على كافة الأفرع خاصه قوات الطيران والدفاع الجوي والبحرية.. نشـــط رجال الموســـاد بكثافه في تجنيد العديد من الجواسيس داخل مصر وخارجها ولكن في الوقت ذاته كان الجهاد المخابرات المصري لهم بالمرصاد إذا إســـتطاع الإيقاع بعدد لا بأس به من الشبكات التجسسية داخل مصر وأيضًا خارجها..

فكانت الحرب مشتعلة بين كلا الجانبين..

وكان رجال الموساد بحاجه إلى عملاء جدد يتسمون بالوطنية والولاء لدولة الكيان الصهيوني (إسرائيل) مع الخبرات العسكرية المناسبة بالإضافه إلى المظهر اللائق واللباقة والتحدث بعدة لغات إن أمكن..

كثف «شـــاؤول بن عامى» و «حاييم جدعـــون» إجتماعاتهم وعرض أمامهم العديد من الأســـماء.. لكن تقـــدم «حاييم» برأى فاجىء به «شاؤول» إذ أخرج ملفا وضعه أمام «شاؤول» مكتوب عليه قضية «يوسى كاتسير»..

كان «حاييم» يرى أن «يوسى كاتسير» هو الشخص المناسب لزرعهِ داخل اليونان لمحاولة تجنيد الشـــباب المصرى المهاجر والهارب من بلدهِ نتيجة يأسه و بؤســـه وعدم قدرته على إيجاد وظيفه للعمل مما يزيد معها حقده وكرههُ للنظام.. والمقصود به «عبد الناصر» وأيضًا على البلد ذاتها..

نظر إليه «شاؤول» واستغرق دقائق في التفكير قبل أن يُعقب : شاؤول :.. انت أكيد تمزح يا حاييم.. «يوسى» هذا شاب مجنون ومتهور وهذا ضد أبسط قواعد المخابرات التي تعلمناها.. فسوف يسقط من أول يوم ويكشف كل شـــيء.. أنه عنيف وحاد الطباع وجميع زملاؤه كانوا يشـــتكوا منه قبل أن يقتل ويصيب منهم ما أستطاع..

حاييم :.. أعرف كل هذا.. وهذا ســـبب ترشـــيحى له.. ولدىّ الأسباب..

أولًا : هو وطنى للغاية ويكـــره المصريين.. ثانيًا : له خبرات عسكرية عريضة وهذا بشهادة قوادهُ..

ثالثًا : وهذا هـــو الأهم..أنه ليس له نقطة ضعف.. فهو لا يهتم بالنســـاء وليس مقامرًا او سكيرًا ولا يعرف في حياتهُ إلا الجندية والعسكرية وكفى..

حتى أبوه الحاخام الذى كان متعلقًا به فقد مات العام الماضى.. لذا أراهُ مناسبًا للغاية.. يبقى فقد شيء واحد..

شاؤول : «وما هو ؟!!..»

حاييم : «شراســـتة ورد فعلهُ المتهور والعنيف.. وأنا أرى أنه بالتدريب والصبر عليه من الممكن ترويضهُ والسيطرة على غضبهُ وشراستهُ..»

شاؤول : «وهل تعتقد أن هذا الصنف من الناس يقبل الترويض أو حتى تعديل في السلوك ؟!!..» إذا قرأت في ملف خدمتة فستجد

أن أكثر شـــكوى القادة منه هو عصيانـــه للأوامر وأنه كما يقول المصريين «ماشى بدماغهُ»..»

ضحِـــك الأثنان.. وأمتدت الجلســـة بينهما لســـاعات طويلة أســـتعرضا فيها كل الجوانب في شـــخصية «يوسى كاتسير» أو خنزير..

وبعد جهد بدا الأقتناع واضحًا على «شـــاؤول».. وأتفقا على عرض هذا الأمر على رئيس جهاز الموساد شخصيًا ليبُت في الأمر.. حيث أن الوقت ضيق وهم يسابقون الزمن لزرع عنصر جديد في اليونان..للتعامل مع الجالية المصرية هناك ومحاولة الإيقاع بعدد من الجواسيس للإســـتفاده منهم داخل مصر وخارجها في جمع أكبر قدر من المعلومات..

إنتفض الجميع في مصنع الفاكهة وقوفًا.. بعد أن دخل الخفير.. وهو ينادي ويصيح بأعلى صوته.. «الباشـــا على وصول.. الباشا جاي..كله إنتباه..» مرت لحظات ودقائق ثقيله على الجميع.. قد تسمع ضربات قلب أحدهم من سرعتها وشدتها.. وخاصًة «نديم» الذي يسمع عن الباشا فقط ولم يراه أو يقابله.. بل لم يرى ويقابل أي باشا في حياته..

وصل صوت الباشا جهوريًا من الخارج إلى مسامع الجميع.. وبين كلمة وأخرى يســـمعون صوت فرقعة السوط يهوى به على

الأرض أو علـــى ظهر أحد الفلاحين المهمليـــن والمقصرين في عملهم..

إنخفض وقل شـــعاع الشـــمس مع دخول الباشا حيث حجب بجسده الضخم بعضًا من نور النهار..

نظر نديم من الأســـفل إلى الأعلى.. بوتًا أسود طويلًا يصل إلى أعلى الركبه..

وبنطال بني اللون واسع بعض الشـــيء.. ثم جاكيت أسود.. وفوق الجاكيت رقبة عريضة محاطة بمنديل مربوط بعناية حول العنق.. وفوقهم رأس كبير بوجه شديد البياض مع بعض الحمرة وشعر رمادي ناعم وعينان زرقاوان.. وشارب رمادى..

..حالة من الصمت ســـادت المكان مع تقدم الباشا ومن خلفه الهانم..

حتى وصل إلى منتصف المصنع.. وإذا به يهوى بالسوط على الأرض يحدث فرقعة عاليـــة ويصيح.. «لما تتوقفون عن العمل.. هيا..أشتغلوا»..

وعادت خليه النحل للعمل مرة أخرى وأسرع من ذا قبل بكثير.. تقدمت الهانم من أُذن الباشا وقد بذلت مجهودًا واضحًا كي ترفع من رقبتها وتشـــرأب إلى أعلى كى تطال أُذن الباشـــا.. وهمست ببضع كلمات..

نظر بعدها الباشا إلى نديم...

أطال النظر.. ثم مد يدهُ إلى جيـــب الجاكيت العلوي وأخرج نظارةً طبية.. ارتداها وأطـــال النظر إلى «نديم».. خلع النظارة.. ونظر إلى الهانم ثانيًا.. التي قالت : «مش قلت لك يا باشـــا».. ثم أشارت إلى «نديم»..» تعالى هنا..

تلفت «نديم» حوله.. ونظر إلى الباشا.. وأشار إلى صدره وهو ينطق بلا صوت.. تحريك الشفاه فقط.. «أنا !؟».... أنا !؟....تقدم «نديم» في خوف وعينه مثبتة على السوط في يد الباشا اليمنى..

ينتظر أن ترتفع ليسلخ السوط جلد «نديم» النحيل..

وإذا بالباشا.. حشمت باشا رستم.. ينحنى وينظر إلى «نديم» نظرة عميقة....نظرةً حانيـــةً.. وزادت النظرة حنانًا أكثر.. ألتفت الباشا إلى الهانم : «فعلًا.. عندك حق.. يا ربى.. لا أصدق..»

تشجع «نديم» بعد سماعهُ تلك الكلمات.. ورفع رأسهُ إلى أعلى بعد أن أمن غدر السوط.. والتقت الأربع عيون الزرقاء..

طالت النظرات.. تلتها ابتســـامات ثم مدّ «حشمت باشا» يده إلى يد «نديم» وصحبه وســـار به إلى الخـــارج ومن خلفه الهانم والأبتسامة لا تفارق وجهها ..

وعلى العكس فقد خيم الوجوم على جميع العمال والأستغراب.. فهم نادرًا ما يشاهدون حشمت باشا رستم.. ودودًا.. عطوفًا لهذة الدرجة.. وعيناه تتحدث بدلًا من السوط..

وكان أكثر المذعورين هم.. الريس مندور... والبنات الثلاثة.. وقد شهد «عطوة» بعضًا مما حدث..

طال الصمت بين الجميع.. وســـط تبـــادل النظرات بعيون مفتوحة عن آخرها.. والكفوف تضرب بعضها بعضًا.. بدأ الهمس والتســـاؤلات و تناثرت علامات الأستفهام في كل مكان فى أرجاء المصنع.. فهي المرة الأولى التى يشـــاهدون بها الباشا بقسوتة وجبروتة وشـــدتة ونظراتة الصارمة.. هكذا كالطفل الودود على ركبتيه أمام «نديم»..

وقع ارتطام شديد.. استفاقت علي إثره «كاميليا» وهي مازالت متابعة في مكانها كرســـى القطار الخشبى.. وهى ممسكة بشدة وعصبية في حركة لا إرادية على كتابها.. ولكن عقلها قد عاد الى سنوات طويلة مضت..

تذكرت الكثير والعديد من المواقف..

دق قلبها بشـــدة مع صوت الارتطام العالى.. حاولت أن تفهم ماذا حدث ؟

تلفتت حولها فلم تجد مفتش القطار لتســـأل.. لكنها سمعت بعض الجمل والعبارات تتناثر هنـــا وهناك فهمت منها ان هناك عطل في خط القطار ربما سيتســـبب فـــي تأخير القطار بعض الوقت.. شـــعرت بالجوع.. أخرجت من حقيبتها لفافة بها بعض قطع البســـكويت قد صنعتها ماما «إسعاد» خصيصًا لها.. فهى تعرف انها تحب طعم جوز الهند.. فصنعت لها تلك الحلوى بجوز الهند..

ماما «إسعاد».. كم هي حنونة.. آه. أنها طيبة للغاية.. وتحبها كثيرًا وكأن الله قد حرمها الانجاب.. ليدخر لها كل الحب المتراكم منذ ســـنوات في قلب «إســـعاد» لينهمر فوق «كاميليا» كالشلال الهادر ليعوضها عما مـــرت به وهى لازالت طفلة من أهوال الأيام الأخيرة في بور توفيق..

الدبابة.. الخنزير.. هدم البيت.. موت الأبوين والخال.. وأخيرًا فقدان الأخ «نديم»..

ســـاد الصمت داخل العربة التي يجرها الخيل.. ويجلس فيها الباشا وبجواره الهانم وفي مقابلهما يجلس «نديم».. الذي حاول الابتســـام عندما تلتقي عيناه بعين الباشـــا أو الهانم.. وبداخله عشرات الاسئلة.. بلا إجابات.. والخوف يتملك من أعضاءه.. لدرجة أن لسانه لا يعينه أو يساعده على النطق بالسؤال المنطقي .. أين أنا ذاهب ؟! أين تذهبون بي.. ماذا حدث

يبدو أن الامر ليس ضدي فى شـــئ.. فالابتسامات والود الذي ألقاه من الباشـــا عكس ما ســـمعت عنه تماما.. فدائما الحديث عنه يأخذ منحي الشـــدة والغلظة التي تصل إلى الضرب بالسوط أحيانا.. الجميع يهابه.. ربما لإختلاف ملامحه عنهم جميعا.. فهو أبيض بوجه يميل للإحمرار وعينان زرقاوان ..

شكل الخواجات.. أبعد ما يكون عن الملامح المصرية.. يقولون أنه مـــن أصل تركي من ناحية الأب ومن أصل إنجليزي من ناحية الأم..

هذا يفسر لماذا هو مختلف الشـــكل وملامح الوجه عن بقية المصريين..

وهنـــا قفزت الي رأس «نديم» ملاحظة... إنه هو أيضا... بوجه أبيـــض يميل للإحمرار وعينان زرقاوان وملامح ليســـت مصرية ودائما ما يسمع تعليقات كل من يقابله حول هذا الأمر.. ويسألونه.. هل هو مصري.. أم ابن خواجة... وكيف لي أن أكون بملامح غير مصرية.. أبي «أبو زيد» وأمي «زينب» يختلفان في الشـــكل إلى أبعد الحد عن شكلي.. وكذلك أختي «كاميليا»..

لابد في المسألة من لغز يحتاج إلى حل كأشياء كثيرة تمر بى كالألغاز تحتاج أيضًا إلى حل.. لماذا أنا هنا في العربه مع الباشا والهانم..

ولماذا تعاملني خالتي إعتماد بفظاظة وقسوة.. دائمة الصراخ في وجهي ولماذا أخذت حقيبة الملابس التي أعطتني إياها الهانم وأختارت لي قطعة واحدة ووزعت الباقي بين بناتها..

وأين أختـــي كاميليا ؟.. وإلى متى ســـأبقى هنا ؟.. وماذا لو طردني عم «عطوة» وخالتي «إعتماد» خـــارج منزلهم.. إلى أين أذهب.. ؟! ليس لي أقارب ولا أعرف أحدًا من أسرتي.. كُنت أسمع

أن أبي أصوله من الصعيد وكذلك أمي وخالي حامد.. «الله يرحمهم جميعًا»..

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

إســـتغرق الإجتماع الذي ضم «شـــاؤول بن عامي» و «حايم جدعون» ومدير الموساد الإســـرائيلي عدة ساعات.. بحثوا فيها جميع جوانب قضية «يوسي كاتسير» أو خنزير.. وأيضًا الدوافع الكامنة داخله والنابعه من كرهه للمصريين وأيضًا توصيات أبيه الحاخام اليهودي أن أرض مصر وسيناء هي ملك لليهود كما ورد في التلمود..

استعرضوا أيضًا أهدافهم ومدى قدرته على تنفيذ تلك الأهداف..

خرجوا من هذا الأجتماع أن هنـــاك أمر واحد بالغ الصعوبة.. وهو الســـيطرة على الثور الهائج «يوســـى» كما وصفه «حاييم جدعون».. فهو سريع الأنفعال.. سريع الغضب.. لا ينصاع للأوامر بســـهولة بالأضافه إلى استخدامه العنف كحل أول إذا ما واجهتة أى مشكلة..

ولكـــن بعد محاولات من «شـــاؤول» و «حاييم» لأقناع رئيس الموساد الإســـرائيلي أنهما قادران على السيطرة عليه.. وسوف يتضح ذلك من خلال البرنامج التدريبى الموضوع له.. وعلى ضوء تلك الفترة سيتأكد لديهم ان كان يصلح.. أم لا !

..وافـــق رئيس الموســـاد.. على فترة تدريـــب بدنيه وذهنيه وأيضًا على العمل المخابراتى وكشف المراقبة والتجسس وجمع المعلومات وأيضًا ارسال الرسائل المشفرة..

بإستعمال أنواع مختلفة من الشفرة..

واذا نجح في ذلك.. ســيتم تدريبه علـــى كيفية إنتقاء عملاءه وطرق تجنيد كل عميل حسب حالتة وظروفه..

ولكن يتبقى السؤال الهام.. ماذا لو رفض «يوسي كاتسير» من البداية فكرة الأنضمام لجهاز المخابرات الإســـرائيلي «الموساد» وطلب أعادته لصفوف الجيش ؟!!..

دخلت «الكارته» العربة التي يجرها حصان وعلى متنها الباشا والهانم و»نديم».. عبر حديقة قصر الباشا أو «السرايا» كما كان يطلق عليها أهل البلد..

حديقة بديعة للغاية.. منظمة ومنسقة بعناية محاطة بأشجار النخيل والصفصاف والزهور فى كل مكان فى أحواض منفصلة مقســـمة حســـب الألوان وفى ركن من الحديقـــة توجد برجولا خشـــبية.. وحولها مرجيحة حديدية ومكسوه بالقماش البرتقالى اللون وفى وســـط الحديقة وأمام مدخل القصر توجد نافورة من الرخام الأبيض ومحاطة بأربعة تماثيل تأخذ الشـــكل الأغريقى.. صعد «نديم» الدرج الرخامى الأبيض خلف الباشـــا والهانم.. وقد

هرع بعض من الخدم لتحية الباشا والهانم.. وهم ينظرون خلسة لمن يسير خلفهما..

..وبعد اجتياز باب القصر.. تسـمر «نديـم» في مكانه وهو يتلفت حوله وينظر في كل إتجاه.. السـقف عالٍ للغاية ويتدلى فى وسطه نجفه كريستالية ضخمة.. اللوحات الفنية في كل مكان سواء لمناظر طبيعية بديعة أو لأشـخاص بالملابس الباشاوية الرسـمية وبعضهم يرتدى وشاحًا أخضر بعرض الجسد وبعض النياشين والأوسمة..

الزهور الطبيعية موزعة في كل مكان.. كل شـيء فخم جدًا.. مُبهر جدًا..

أول مرة يرى فيها «نديـم» قصر لأحد النبلاء أو الأغنياء.. كما كان منذ سـاعة.. أول مرة يرى فيها باشا.. والهانم حرم الباشا.. وأول مرة يعتلي «كارته» عربة باشاوية يجرها حصان..

أحداث سريعة ومتلاحقة تمر به وكلها تجارب يخوضها لأول مرة.. فُتح باب جانبي.. وخرجت منه إلى بهو القصر.. سيدة أنيقة وهي تدفع امامها كرسي ذو عجلات.. وتجلس فوقه فتاة في نفس عمره تقريبًا..

يهرع إليها الباشـا ومن خلفه الهانم.. يقبلها الباشـا كثيرًا ويداعبها ولاحظ «النديم» بوادر دموع أغرورقت بهما عينا الباشا الزرقاوان والتي مال بياضها إلى اللون الأحمر..

لا يمكن أن يكون هو نفس الباشـــا الذي يحكي ويتحاكى عنه أهل البلدة وعمال المصنع..

هكذا يتمتم «نديم» في ســـره.. إنه عطوف.. ودود طيب للغاية مرهف المشاعر بالإضافه أن «دمعته قريبة» كما يقولون..

ثبُتت الفتاه القعيدة فوق الكرســـي ذو العجلات بصرها على «نديم»..

لاحظت ذلك الهانم.. تقدمت إلى «نديـــم» وقربتة منها.. وإذا بالفتاه تصرخ وتهلل.. تضحك تارة وتبكي تارة أخرى..

والباشا يقف على مقربة.. يتابع ما يحدث..

لا يعرف «نديم» كيف يتصرف.. لماذا تبكى.. هل بسبب منظره وهيئتة المتواضعة.. هل لازالت له رائحة غير محببة.. أو ربما لأنه غريب وهي لا تعتاد أو تألف الغرباء..

وإذا بالهانم.. تقول للفتاة.. لا يا «إيفا».. ليس هو..

حاولت الفتاة «إيفا» الحديث وبصعوبة قالت : «نبيل»..

تقدم إليها الباشا وجثم على ركبتيه قائلًا : لا يا «إيفا» إنه يشبه «نبيل» اخوكي.. انه فتى يعمل لدينا في مصنع الفواكه..

ازداد ضيق الفتـــاة.. وزاد بكاؤها وهي تنظر إلى أعلى وكأنها تتذكر شيئًا من الماضى..

أشارت الهانم إلى السيدة التى تقف خلف الكرسى ذو العجلات أن تعود «بإيفاء» إلى داخل الحجرة..

وبعد دقائق سمعوا جميعهم أصوات عالية وأشياء تتكسر من داخل الحجرة.. هرع الباشـــا الى هناك وإذا بلعبة أعطتها السيدة لـــ«إيفا» ملقاه على الأرض مكسورة..

شعر «نديم»بخوف شـــديد.. من «نبيل» هذا.. ولماذا تصرخ الفتاة هكذا..

أدار جسده وتوجه إلى باب القصر مغادرًا..

وإذا بصوت من خلفه بنبرة حاده.. استنى هنا..

توقف «نديم» انه الخادم.. يسأله.. ان كان يريد شيئا فعليه أن يستأذن الباشا.. وماذا يريد أن يشرب ؟!..

ان كان ســـيقدم له مشـــروبًا.. فلماذا أوقفه بحده وأمره أن يستأذن الباشا الأمور هنا تبدو غريبة وغير منطقية.. الألغاز تزداد والأجابات غائبة..

.. طلبت الهانم من نديم الدخول إلـــى الحجرة حيث «إيفا».. وتركتهما في حضور السيدة التي عرفت نفسها أنها دادة «علية» وبعد مرور بعض الوقت ســـاد الهدوء المـــكان.. وعادت الهانم للحجرة.. لتجد «نديم» يلعب ويشارك «إيفا» بعض ألعابها وهى ســـعيدة للغاية وكأنها تراها على هذة الحالة من السعادة للمرة الأولى..

ثم طلبت «إيفا» أن تخرج للتنزة مع «نديم» في الحديقة..

دفعت دادة «علية» الكرسى ومعهما «نديم» الى الحديقة..

كانت «إيفا» سعيدة بالزهور وبعض الفراشات المتناثرة على مقربـــة منها.. تقدم «نديم « وقطف زهـــرةً حمراء.. وقدمها إلى «إيفا»..

وأثناء التجول.. قصت الدادة «عليه» حكاية «إيفا»و «نبيل» وقد أزال ما سمعه الكثير من الغموض..

عليه : «نبيل» هو شـــقيق «إيفا» الأصغر.. ومنذ عامان ألح في الطلب من أبيه الباشا.. الذهاب إلى المصيف.. حيث كان الجو هنا في العزبه حارًا للغاية في شهر أغسطس..

وكان الباشـــا مشـــغولا للغايه في بعض الأمور السياســـية والإجتماعات مع الحزب الـــذي ينتمي إليه.. ويقال أنه ربما يوكل إليه حقيبة وزارية..

إقترحت الهانم أن يســـمح لهم بالســـفر مع الخدم ومعي أنا «عليه».. لكن الباشا كان يخاف أن يسبح «نبيل» وحده في البحر دون رعايتة الشـــخصية حيث كان الباشا يجيد السباحة وحصل على عدة بطولات في السباحة في فترة شبابه..

والمعروف عن العجمي حيث تقـــع الفيلا الخاصة بهم وهي مصيف العائلة أن بحر العجمي صعب السباحة فيه وأحيانًا تكون هناك دوامات..

وأقترحت الهانم أيضًا أنهم يمكن أن يصطحبوا «مجاهد» إبن ناظر العزبه.. فهو حصل على عدة بطولات في السباحه حيث كان مجندًا في القوات البحرية بالأسكندرية..

وافق الباشـــا على مضض بعد أن أوصى «مجاهد» بالإهتمام بـــ«نبيل» وقت السباحة.. وأنه لابد أن يعلمه أساسيات السباحة في البحر المالح وأن عيناه لابد أن لا تغيب عنه لحظه..

ثم أعطاه مبلغًا كبيرًا من المال نظير عمله..

وقبل الســـفر إلى العجمي.. كان الباشا قد توجه إلى القاهرة لمباشـــرة أعماله.. ظهر «مجاهد» ليستأذن الهانم إذا كان بوسعه أن يصطحـــب معه خطيبته إلى العجمي فإنها لم يســـبق لها أن ذهبت إلى مكان خارج البلدة..

وافقت الهانم.. ورحبت بهما..

وبعد مرور عدة أيام..

كان «نبيل» يعوم ويسبح في البحر أمام الفيلا.. والهانم تجلس في الشرفه تستمع للمذياع..

تركه «مجاهد» وحده.. ووقف على الرمال على الشـــاطئ مع خطيبتة ثم أمسك يدها وصار سويًا يتمشيان على الشاطئ.. مرت فترة من الوقت.. وإذا بالجميع يسمع صراخًا..

أن هناك من يغرق داخل البحر..

نظر الجميع.. قفز مجاهد إلـــى المياه.. نظر حوله يبحث عن «نبيل» لم يجده.. سبحه بأقصى ما يمكنه من طاقة إلى أن وصل إلى من كان يكافح الغرق.. إنه نبيل.. لكن الوقت كان قد فات.... مـــات نبيل غرقًا.. وخرج مجاهد حاملًا نبيل بين ذراعيه من الماء وضعه على الأرض.. فعل كل ما تعلم من إســـعافات أوليه لإنقاذه

لكن الروح كانت أسرع من مجاهد ومحاولاته وخرجت عائده إلى ربها آمنه.. راضيه مرضيه..

هنا توقفـــت داده «عليه» عن الكلام «نديـــم» ينظر إليها في شغف.. وماذا بعد ؟؟!..

ولكن نظراته إليها لم تكن كافيه لينتزع منها باقي الأحداث.... سألها بشكل مباشـــر : «ماذا حدث بعد ذلك.. ماذا فعل الباشا.. وماذا كان رد فعل الهانم.. ولماذا هي هكذا ؟!! « وأشار إلى «إيفا» القابعه فوق الكرسي المتحرك..

تنهدت داده «علية».. وأخرجت أنفاسًا ثقيلة طالما كانت جاثمة فوق صدرها.. ثم أخرجت المزيد من الزفرات..

«عليه» : «لا أســـتطيع أن أصف لك تلك الأيام يا ولدي.. ومدى الحزن والجرح الذي ضرب الباشـــا والهانم في مقتل.. وبعد أن أنتهـــت أيام الحداد وعاد العقل إلى صوابه.. طار العقل ولكن في إتجاه آخر..

فقد علم الباشـــا.. أن «مجاهد» الذي أوكل إليه الباشـــا مهمة العناية بـــ «نبيل» بيه... وتدريبه على السباحة.. قد إنشغل عنه وتركه ليتســـامر مع خطيبتة.. وأهمل في العناية به.. إلى أن لقى حتفه..

تحول الباشا الطيب الودود المسالم.. إلى وحش كاسر..

أخرج السـوط من خزانة قديمـة بها أغـراض كان والده يستعملها.. وعزف عن الكلام باللسـان.. وصار الكلام والتفاهم فقط بالسوط «الكرباج»..

أمسك.. بمجاهد.. وأبيه (ناظر الزراعة).. وخطيبته وأسرتها.. توقفت دادة «عليه» ثانية.. والدموع تسقط من عيناها..

لا أستطيع أن أصف لك ماذا فعل بهم جميعًا.. لا داعي لذلك.. لكن فـي النهاية وبعد أن فعل كل ما يطفـئ ناره بفقدان ولده «نبيل» بيه قام بطردهم جميعًـا من البلده بعد أن هدم بيوتهم.. وأحدث في مجاهد عاهه تمنعه من ممارسـة السباحة إلى الأبد.. وأيضًا عاهـه أخرى تمنعه من الزواج من خطيبته التي ترك ولده يغرق من أجل مغازلتها....

أيام صعبة يا ولدي.. لم أتخيل أن أعيش أحداثها بنفسى وأراها تحدث أمام عيني.. ومنذ ذلك اليوم.. لم يعرف الباشا لغة الحنان أو الود.. إلا اليوم فقط أراه على غيـر صورته.. عاد الحب والود إليه.. لك الفضل يا ولدي.

لم يفهم نديم هذة الجملة الأخيرة.. رغم هول كل ما سـمعه.. وازدياد رعبه بعد أن علم جزء مما حدث «لمجاهد» ومن حوله..

«لك الفضل».. كيف يكون لي الفضل.. لا أفهم شيئًا.. لماذا أنا هنا.. رغم سعادتى بوجودي داخل قصر الباشا.. السرايا التى لم يحلم قط بالمرور حتى أمام أسـوارها الشاهقة.. والآن هو يتنزه فى الحديقة بصحبة بنت الباشـا والداده.. يعامله الباشا الحازم

القاسى كما يقولون عنه أو يروجون الأساطير عن شدته وجبروته ويجمع أهل البلد أن «ايده طايلة» حتى عمدة البلدة يهابه ويحسب له ألف حساب..

والهانم تحنو علىّ بشـــدة أكثر من خالتى إعتماد وعم عطوة اللذان أعيش في كنفهما وأعطيهمـــا كل ما أربحه من المصنع.. أطلق «نديم» العنان للســؤال الجاثم على صدره.. وســـأل داده «عليه»..

وصرح لها بما يدور داخله..

فإذا بها تبتســـم في ود.. «ببساطه يا ولدى لأنك تشبه سيدى «نبيل» بيه إلى حد كبير.. فكل من يراك يظنك هو..

والفرق بينكما هو الهيئة الخارجية والمظهر.. فسيدى «نبيل» بيه كان دائمًا منمقًا لامعًا.. يرتـــدى أفخم الثياب والأحذية.. في أبهى صورة.. إبن باشا..

أما أنت يا ولدي.. غلبان مثلنا.. هـــل فهمت الآن ؟!.. وقبل أن يجيبهـــا «نديم».. صرخ صرخًه عالية.. فقـــد إنهارت قطعة من الحجارة على ظهره.. آلمته كثيرًا..

إلتفت خلفه.. لمح شبح إنسان يركض بسرعة ويختفى خلف شجرة في الحديقة..

..وإذا بالداده «عليه» تضحك بصوت مرتفع..

توجه «نديم» إلى مكان الشـــجره وســـار بحذر.. ليرى جسد نحيل يختبئ خلفها..

فإذا بها فتاة في مثل عمره تقريبًا.. وقبل أن يتقدم «نديم» خطوة أخرى سمع صوت دادة «عليه» يصيح.. تعالي يا «فايزة»..

فإذا بالفتاة الصغيرة المختبئه خلف الشـــجرة تركض بسرعة لتختبئ ثانيًا ولكن خلف ثياب داده «عليه».. عاد نبيل إليهم.. وإذا بـــ «إيفا» تضحك وتبدو سعيدة.. وتقول «فايزة»..

إنها «فايزة» إبنه داده «عليه» ودائمًا ما كان يحدث بينها وبين «نبيل» شجارًا يصل إلى حد القذف بالحجارة.. ودائمًا كان «نبيل» هو الفائز في هذة الجولات..

ظنت «فايزة» أن «نديم» هو «نبيل».. كان غائبًا وقد عاد..

لكن أمها أطلعتها على الحقيقة وأن من قذفتة بالحجارة هذة المره ليس سيدي «نبيل» بيه وإنما هو شاب بسيط مثلنا وإسمه «نديم» إنضمت فايزة إليهم أثناء التنزه في الحديقة..

مر اليوم في ســـعادة من الجميع.. شعر الباشا حينها أن الله عوضه بنديم المتحـــرك.. المرح.. الذي يحبه الجميع.. عوضًا عن إبنه الوحيد «نبيل»..

فهل حقًا يستطيع أن يعوضه غرق وموت إبنه.. أو حالة الشلل التي عليها إبنته «إيفا» التي لم تســـتطع السير على أقدامها طوال حياتها..

فهي ولدت هكـــذا.. بعيب خلقي في الجهـــاز العصبي.. ولم تستطيع المشي.. فهي هكذا قعيدة طيلة عشرة سنوات كاملة..

قبل الغروب.. عاد «نديم» داخل «الكارته».. العربة التي يجرها الحصان.. وحده هذه المرة.. إلى بيت «عطوة» و «إعتماد»..

* * * * * * *

تحركت عدة مجموعات بأمر وتعليمات من «شاؤول بن عامي» و «حاييم جدعون».. مجموعة تراقب تصرفات «يوسـي كاتسير» داخل محبسه في السجن الحربي.. ومجموعة أخرى تقوم بجمع المعلومات المفصله عن سـلوكة عندمـا كان في الجيش.. وآراء زملاؤه فيه وكذلك آراء رؤسـاءه وقادتـة.. وكل ما كان يقوم به وتحديدًا في فترة دخول القوات إلى بورسـعيد.. ثم عودتها إلى سـيناء والعريش.. وبقاء القوات هناك لفترة.. ثم العودة والأمر بالإنسـحاب إلى داخل حدود الأراضي المحتلة منذ عام 1984.. إلى الحادثة المشهورة وقتلة لزملائه..

وكيف تعامل مع المصريين من أهل بورسـعيد.. وكذلك كيف كان سلوكه مع أهل العريش من بدو سيناء..

وقد حرص ضباط المخابرات (الموسـاد) وكذلك المخابرات الحربية على التعتيم الكامل وفرض السـرية الشديدة على عمليه قتل «يوسي كاتسـير» لثلاثة وإصابة تسعة.. فهي فضيحة بكل المقاييس.. فضيحة للجيش الإسرائيلى أمام العالم.. وكذلك أمام العـرب الأعداء تحديدًا.. إذ يبدو الجيش غير متماسـك ومهلهل والضباط يقتلون بعضهم.. وهذا عكس ما أرادت إسرائيل إيصاله للعرب والعالم.. بأن جيشها متماسك وقوي ومنظم للغاية وليس

هناك مجال للعبث بداخله وأن كل شيء يدار بشكل علمي حسب قواعد العســـكرية وأحدث نظم التدريب والتسليح.. وبعد أسبوع تقريبًا قدمت كل مجموعة تقريرها المفصل إلى اللجنة المشـــكله برئاسة رئيس الموســـاد شخصيًا.. وعضوية كلًا من «شاؤول بن عامى» و «حاييم وجدعون» وهي اللجنة الموكلة في البت في أمر «يوسي كاتسير» أو خنزير للإستعانة به فى العمل المخابراتى..

صارت الأمور بشـــكل رائع في حياة «كاميليا» الجديدة وسط رعاية وحب «إســـعاد»والضابط «فكرى الصباغ» وكانت سعيدة بصداقتها للفتاة اليونانية الجميلة «لاريسا» واستطاعت بعد فترة ليســـت بالطويله من تعلم اللغه اليونانية واتقانها.. فقد ساعدتها «لاريســـا» على تعلمها.. وأيضًا تعرفت على عـــادات الجريج أو اليونانيين في مختلف مناحى الحياة.. وكان «طونى» و«نارفارا» يحبان «كاميليا» للغاية ولم يكن هناك ما يؤرقها أو ينغص عليها العيش ألا حزنها على فقدان أخيهـــا «نديم».. تحلم به كثيرًا فى نومها..

وعدها الأب الجديد «فكرى الصباغ» عن طريق علاقاتة بمحاولة البحث عن «نديم» أو حتى معرفة أى معلومات عنه.. لكن للأسف.. لم يتلق أى رد إيجابى ممن اتصل بهم ويعملون فى بورسعيد..

هكذا هي الحياة لا تعطى كل شـــيء.. تعطيك وتمنحك أشياء كثيرًا لكنها تحرمك أيضًا من أشياء أخرى.. انه الرزق يوزعه الله

بالعدل بين عباده..ولن يحصل الأنســـان على كل ما يتمناه.. لابد أن يكون هناك حرمان كى تســـع وبجد للحصول عليه.... «وليس للإنسان إلا ما ســـعى».... هكذا كان شرح وتفسير بابا «فكرى» لكاميليا حين تذمرت وتســـاءلت عن ســـبب حرمانها من أخيها وضياعه..

حكمة الأب تتدخل دائمًا في الوقت المناسب..

اجتهدت اللجنة المصغره القابعة في مبنى الموساد.. في قراءة كل تفصيلة صغيرة فى التقارير..

أتفق ثلاثتهم أن التقارير جميعًا تصب في صالح القرار بضم «يوسى» إلى رجال الموساد..

لكن أكثر ما كان يؤرقهم هو تطابق بعض الجمل التي وردت من كل مجموعة علمًا بأن كل مجموعة لا تعرف الأخرى..

هي أن «يوسى كاتســـير» إعتاد منذ إنضمامه للجيش بتدوين مذكراته..

فهو يكتب يوميًا قبل أن يخلد في النوم كل ما يحدث في يومه.. يكتب عن كل شيء.. عن التدريب وأنظمه الجيش.. والأسلحةالتى يتدرب عليها.. وزملاؤه.... إلخ

كذلك يكتب عن إنطباعه الشـــخصى فـــي كل من حوله ونوع العلاقة معه..

كما كان يكتب عن أبيه الحاخام قبل موته وبعدها ومدى تأثيره عليه..

والعمل بما كان يوحى به أو يقوله.. يدون كل شيء.. ويحتفظ بتلك الأوراق في مكانًا ما لا يعلمه إلا هو..

يا للكارثة.. هكذا قال ثلاثتهم في صوت واحد.. ا

إذا وقعت تلك الأوراق في يد أى عميل أو جاســـوس يعمل لدى المصريين..

فســـوف تكون بمثابة كنز من المعلومات.. لابد من إيجاد هذة الأوراق..

..فنحن بالكاد أســـتطعنا أخفاء حادثه قتلـــه لزملائه الثلاثة وإصابة تسعة والتعتيم على الخبر.. فلم يعلم بهذة الحادثة إلا من كان شاهدًا عليها فى ذلك الوقت..

وتم التنبيه عليهم ألا يتحدثوا عنها مطلقًا مع التحذير والتهديد لهم بويل العقاب والجـــزاء اذا خرجت منهم معلومة واحدة بهذة الحادثة.. فلابد ان يتناســـاها الجميع تمامًا وكأنها لم تكن.. الآن مذكرات !! إنها الطامة الكبرى..

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

لاحظ «نديم» بتغيـــر في معاملة «إعتماد» و «عطوة» والبنات أيضًا بعد عودته من سرايا الباشا.. صاروا يعاملونه بلطف واحترام شديد لكن أيضا بحذر شديد وبعض الخوف..

كذلك في المصنع.. كان الجميع يعمل له ألف حســـاب حتى رئيســـه.. الريس «مندور» تغيرت معاملته.. وتوقف عن أعطاءه الأوامر أو توبيخه إذا أخطأ..

لم يشعر «نديم» بهذا التغيير رغم ظاهره الذي يبدو فيه الراحه والأرتيـــاح والمكانة المرموقة لكن خلفه نـــوع من الحقد الدفين والكره لشخصه..

وفي نهاية اليوم في المصنع.. همَ «نديم» على السير إلى بيت «عطـــوة» كما يفعل كل يوم.. الا انه يجد من يناديه.. انه ســـائق الكارته.. يطلب منه الركوب معه قائلًا.... «الباشا والهانم.. أمرا أن تذهب معي إليهما في السرايا».. فرح «نديم» لكنه شعر بالحرج عندما شـــاهد جميع العاملون وقد توقفوا عن السير إلى منازلهم وظلوا يراقبونه وهو يصعد إلى الكارته.. والحصان البني الجميل.. يســـير بهمه في طريق مختلف عن طريقهم جميعًا.. إنه الطريق إلى سرايا الباشا..

راقب عيناهم.. التي إمتلأت بالغيرة والحقد عليه.. مع ســـماع بعض همســـات أصواتهم التي وصلت إلى الإســـتنكار وصل إلى مسامعهم قول إحداهن «إشمعنى هو يعنى» ؟!!..

هل من الجائز أن يجتمع عددًا مـــن أهل البلده والعاملين في مصنع الفواكة المملوك لــــ حشمت باشا رستم.. على تغذية روح الكره داخلهم.. لتتحول من نبته كره صغيرة الى فروع وأغصان من الحقد والنقم على ولد لم يبلغ الثانية عشـــرة من عمره.. هل لأنه غريب عن أهل البلدة ؟!.. هل لكونه وحيدًا.. مجهول النسب.. لا يُعرف من هم أبواه ؟!.. أم لأنه يختلف عنهم جميعًا في الشكل والمضمون.. مظهره يشـــبه الأجانب.. الخواجات.. ملامح ليست

مصرية.. وأخلاقه مختلفة.. فهو قليل الكلام.. قليل المشـــاكل.. لا يتزمر.. كما يفعل باقي الصبية في مثل سنه.. لا يبحث عن اللهو واللعب طوال الوقت يتتوق شوقا إلى إستكمال دراسته.. يقرا كل ما يقـــع أمامه من كتب أو جرائد أو حتـــى قصاصات من الورق البالى..

جاءت الموافقة المبدئية على إخراج «يوســـى كاتســـير» من محبسه.. لينضم إلى رجال الموساد الإسرائيلي.. ولكن ليس قبل أسبوع.. يتم أثناء ذلك الأســـبوع التحقيق معه ومحاولة معرفة مكان مذكراته..

وفى نفس الوقت يقوم رجال الموساد بتفتيش دقيق لبيته دون ترك أى أثر وراءهم بحثًا عن مذكراته.. التي تحوى أسرارًا خطيرة حسب زعم كل من تحدث في هذا الأمر..

في حجرة جدرانها مكســـوه باللون الأســـود.. وعلى طاولة مستطيلة.. جلس «كاتســـير» مكبل اليدان.. (فقد كانوا يخشون غضبه وثورتة)..

وقبل البدء بأى ســـؤال موجه إليه.. طلب علبه من السجائر.. وساعده المحقق فى أشعال أول سيجارة ومعها كوبا من القهوة.. عرض عليه المحقق كاسًـــا من النبيذ إذا رغب.. لكنه أجاب بأنه يكره الخمور على عكس عادة الأسرائيليين.. فجميعهم يعشقون

الخمور.. وربما تخلو منازلهم من الطعام ولكنها لا تخلو من أنواع الخمور المختلفة..

فكما قيل عنه.. ليســـت له نقطة ضعف.. لا يهوى النساء.. ولا يشـــرب الخمر.. أى أنه ليس بسكير.. ولا يلعب القمار.. لكن هي المذكـــرات اللعينة التي تؤرق ذهن كل من يشـــترك في ضم هذا الثور الأهوج إلى رجال المخابرات الأســـرائيلية.. والسؤال القائم دائمًا.. «هل من الممكن ترويضه؟!»

بعد أن أخذ النفس الثاني من سيجارته التي يضعها بصعوبة في فمه نظرا للقيود الموثقة حول معصميه.. تقدم المحقق وفك قيوده.. قائلا.. هذا فقط بشكل مؤقت كي تستطيع تناول القهوة والسيجارة...

وبدأ المحقق في إلقاء السؤال الأول...

نظر إليه «يوسي كاتســـير» أو خنزير.. نظرة طويلة ثم أطلق ضحكة ساخرة فى أرجاء الجدران السوداء.. وهو يدور بنظره إلى السقف والجدران من حوله وإذا به يبادر المحقق بسؤال بدلاً من أن يجيبه على سؤاله..

.. أين تضعون الكاميـــرات.. وهل الحائط الذي على يميني أم علي يســـاري هو من يقف خلفه رؤساءك وأســـيادك يراقبونني ويحللون حركاتي وسكناتي وكل انفعالاتي..

ترى.. هل أبدو أنيقا بملابس الســـجن.. وهل أدخن السيجارة بشـــكل راقي أم مقزز وهل أرشف قهوتي وأحدث صوتًا عاليا أم أحاول تصنع الرقة والذوق..؟!

ثم ضحك ثانية ضحكة طويلة.. وصمت بعدها وتبدلت ملامحه للغضب اســـتعدادا للثورة.. وأضاف بصوت مرعب وصراخ عالٍ للغاية.. كفاكم عبثًا.. ودعكم من هذه الأساليب القديمة..

ليس لدي ما أقوله.. أريد العودة الآن إلى زنزانتى..

ثم امسك بكرسيه بعد أن نهض من فوقه وألقاه على المحقق الجالس في الجهه المقابله من الطاولة..

دخل بسرعة رجال حراسته القابعين خلف الباب وأنقضوا عليه وأعادوا وثاقه وإقتادوه إلى محبسه ثانيًا.. سار معهم وهو يضحك ساخرًا..

إستطاع رجال المخابرات الدخول إلى مسكن «يوسي كاتسير» في جُنح الظلام.. دون أن يشعر أحدًا من الجيران بأي حركة غير عادية.. وبعد قضاء أكثر من ثلاث ســـاعات من التفتيش الدقيق.. فشلوا في العثور على أثر لمذكرات هذا «الكاتسير»..

قررت بعدها اللجنة الموكله ببحث حالته بتوصية من «شاؤول بن عامي»وزميله حاييم جدعون»..ســـرعة البدء في تدريبه كى ينخرط في العمل المخابراتى نظرًا لحاجتهم الشديدة لمن هم في مثل مهاراته ووطنيته..

وبعد أن وافق على العمل لدى الموســـاد.. بدأ على الفور في البرنامج التدريبى.. لإكســـابه المهارات علـــى الهدوء والرزانة و الثبات الانفعالي.. جمع المعلومة.. طرق التخفي وكذلك كشـــف المراقبـــات والهروب منها.. وأشـــياء ومهارات أخـــرى كثيرة.. بالإضافه إلى الوسائل الســـرية في المراسلات كإستعمال الحبر السرى.. وأجهزة الإرسال عبر شفرة مورس.. وغيره..

الغريب ورغم تمرده لكنه أبدى تعاون أبهر الجميع وكان شعلة نشاط في التعلم..

وصارت أكبر مشكلة تواجههم وهي كيفية ترويضه والسيطرة عليه.. هي أبســـط الأمور.. لكن بين الحين والآخر.. يظهر بصورة وحشية عكس ما هو عليه طوال فتره التدريب.. ولم يحاول كتابة أى مذكـــرات أثناء تواجده في فترة التدريب.. فهل توقف حقًا عن كتابـــة وتدوين ما يحدث له أم أنه مـــا زال يكتب ولكن بعيدًا عن أعين رجال المخابرات القائمين على تدريبه..

ربما هو قد أستسلم بالفعل لأوامرهم.. أو أنه يتقن اللعب معهم ويســـتطيع فعل كل ما يريده دون أن يشعرون ولا يرون فيه إلا الأبتسامة لكنه في الخفاء يفعل ما يريد..

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

تكررت زيارات نديم إلى قصر الباشا والهانم.. بعد إنتهاء يوم عمله في المصنع كل مســـاء.. فقد لاحظت الهانم وكذلك الباشا أثناء تواجد «نديم» في السرايا بصحبة «إيفا» و «علية».. أن حالة

التلعثم في الكلام التي صاحبت «إيفا» منذ غرق شقيقها «نبيل» قد تحسنت كثيرًا وإستطاعت أن تتحدث بجودة أقرب إلى الطلاقة.. وكذلك رفضها للعلاج الطبيعي وطرد أخصائي العلاج الطبيعى.. إلى تقبل العــلاج الطبيعى والإنقياد لأوامر الأخصائى في تحريك أرجلها من وقت لآخر.. وذلك كله بحضور وتشجيع «نديم»..

وعلى النقيض.. فلا زالت «فايزة» تتناحر وتتشاجر مع «نديم» من وقت لآخر وسط مراقبة وضحكات أمها «عليه» من وقت لآخر.. طلبت الهانم فى تلك الأثناء من الباشـــا أن يوافق على إقتراحها.. بأن يسمح «لنديم» بالعيش معهم في السرايا بصفة دائمه.. نظرًا للتطور الهائل الذى حدث لإبنتهما «إيفا»..

وبعد سماع الباشا لإقتراح الهانم.. نهض من مكانه غاضبًا..

..نعطف عليه نعم.. نرحب به نعم.. أشعر أنه فيه شيئ ما قريبًا

منّنا... لكن يعيش معنا.. فلا.. لا.. لا..

أنا لم أنسى ولن أنســـى ماذا فعل الرعاع بنا عندما أعطيناهم الأمـــان والثقه في مراعاة المرحوم «نبيـــل».. تركوه يغرق وهما يتغازلان ويتبادلان عبارات الحب..

لن أســـمح أن يحدث هذا ثانيًا لإبنتي الوحيدة «إيفا» وإتركها ليلًا نهارًا مع هذا الولد.. الذي لا نعرف له أصلًا..

فمن كنا نعرف أصلهم خذلونا.. فما بالك بالغريب..

نعطف عليه ونعطيه الهدايـــا.. لكن ليقيم معنا بصورة دائمة فهذا أمر مرفوض ولا تحادثينى فيه مرة أخرى..

تحدث الباشا بما يراه وربما كان محقًا.. ولكن ما لا يعلمه هو عدم قبول «نديم» بالتواجد في الســـرايا أو العيش لديهم.. فهو لا ينســـى نظرات أهل البلدة وعمال وعاملات المصنع كل مساء.. وهمساتهم والغمز واللمز الحادث..

فهو لا يستطيع أن يأكل طعامًا شهيًا وهناك جائعًا ينظر إليه..

لن يستطيع بلع اللقمة.. كذلك الحال بتواجده في السرايا.. فهو يتمنى ألا تحضر «الكارته».. لأنه لا يقوى على رفض الذهاب إلى هناك !.. للسرايا..

فقد أحســـنت إليه الهانم وأحســـن إليه الباشا.. وهو يكره أن يكون جاحدًا ولا يرد الجميل..

لا ينكر شعوره بالســـعادة في وجوده وسط «إيفا» و «عليه» وحتى «فايزه» التي تناكفه وتشاجره كثيرًا..

لكنه يكره لحظة ركوبه الكارته.. والســـير به وســـط طرقات البلدة.. نظرات الأهالي تقتله وكذلك همسات عمال المصنع تقطع من جسده بلا رحمه..

لحظه ثقيلة عليه للغايـــة لحظة صعوده الكارته يتمنى وقتها أن تنشـــق الأرض وتبتلعه كما يقولون.. ويجد نفسه داخل سرايا الباشـــا.. دون ركوب الكارثه ودون السير في طرقات البلدة فهو يحب السرايا.. منذ أن دخلها لكن يكره ما قبل ذلك..

سادت لحظة صمت رهيبة.. الوجوم على وجه «إسعاد».. تحول بعدها الوجوم.. إلى بكاء.. ثم إلى نحيب..

فتحـــت «كاميليا» باب حجرتها لتراقب مـــا يحدث في صالة البيت.. الضابط «فكرى الصباغ» يربت على كتف «إسعاد» محاولًا تهدئة روعتها..

قائلًا :.. «انها فترة بســيطة ســتمر ســريعًا.. ولن تنقطع الخطابات والمراسلات بينهما..»

خرجت «كاميليا» إلى الصالة مذعــورة.. لماذا تبكي يا ماما «إسعاد»..

وبعد محـــاولات مضنية.. علمت «كاميليـــا» ان أبيها «فكرى الصباغ»تم اختياره ضمن مجموعـــة من الضباط للحصول على فرقة تدريبية لمدة ثلاث سنوات فى موسكو بالأتحاد السوفيتى..

لم تتمالك «كاميليا» دموعها التي هطلت بسرعة عجيبة فكانت تحب أباها الجديد.. فطالما كان يداعبها ويحنو عليها ويشرح لها كل الأمور الصعبة ويســاعدها في استذكار دروسها المدرسية.. كيف تكون الحياة دونه لثلاث ســنوات طوال.. لماذا عندما نعتاد على وجود الســند ونميل بأجسادنا لنستند عليه.. يختفى فجأة.. تسقط أجسادنا..

نحاول النهوض ثانيًا لكن لا نجد إلا الفراغ لنستند عليه..

بصعوبة بالغة.. إســتطعت أن أتناســى فــراق أبي وأمي.. عوضني الله بكما وأستقرت حياتي أخيرًا وعرفت معنى السعادة

رغم غياب أخي وشـــقيقي «نديم».. لكن حبكما ورعايتكما كانت فيها كل العِوض..

والآن.. نقطة ومن أول السطر.. نعود إلى نقطة الصفر.. يغيب الأب.. السند.. العائل.. الرفيق..

نظرت إليها «إســعاد» بشفقة وحب وشـــدتها إلى أحضانها لتحتضنها بقوة..

ومد الأب يده ليداعب شـــعرها.. محاولًا تخفيف وطأة الخبر عليها.. محاولًا بكل كلمات التطمين بعث الأمان وإحياؤه داخلهما...

كانت كلماته لها مفعول السحر.. فقد كانت له شخصية قوية لكن مملوءة بالحنان الذي يكفي العالم بأسره..

وبعدها أضاف.. هيا إرتديا أجمـــل ثيابكما.. أنا عازمكم على العشاء في أجمل وأفخم مطاعم الأسكندريه..

كم هو جميل أن يُحاط الإنســـان بمن يُحبهم ويُحبونه.. لكن هل يمُن علينا القدر بوقت أطول من السعاده.. أم أنه من نواميس الحياة أن نُحرم ممن نحب.. ماذا إقترفناه من ذنوب لنعاقب بفقد الأحباب..

يتلاشى معه الشعور بالأمان..

وهل تستمر الحياة مع غياب الأمان.. ؟!


بعد مرور عدة
سنوات

توقفت ســــيارة كبيرة تابعة للجيش المصرى وخلفها سيارة أخرى صغيرة..

أمر بواب قصر الباشا.. السرايا.. رجل ذو هيئه عسكرية.. تلعثم أمامه حارس البوابة وطلب منه أن ينتظر حتى يســـتأذن الباشا في السماح لهم بالدخول بالسيارتان إلى الحديقة.. وإذا بالرجل ينفعل عليه بشــــدة.. ويأمره ثانيًا وهو يشير للرجال بالنزول من العربية.. وقبل أن يجيب حارس البوابة طلبهم بفتح البوابة.. قام الرجـــال بدفعه.. وتوثيقه ووضعه جانبًــــا وفتحوا البوابة لتدخل السيارتان..

دخل الرجل ذو الهيئة العســـكرية.. يحـــدث ضجيجًا مرتفعًا بأقدامه وحذائـــه الثقيل ومن خلفه الرجال الذين أنتشـــروا في المكان.. خرج الباشـــا من حجرة مكتبه غاضبًـــا من الأصوات العالية.. فإذا به أمام الرجل الذي يعرفه بنفســـه..إنه من «لجنه التطهير»..

ذهل الباشا بعد إســـتماعه لشرح ســـريع من الرجل.. لجنة التطهير هي المنوط بها جرد ممتلكات الباشا والهانم.. حيث صدر ضده قرار التأميم..

جلس على كرسيه لا يدرك ما يحدث حوله.. والرجال منتشرون يعبثون بالتحف واللوحـــات الفنية النادرة.. وقطع الأثاث الفخمة

وبعضهم في الطابق العلوي يعبثـــون أيضًا بمجوهرات الهانم.. وكل غالٍ ونفيس بالقصر..

نعم أنه قرار التأميم نابعًا مـــن قانون الأصلاح الزراعى الذى أصـــدره الرئيس جمال عبـــد الناصر.. مصـــادرة وتأميم أموال الباشـــوات والأغنياء أو الأقطاعيين كما كان يُطلق عليهم في ذاك الوقت..

لم تشـــفع دموع الهانم أو ذهول وغضب الباشا الذى منع من أستعمال الهاتف..

.. وقت مصادرة كل ممتلكاته.. ولم يتبق له شيء في القاهرة أو العزبة التي بها السرايا.. ولكن لم تكن تعلم لجنة التطهير اي شـــئ عن فيلا العجمى «المصيف» فقد كتبها الباشا بإسم «إيفا» منذ ولادتها..

إنتشـــر الخبر بين أهل البلد.. فالمصنع لم يعد مصنع الباشا.. فتم وضع الحراسة عليه والسرايا بالحديقة لم تعد ملكًا للباشا بكل ما فيها من مقتنيات حتى الكارتة والحصان تمت مصادرتهما..

فرح أهل البلدة وهللوا وحمدوا الله على حضورهم مشـــهد ذل الباشا واهانته..

وقال كل فلاح كلمته التي توحـــدت في جملة واحدة.. «الحق رجع لأصحابة»..وتبدلت نظرة الجميع الى كل من كان قريبًا من الباشا.. أختفى الأحترام والهيبة والخوف.. وحط مكانهم التشفى والفرح والأفكار الأنتقامية..

وبينمـــا كان نديم يســـير عائدًا من الســـرايا إلى بيت عطوة وإعتماد..

قابلته عجوزًا.. لتخبره أن الجميع يبحث عنه للإنتقام والتشفى فيه.. وأولهم إعتماد وبناتها..

.. لا تذهب إلى هناك يا ولدي.. ســـينكلون بك.. ســـوف تهان وتعامل أحقر معاملة وتطرد ويقذفون بك وسط الكلاب الضالة..

لم يجد «نديم» أمامه الا الهرب.. والتنقل من مكان لآخر حتى استطاع الوصول الى محطة الحافلات التى استقلها متوجهًا إلى الأسماعيلية وهناك.. عد ما تبقى معه من نقود وكانت بالكاد كافية لأن يستقل حافلة أخرى لتقله إلى بورسعيد.. مسقط رأسه..

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

بدأ «يوسى كاتسير» الخنزير.. عمله الجديد في شركة مصايد أعالى البحار وهى الغطاء أو الساتر الذي سوف يعمل من خلاله فـــي تجنيد عملاء جدد من المقيمين فـــي اليونان من المصريين والعرب.. لإغراقهم في خيانة الوطن.. لجمع المعلومات والتجسس لصالح إسرائيل..

وقد أنهى «كاتســـير» تدريبه على إدارة الأعمال وكل ما يتعلق بســـفن الصيد.. وبدأ بأربع سفن صيد كبيرة.. وعدد من العاملين في الشـــركة بالأضافة إلى عدد كبير مـــن الصيادين للعمل على مراكب الصيد.. وهذة هى المصيدة الكبرى والشبكة المحكمة التي عن طريقها يتم إصطياد العمال والصيادين المهاجرين..

من مصر وخاصة من هـــم من مدن القنـــاة والناقمين على الأوضاع الاقتصادية والسياســـية في مصر.. يســـتغل «كاتسير» ورجاله أصحاب النفـــوس الضعيفة والمحتاجين لإغرائهم بالمال والعمل والمســـتقبل المشـــرق.. ثم يتم توريطهم ومسك ذلة أو فضيحة على كل منهم لا يستطيع بعدها الرفض فى التعاون مع الموساد الإسرائيلي بالإضافة للمال الكثير..

وبالفعل اســـتطاع «كاتســـير» عن طريق شركة المصايد من اصطياد عدد ليـــس بالقليل بجانب اصطياد الاســـماك.. ولكن الصيد غير الصيد..هيهات.. صيد الحلال مختلف تماما عن صيد الجواسيس..

وعلى الجانب الآخـــر.. بدأت أجهزة الأمـــن المصرية وجهاز المخابرات العامة فى التحرك لمنع وقوع أي جاسوس من ضعاف النفوس وتركهم لأن يكونوا مزية لرجال «كاتسير» ومحاولة منع وقوع هؤلاء الضعفاء قبل مرحلة التجنيد..

لذا كثف كل من «صبري عبدالهادي» و»بهاء اســـماعيل» من جهودهمـــا من تخريج دفعة جديدة من رجـــال المخابرات نظرا للعجز الشـــديد فى عدد الرجال العاملين في المخابرات وخاصة من أهل الخبرة..

وصارت عدد مـــن المدن اليونانية وخاصـــة العاصمة أثينا.. ســـاحة نزال بين خطط الموســـاد وخطط المخابرات المصرية المضادة لها..

لم يكن الحظ ليتخلى عن «نديم» حيث حَّل عليه التعب والجوع الشـــديد بمجرد دخوله إلى بورفؤاد.. لا يعرف أين يذهب.. قادته قدماه حســـب ما تذكر ، وبسؤاله بعض المارة.. إلى بيتهم القديم المتهدم.. فإذا به يجده أرض فضاء مع وجود بعض من أثار الهدم للمبنى الذي كان يحوي أبوه وخاله...

جلسة على حجرة ضخمة أمام المبنى.. اعزورقت عيناه بالدمع وهو يتلفت حوله ليتذكر أيام كان يلعب هنا فى الساحة الواسعة أمام المبنى.. مع أصحابه.. «ميلاد» و «شكري» وشقيقته «كاميليا»... وأمه «زينب» تخرج من الشرفة من وقت لآخر للإطمئنان عليهم.. وأحيانا تناديه وتعطيه كمية ضخمة من الشطائر والسندويتشات لكل الأطفال..

يالها من أيام جميلة.. يبدو أن أيام الشـــقاء والعذاب لن ترحل عن كاهلي وستزداد يوما بعد يوم..

مرت عليه ســـاعة من الزمن ولازالت دموعه منسابة على خده الأحمـــر.. وإذا بيد تربت على كتفه برفق.. نظر خلفه.. وقف على قدمـــاه وعيناه مثبتتان على الرجل الواقـــف خلفه.. الذي يبادره بالســـؤال :».. مالك يا بني.. هل أنت بخير..؟! ثم يضيف.. كأنني أعرفك وجهك ليس بغريب علي..!!»

بادله «نديم» نفس الملاحظة....وأنـــت أيضا.. كأنني أعرفك جيدا..

وبعد تبادل الأســـئلة بينهما.. احتضن «حجازي» نديم بشدة وهو في غاية التأثر ولم يتوقف عن جملة.. «يا غالي يا ابن الغالي»

ثم اصطحبه معه إلى منزلـــه.. وكأن الله لا يترك عبده الفقير الضعيف دون إرسال من يقدم له يد العون والمساعدة..

اهتم «حجازي» بنديم وقدم له كل ما يحتاجه بعد أن اســـتمع لما حدث له منذ تلك الليلة المشـــؤمة.. ليلة هدم منزل الغاليين.. حامد وأبو زيد وأمه زينب..

أقام لديه لعدة أيـــام حتى قام «حجازي» بتجهيز حجرة فوق سطح منزله كان يستعملها كمخزن.. ووضع بها كل الاحتياجات اللازمة للمعيشة.. ليقيم «نديم» بها..

وفى اليوم التالـــي.. اصطحـــب «حجازي»»نديم» فى جولة بالمدينـــة.. قابل خلالها عدد ممن كان يعرفهم وهو طفل.. أولهم كان صديقه..»ميلاد» ابن عم «عويـــس» الصائغ.. والذي أصبح هرماً فى الســـن.. يجلس فقط في محل الذهب ولكن «ميلاد» الآن قد أصبح «الصائغ» الذي يدير المحل..

كان لقـــاءا حارا بين الاثنين وكأنهما يلتقيان لأول مرة بعد أن تبدلت وتغيرت الملامح بفعل الزمن وصار كلا منهما طويل القامة وظهرت عليهما علامات الرجولة العتية..

انتشر خبر عودة «نديم» إلى بورفؤاد.. وتبادر عدد من أهالى الحي بزيارته.. وكان من ضمنهم «شكري» الصديق القديم..

والذي قضى وقتا طويلا في الحديث مع «نديم».. سأل خلاله «شـــكري» «نديم».. عن أخته «كاميليا».. أجابه بأنه ليس لديه أي معلومات عنها..

أما عن أحوال «شـــكري».. فقد تطوع في الخدمة العسكرية.. صار جنديا متطوعا بالجيش المصري.. وحث «نديم» على السير على خطاه فلن يندم أبداً..

أول طلـــب طلبه «نديم» من عم «حجـــازي» هو أن يدله على المقابر المدفون بها أبواه وخاله حامد...

كانت لحظة قاسية عليه وهو يقف أمام المقابر ويقرأ ما كُتب على الرخامة.. عبارات مؤثـــرة للغاية.. بكى كثييرا.. وجلس على الأرض يســـتند بظهره على المقبرة وأحاط المقبرة بزراعيه كأنه يحتضنها أو يريد الدخول إلى الداخل ليقيم بها بجوار الأحباب.. ما أصعب الفراق.. فراق الأحباب وليس هناك من شئ يعوض الام والأب..

قامت إسرائيل بغارة جوية على أحد المعسكرات السرية.. تابعة للجيش المصري.. لتدريب الجنود على مهام الرصد والأستطلاع خلف خطوط العدو..

وقد أصيب عدد من الحاضرين بالمعســـكر.. قامت على الفور قيادات الجيش المصـــرى بالتعاون مع المخابرات الحربيه بفتح

تحقيق سرى.. أكتشـــف من خلاله وجود أحد العناصر المندسه والذي أدلى بمعلومات للعدو الصهيونى عن مكان المعسكر..

تم القاء القبض عليـــه.. وصدرت الأوامر بالتوقف عن التواجد فى هذا المعسكر.. في تلك الأثناء.. عمل «نديم» بنصيحة «شكرى» وبتزكيه من «حجازى».. تطـــوع في صفوف الجيش المصرى.. وتم اختياره للحصول على دوره تدريبيه في فرق الأســـتطلاع.. وقد تحدد مكان الدورة في مكان بعيد عن المكان الســـابق الذى أغار عليه العدو بعد حصوله على المعلومة من أحد الجواسيس.. كان عدد المجندين المنضمين لفرقة الأستطلاع ثمانية وعشرون جنديًا..

تم إرسالهم إلى القاعدة الشمالية بالأسكندرية للحصول على التدريب هناك.. وفى أول أيام التدريب.. جلس الجنود وكان نديم يجلس في الصف الثالث في القاعـــة.. دخل ضابط.. ليقدم لهم أول محاضرة.. فقام بتعريف نفسه إليهم : «أنا الضابط الموكل بتدريبكم التدريب النظرى وهناك من سيقوم بالتدريب الميدانى إسمى.. العقيد / فكري الصباغ..

انتظمت «كاميليا» فى الدراســـة بكلية الآداب..قســـم لغات شرقية» اختارت أن تدرس العبرية واليونانية.. بما أنها قد اتقنتها من صديقتها الجريجية»لاريسا»

وكان «العقيد/ فكري الصباغ» ســـعيدا للغاية لإنهاء كاميليا» الثانوية العامة والتحاقها بكليـــة الآداب.. فهي واحدة من إحدي عشرة فتاة فى قسم اللغات الشرقية..

وكان يحكي لها كلما سنحت لهما الفرصة للجلوس سويا.. عن حياته بموسكو عاصمة الاتحاد السوفييتي.. أثناء الدورة التدريبية مع أفراد البعثة المصرية من الضباط.. فكانت تسمع إليه بإهتمام مما أثار الشغف لديها للتقرب ومعرفة الثقافات الأخرى..

انتفضا أثناء الحديث على صوت صراخ يأتي من داخل البيت..

إنها «إسعاد» تشعر بآلام شديدة وتتلوى من الألم .. هرعا بها إلى أقرب مستشفي ، مستشفى المواساة بالأسكندرية..

وبعد الكشـــف وعمل الفحوصات اللازمة أشار عليهما الطبيب أنهـــا تعاني من وجود حصوات فى المرارة.. وإذا تم اســـتخراج الحصوات وهي عملية صعبة وليست بالسهلة فهناك فرصة لعودة الحصوات والآلام ثانية وســـوف تعاد الكرة.. هنا قاطعه العقيد / فكري.. وما العمل إذا يا دكتور..

أشـــار الطبيب أنه من الأفضل استئصال المرارة للتخلص من المشكلة نهائية وعلى المريضة الحذر من تناول الدهون بعد ذلك..

جلســـت «كاميليا» في حجـــرة الانتظار وهـــي تضع منديلا على وجهها لتجفيف دموعها التـــى لم تتوقف حتى وإن حاولت التوقف.. تتمتم «كاميليا» من داخل أعماق وجدانها.... ماذا بك يا دنيـــا.. وماذا دهاك أيها القدر.. ماذا تريد وماذا تفعل بي.. أخذت

أبي وأمي وخالي.. أضعت مني شقيقي.. ثم أخذت أبي الثاني فى رحلة إلى موســكو ثم أعدته لي ثانية والآن تأخذ مني فى نفس الثانية أمى الثانية ماما «إسعاد» أكثر من سقاني الحنان بعد أمي «زينب»

ماذا دهاك أيها القدر.. هل تلعب معي لعبة القط والفأر.. تشد ثـــم ترخي ، تأخذ ثم تعطي ثم تأخذ ثانية وثالثة .. أين العدل أين السند والاستقرار.. يارب أبقي لي ماما «إسعاد».. أعدها لي شافية ومعافاة من الآلام..

.. فـــى تلك الأثناء.. وافق «فكري الصبـــاغ» على إجراء عملية استئصال المرارة..

وبالطبــع فإن الوقت المؤلم القاتل يمــر بطيئا بطئ الدهر.. ساعة تلو الأخرى..

إلى أن أطل الطبيب الجراح برأسه من حجرة العمليات يتصبب عرقا ويبدوا عليه الإعياء الشـــديد ولكن بعد لحظات ظهرت منه ابتسامة بعثت الحياة من جديد فى قلب «فكري» و «كاميليا».. دون تبادل أي كلمات.. ربت الطبيب على كتف كلا منهما.. وانصرف.. احتضن «فكري» ابنته «كاميليا» وكأنه إيذانا بلم شمل الأسرة مرة أخرى.. جميلة هي لحظات السعادة.. ما أحلاها..

عقد مدير المخابرات العاملة المصرية جلســة مطولة مع أحد رجال المخابرات العامة لتوه من أحد الدول الاوربية.. وقد قدم من

المطار مباشـــرة إلى جهاز المخابرات نظرا للأهمية الشديدة لما يحمل لديه من معلومات..

أخبره أن الدنيا مقلوبة داخل الموســـاد الإسرائيلي حسب ما سمع من العميل المصري رقم 621 المزروع من قبل المخابرات المصرية داخل الموساد الإسرائيلي..

أن هناك تخوف شـــديد من مذكرات ضابط إســـرائيلي سابق يدعى «يوسي كاستير»

ثم قص عليه تاريخ هذا الضابط العســـكري وأنه شـــارك في عدوان 56 على بورسعيد وقد قام بقتل ثلاثة من زملائه وإصابة تســـعة.. وتم العفو عنه وضمه إلى الموساد وإرساله إلى اليونان بعد أن تلقى دورة تدريبية موسعة..

والآن هو مقيم فى أثينا ويعمل تحت ســـتار شركة تملك أربعة ســـفن صيد عملاقة ومهمتهم هي اصطيـــاد وتجنيد المصريين تحديدا ممن هاجروا وفقدوا الأمل في اســـتقرار أوضاعهم نظرا لإنتهاء التأشيرة وعدم الحصول على إقامة أو عمل ونفاذ نقودهم ثم عاد الضابط المصري الجالس أمام مدير المخابرات المصرية إلى موضوع مذكرات «يوسي كاتسير» ثم قال على سبيل المزاح: «على فكرة يا فندم.. الناس فى بورســـعيد كانوا يسمون «يوسي كاتسير»...الخنزير.. نظرا لتشابه اسم كاتسير مع خنزير.. وكذلك ملامح وجهه تشبه الخنزير إلى حد كبير.. ضحك بعدها الاثنان.

شـــرح الضابط أهمية تلك المذكرات لأنها تحوي أسرار دقيقة عن تشـــكيلات وتكوين الجيش الإســـرائيلي ونقط ضعف بعض القـــادة والضباط وأيضا نقاط ضعف الجيـــش التي كان يتمنى «كاتسير» أن يستمع قادته إليه لسد تلك نقاط الضعف..

والكثير والكثير من المعلومات إنها بمثابة كنز.. إذا استطعنا الحصول عليها، وقد حاول رجال الموساد بكل الطرق من الحصول عليها لكنهم أخفقوا..»

هنا قاطعهم السيد مدير المخابرات ودق على الجرس.. حضر أحدهم.. طلب منه تحديـــد قاعة الإجتماعات لعقد إجتماع مطول في غضون عشر دقائق للأهمية..

وبعد بدء الاجتماع.. كلف مدير المخابرات الضابطان.. «صبري عبدالهادي» و «بهاء إسماعيل» بالإستعداد للسفر خلال أسبوع.. للإستقرار باليونان لفترة والمهمة المطلوبة إنجازها كالتالي

محاولة إيقاف تجنيد المصريين من قبل «يوســـي كاتســـير» ورجاله

البحث عن مذكرات «يوسي كاتسير» مع توخي الحذر

الايقاع بـ»يوسي كاتسير» وتصويره في أي وضع يضع عليه ضغطا

انزوى كلا من «صبرى» و «بهاء» فى حجرة ليضعا الترتيبات النهائية للعمل فى اليونان وبمن سوف يستعينا للمساعدة هناك..

عدد من رجـــال المخابرات الغير معروفين للجانب الإســـرائيلي بالطبع..وجوه جديدة..

توجه كلا منهما إلى المنطقة الشمالية واجتمعا بقائد المنطقة للإستعانة ببعض عناصر الجيش المدربين وخاصة من يتقن لغة أجنبية..

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

بعد أنا قـــدم العقيد / فكري الصباغ نفســـه إلى المحموعة الجديدة.. وزع عليهم ورقة بها أســـماء مستعارة.. على كل فرد منكم أن يختار اسم مســـتعار وليس اسمه حقيقي.. فسوف يتم التعامل بإسمه المســـتعار من الآن وصاعدا وسف تستخرج له الأوراق المطلوبة بالاســـم الجديد.. كبطاقة هوية ورخصة قيادة وجواز سفر إذا لزم الأمر..

اختار كل فرد إســـما.. وكتب أمامه اسمه الحقيقي..وحين أتى دور «نديم» لم يجد عددا كثيرا من الأسماء متوفرا فاختار أفضلهم بالنسبة له..

اسم «سراج زغلول» وكتب أمامه اسمه الحقيقي..

وعادت الورقة ثانية إلى العقيد / فكري الصباغ.. وبدأ الشرح الوافي فى مبادئ الاســـتطلاع والتخابر وجمع المعلومات خلف خطوط العدو..

وبعد انتهـــاء المحاضرة.. غادر جميع الطلبـــة إلى المطعم الخاص بقيادة المنطقة الشمالية علي ان يعودوا ثانية لإستكمال المحاضرات..

أنهي «صبري وبهاء» اجتماعهما بقائد المنطقة الشمالية الذي وعدهم أنه سيقدم

إليهم عددًا من الضباط ليختاروا منهم ما يريانه يصلح للمهمة الجديدة.. شـــاهدا الضباط الجدد وهم يغادرون القاعة متوجهين إلى المطعم..

توقف «بهاء» وأمسك بيد «صبرى» وهو يشير إلى ناحية اليمين بإصبعه..

نظر « صبري» ثم عاود النظـــر إلى «بهاء».. قائلا تقصد هذا الجندي..

أشار «بهاء» نعم.. انظر إنه لا يبدوا مصريا.. ملامحه أوربية.. تعالى تقدما إلـــى «نديم» وطلبا الحديث معـــه.. لكنه اخبرهما أن أمامه نصف ســـاعة فقط لتناول الغذاء ثـــم العودة إلى قاعة المحاضرات...

دخلا معه المطعم وجلســـا إلى جواره أثنـــاء تناوله الطعام وشـــرحا له المهمة المطلوب منه أداءهـــا ولكن بإختصار ودون الدخول فى تفاصيل...

«نديم» : «أنا ليس لي أن أبدي رأيا.. أنا فى خدمة مصر في أي مكان وأي مجـــال.. ابحثوا الامر مع العقيد/ فكري الصباغ.. وأنا تحت امركما فى أي مكان»

جلس «نديم» أو «ســـراج زغلول» في نفـــس مكانه في قاعة المحاضرات مستمعا إلى شرح العقيد / فكري الصباغ.. لم يكن يعلم أو يخطر بباله أنه أمام الرجـــل الذي تعيش» كاميليا « في بيته و انه من يمثل الأب لأخته التائهة عنه..يا ربي.. لهذه الدرجة الدنيا صغيرة..

من يحتضن «كاميليـــا» ويعيش معها وقام على تربيتها واقفا أمام أخيها «نديم» التي طالمـــا بحثت عنه وهو أيضا بحث عنها وقـــام بعمل اتصالات مع زملاؤه.. ممن يخدمون في بورســـعيد للسؤال عن «نديم أبو زيد»

لم يكن يتخيل أن نديم يجلس أمامـــه هو نفس «نديم» الذي يبحث عنه لأجل ابنته الجديدة «كاميليا».. وجها لوجه ولم يتعرف أحدهما على الاخر قاب قوسين أو أدنى من اللقاء ولم الشمل لكن القدر له رأي آخر..

قضى الضابطان «صبري عبدالهادي» و « بهاء اسماعيل» وقتا فى اقناع قائد المنطقة الشمالية للسماح لهما بضم المجند «سراج زغلول» أو نديم...

إلى رجال المخابرات العامة وسيقومون هم بتدريبه على كل المهارات المطلوبة..

وعندما سأل قائد المنطقة الشمالية عن السبب ولماذا هذا الولد تحديدا «يقصد المجند».. جاءته الإجابة بســـبب ملامحه الشكلية فهو أقرب للملامح الأوربية عن العربية او الشرق أوسطية.. وهم عادة ما يعانون من كشف عملاء اســـرائيل في الخارج للمراقبة بســـبب ملامح من يقوم بالتتبع والمراقبة أنـــه يبدو عليه الهيئة المصرية.. لكن شخص مثل»سراج زغلول» لا يمكن أن يتصور أحد أنه مصري لذا يمكنه التواجد في التجمعات والأماكن العامة دون أن يثير الشكوك حوله.. ستكون مهمته أسهل بكثير ونسبة فشله في المراقبة ســـتكون ضئيلة.. اقتنع القائد... ودعا إلى استدعاء العقيد / فكري الصباغ في أخذ موافقته في التخلي عن واحد من مجموعته الجديدة.. والتي كان يعول عليها كثيرا في مهام الرصد والاستطلاع خلف خطوط العدو..

بناءًا على قرارات من الرئيس جمـــال عبدالناصر ومن معه.. ازدادت هجرة الأجانب من مصر.. وتم إعطائهم مهلة قليلة لمغادرة البلاد وخاصة من الجاليات اليهودية واليونانية والايطالية وغيرهم آخرين..

مما تسبب فى حالة من الهياج السكاني والاقتصادي في البلاد..

فكثير من هؤلاء الجاليات كان يمتلك مشروعات ومحال تجارية ناجحة فى السوق المصري..

وكان أكثر شخص تأذي من من تلك القرارات هي «كاميليا» فقد كانت تحب «لاريســـا» الجريجية وأسرتها كثيرا.. ودائما ما كانت ترى فيهم الاسرة الثانية لها بجانب «إسعاد» و «فكري الصباغ»..

كان يوما مشـــئوما..يوم مغادرة «انطون» وزوجته «نارفارا» والابنة «لاريســـا» ميناء الاســـكندرية مستقلين ســـفينة ركاب.. عائدين إلى أثينا باليونان تاركين وراءهم الكثير من ممتلكاتهم.. فقد اضطر انطون إلى بيع محل البقالة الذي كان يملكه بأبخس الأثمان وقاموا بإعطـــاء جيرانهم كل ما يملكون من أثاث وخلافه مجانا.. فقد قاموا بتعليق يافطة كتب عليها..

«من يريد شيئا من الأثاث والأمتعة فليأخذه مجانا»..

ذهب «فكري» و «إســـعاد» ومعهما «كاميليـــا» لوداع أنطون وزوجته ولاريسا على رصيف ميناء الاسكندرية.. وقد خيم الحزن على الجميع مع الدموع المتساقطة من أعينهم..

فما أصعب الفراق..كان «فكـــري» معارضا وناقما على قرار طرد الأجانب من مصر.. فقد عاش وســـطهم ولم ير منهم إلا كل خير..

حتـــى وإن ظهرت بعـــض الحوادث الفردية هنـــا أو هناك.. فالقانون يُطبق عليهم ولا داعي لعقاب الجالية بأكملها.. فقد كانت ضربة لإستقرار مصر كما كانت ضربة للإقتصاد أيضا..

عادت «كاميليا» الى نفس النقطة ونفس الســـؤال....لماذا أيها القدر..

تعاود التلاعب بمشـــاعري.. يبدو أنك غير راض أن اتعلق بأي انسان.. فتبادر وتســـارع أن تأخذه مني وتحرمني دون أي ذنب اقترفته..

نديم أخي.. أبي وأمي.. وقريبا كنت ستأخذ ماما «إسعاد» لكن الله سلَّم والان صديقتي الوحيدة «لاريسا» والتي علمتني اليونانية وكنت اشعر أنني واحدة منها..

وبعد اقل من أسبوعان تلقلت «كاميليا» أولى خطابات «لاريسا» من أثينا العاصمة اليونانية.. وذكرت فيها عنوان بيتها الجديد كي ترسل لها «كاميليا» عليه..

خطاب مُلئ بالقبل والاشواق والقهر على فراق الاسكندرية – حي العطارين.. وكم الحزن الغالب على آباها وأمها..

يتمنون جميعا العودة إلى الاسكندرية.. فهم يشعرون بالغربة في أثينا..

وما أصعب هذا الشعور القاتل..

توقف القطـــار.. وأعلن المفتش أنها المحطـــة الأخيرة.. فقد ووصل القطار أخيرا إلى محطة بورسعيد.. اعتدلت «كاميليا» فى جلستها قبل أن تنهض..

وكل الذكريات مازالت متزاحمة في رأســـها... وضعت الكتاب الذي كان بيدها و التي لم تقرأ منه صفحة واحدة داخل حقيبتها وشـــاهدت بجواره داخل الحقيبة.. خطاب « لاريسا» الأول، فهي تحتفظ به في حقيبة يدهـــا.. تقرأه كلما ضاق بها الحال أو مس قلبها قبساً من اشتياق..

سارت «كاميليا» ذات العشرين عاما ببطئ على رصيف المحطة ويحثت في الخارج عن سيارة أجرة.. وأخبرت السائق.. «بورفؤاد لو سمحت»..

تعـــددت لقاءات رجال المخابرات فـــي اجتماعات مطولة مع مجموعة من الرجال الجـــدد المنضمين حديثا لجهاز المخابرات العامة المصرية.. ومن ضمنهم «ســـراج زغلول» أو «نديم» الذي تدرب على الاعمـــال المخابراتية بكل أشـــكالها.. بالاضافة إلى تدريهم على تعلـــم اللغة اليونانية على يد أحد اليونانيين الذي لم يغادروا الاسكندرية وكانوا قلة كما تدرب على فهم تعاليم الكنيسة اليونانية الارثوذكسية وأيضا على عادات وطباع الشعب اليوناني بكل تفاصيلها..

وكان بين الحين والاخر داخل القاعدة الشمالية يتقابل « سراج زغلول» وهو في طريقه إلى القاعدة أو الســـكن أو جتى حجرة

الطعام.. مع العقدي / فكـــري الصباغ.. يقف ويعطي له التحية العسكرية..

حتى بعد أن خلع اللباس العسكري..

نظرا لإنضمامـــه إلى رجال «المخابرات».. فيرد عليه العقيد / فكري بالتحية مع ابتســـامة إعجاب بهذا الشاب.. الوافد الجديد.. والذي تتصارع عليه المخابرات والقوات المسلحة.. للحصول على خدماته نظرا لملامحه الغير مصرية والتي تساعده على الاندساس وسط أي جنسية أوربية أو حتى يهودية اسرائيلية..

لم يكن يدري أو يعلم كلاهما حقيقة الآخر.. وأن من يبحث عنه هو أمامه كل يوم عدة مـــرات.. نديم يبحث عن من في كنف هذا العقيد..

والعقيد هو الاخر يريد إدخال السرور على ابنته و اخاها أمامه يرد عليه التحية العسكرية..

وقد قـــررا «صبري عبدالهادي» و «بهاء إســـماعيل» أن يظل «ســـراج زغلول» مقيما بالقاعدة العســـكرية الشمالية لتلقي كل التدريبات المطلوبة.. نظرا لإنتشـــار العملاء فى تلك الفترة ومن الافضل إبعاده عن الأعين وبقاؤه داخل قاعده عســـكرية مغلقة ومؤمنة تأمين شـــديد هو أفضل له قبل زرعه وســـط المجتمع اليوناني في أثينا..

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

دفعت «كاميليا» للسائق الاجرة.. ووقفت تتلفت حولها.. مازالت هناك بقايا لآثار الدمار منذ العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦.. وأطالت النظر إلى الأرض الفضاء.. ترقرقت عيناها بالدمع.. هنا كان بيتنا. هنا سقطت أمي.. أبي وخالي.. ثم سارت فوق أسفلت الطريق التي تمددت عليه أمام دبابة الخنزير «يوسي كاستير» واستطاعت الهرب هي ونديم.. ولكن كلا منهما هرب فى اتجاه غير الآخر..

اعتلت وجهها ابتسامة.. ثم ضحكة واستمرت في الضحك مع هطول دموعها فوق وجنتيها.. مشهد عجيب.. لا يحدث كثيرا مثل هطول الامطار وسط سطوع الشمس في حر الصيف..

ازداد ضحكها وهي تذكر هطول الدماء واندفاعها أعلى حاجب ذاك الخنزير وصراخه كالاطفال..

دارت دورة حول البيت..قادتها قدماها إلى محل الصاغة الوحيد فى المنطقة.. توقفت أمامه.. دفعت الباب.. تلفت حولها..

كان «ميلاد» مشغولا مع أحد الزبائن.. نظرت إليه «كاميليا».. نعم إنه هو «ميلاد».. لم تتغير ملامحه كثيرا.. ربما فقط الشارب الاسود الكثيف.. مع الطول.. وعلامات الرجولة.. بصوت خشن.

وما أن فرغ «ميلاد» من مساعدة الزبونة.. وغادرت المحل.. تلفت إلي «كاميليا».. مبتمسا « هل تبحثين عن شئ يا آنسة.. دبلة.. أم عقد.. أم قرط.. أو ربما اسورة تناسب ذوقك..؟! «

«كاميليا» « أنا.. أنـــا.. أنا أبحث عن..!! « ثم توقفت عن الكلام ولم تمنع نفســـها من الضحك وهي تقول بصوتٍ عالٍ... ازيك يا «مايلو»

وقد كان هذا اسم «ميلاد» الدلع وهو صغير..

ســـمع ميلاد «مايلـــو».. ثم مد يده إلى زر النـــور فأضاء كل مصابيح المحل الداخلية.. ونظر بعمق إلى «كاميليا» قائلا.. «قليل من الناس من يعرفون اسم الدلع هذا.. أظن أنني اعرفك.. لكن لا استطيع التذكر جيدا.. «

قطعت «كاميليا» عليه حيرتـــه قبل أن ينفجر من إرهاق عقله في تذكر الماضي أنـــا « كاميليا» أخت «نديم».. ها.. هل لازلت لا تذكر..؟!!

قفز ميلاد من فوق الارض.... مش معقول.. لا أصدق.. فعلاً..

حقيقي.. انت «كاميليا» لكن ملامحك تغيرت كثيرا.. وصوتك.. فأنا لا اعرفك.. كان لقاءاً حارا بين من كانا طفلان.. بعد مرور أكثر من عشر سنوات تتبدل فيها الشخصيات والملامح والاتجاهات..

ووســـط الكلام.. ألقي ميلاد على «كاميليا» بسؤال هبط فوق قلبها ورأسها كالصاعقة..

«هل تقابلت مع نديم؟!!»

انطلقت عشرات الاســـئلة المتلاحقة والمتعاقبة.. الواحد تلو الآخر..

وقبل أن يجيب «ميلاد» الســؤال يتوقف ليحاول إجابة السؤال الذي تلاه..!

وأخيرا استطاع إيقافها عن إلقاء المزيد من الأسئلة..

«نعم قابلته» وقص عليها ما حدث.. وتوقفت بعدها.. ليشـــير إليها بالســير ناحية الباب.. خرج معها أمام الرصيف وأشار إلى محل الأحذيــة الخاص بــ»حجازي».. قائـــلا «هل تذكرين عم حجازي»

«كاميليا» : نعم.. نعم.. إنه كان صديقا لخالي «حامد» وأيضا لأبي حسب ما أذكر..

«ميلاد»..»نعم».. عم حجازي لديه إجابة عن كل استفساراتك وتساؤلاتك..

اســتطاع «انطون « أو «طوني» وزوجتــه « نارفارا» وابنته» لاريســا» الاستقرار بعض الشــئ بعد أن قام بشراء بيت صغير خارج حدود أثينا في قرية صغيرة نظرا لقلة المال الذي استطاع جمعه من مصر والعودة به إلي اليونان..

ولم يتبق معه إلا القليل من المـــال.. اعطاه لزوجته «نارفارا» لإدخاره خوفا من تقلبات الزمن.. واســـتطاع إن يجد فرصة عمل في مصنع صغير للألبان..

وفي هذه الأثناء تلقت «لاريسا» ردا من «كاميليا على خطابها الأول لها والذي به عنوان بيتها الجديد..

كانت فرحـــة للغاية.. وعيناها تركضان فوق ســـطور كلمات «كاميليا» المليئة بالشـــوق والحب.. وقبل نهاية الخطاب طلبت «كاميليا» منها إبلاغ أباها عم «طونـــي» بتحية أباها «فكري» و «أمها «إســـعاد» وكذلك طنط «نارفارا» ثم الجملة التي أسعدت «طوني» للغاية.. هو أن «فكري « يحفظ له بمبلغ من المال جراء بيع ممتلكاته..

فقد تذكـــر «أنطون» أنه عندما علق لافته أن من يريد شـــيئا من الأثاث والمتاع فيمكن أن يأخـــذه مجانا.. هنا تدخل «فكري الصائغ» وأزال اليافطة وطلب منه أن يترك له مهمة التصرف في هذه الأغراض..

وحسنًا فعل.. فقد استطاع «فكري» بعد سفر «أنطون» وعائلته أن يبيع كل شئ بالمال وليس بالمجان.. وتحصل على مبلغ لا بأس به وهذا ما جاءت فـــي نهاية خطاب «كاميليا» بأن أباها «فكري» يحتفظ بأموال تخص عم «أنطون»..

قدم حجازي كوبًا من الشـــاي إلى «كاميليا» وهو لا يستطيع التوقف عن الكلام حســـب أوامر «كاميليـــا».. بعد أن قالت له.. « احكـــي يا عم حجازي حتي عندما تنهض لعمل الشـــاي.. عايزة اعرف كل حاجة عن «نديم»

وبالفعل قص عليها كل ما ســـيق من «نديـــم» منذ تلك الليلة المشئومة وانتقاله مركز الحســـينية بمحافظة الشرقية.. وحياته

هناك إلـــى إن عاد عاج إلى بورتوفيق.. وختـــم كلامه أنه لا يعلم مكانه.. كل ما يعرفه.. أنه سلم نفسه لأقرب وحدة هنا فى بورسعيد وتم نقله.. إلى أين.. لا يعلم..

امســـكت «كاميليا» بالمفتاح.. وضعت المفتاح على صدرها وهي تتنفس بقوة ثم طبعت عليه قبلة من شـــفتاها الورديتان.. وأســـتأذنت عم حجازي في دخول الحجرة.. والذي أجابها أنه لم يكن ليسمح لأي إنسان بدخول حجرة «نديم» في غيابه ولا حتى هو شخصيا.. لكن أنت يا «كاميليا» مستثناه من كل شئ..

فتحت الباب ببطئ.. دفعته.. لتشتم رائحة عطرية طيبة.. إنها قطعة من بخور أشعلها «نديم» قبل سفره.. ومازالت تصدر عبقا.. طيبا ومحببا للنفس.. ٱمضت في الحجرة ما لايقل عن ساعتان قبل أن تلحظ من خلال النافذة..

بداية دخول الغروب.. انتفضت ونظرت في ســـاعتها.. لا بد أن تلحق قطار العودة إلى الاســـكندرية.. قامت بتنظيف الحجرة وترتيبها.. ثم تركت رسالة إلى «نديم» ليقرأها حين عودته..

هرعت مسرعة إلى الاسفل.. لتسلم على حجازي قبل المغادرة لكنه كان نائما «القيلولـــة».. تركت المفتاح.. ثم انطلقت.. عائدة إلى محطة القطار.. على الرصيـــف وقبل قدوم قطارها المنتظر الذي يقلها إلى الاسكندرية..

لمحت جندي يســـير على الرصيف قبل أن يخرج من المحطة إلى الشارع الرئيسي ذهبت تجاهه.. ظنت أنه ربما يكون «نديم»..

وإذا بها أمام «شـــكري» الولد الذي كان يكبرها بعامين ويلعب معهما أيام الطفولة..

لحظات صمت.. عيناهما تتلاقيان و «شـــكري « يحدث نفسه بكلمة واحدة «ما أجملك» بينما «كاميليا» تشـــعر بالأمان والراحة بوجود «شكري» أمامها.. رجولته وفحولته جاذبة للإنتباه.. لكن عقله ورجاحته دوما هما السر فيما يجذبها إليه.. وإذا بها تسمع صوت ينادي.. على ركاب قطار الاســـكندرية أنه ســـيغادر من رصيف رقم 3 بعد دقيقتين..

ســـارت بعيدا وهي مازالت تلتفت إليه والشعاع الواصل بين عيناهما.. لم ينقطع..

..وكأنهما يتواعدان للقاء مرة أخرى..

وإذا بها تصرخ بصوت عالٍ «شكري».. «عم حجازي»

فهم «شكري» أنها تريده أن يقابل عم «حجازي» لا بد وأن لديه أي معلومة عنها..

ركض سريعا ونسي أنه يرتدي زيه العسكري ولابد أن يراعي الوقار لممثل الجيش المصري.. وكان لقاءا حارا.. ساخنا.. جمع بين «شكري» و «حجازي» الذي أطلعه على تفاصيل لقاء «كاميليا» له.. لكنه ختم كلامه بجملة ازعجت شـــكري كثيرا..انها نسيت أن تعطيني عنوانها.. فقط أخبرتني أنها تقيم فى الاسكندرية.. «

❊❊❊❊❊❊❊

لم يعلم «سـراج زغلول» أو «نديم» أن يـوم التدريب هذا هو آخر أيام التدريب وأنه تحدد ميعاد سفرد إلى أثينا.. بعد غد.. وأن خط سيره سيكون السفر إلى أنقرة عاصمة تركيا ومنها إلى أثينا باليونان..

سرح بخياله بعيدا بعد أن علم ميعاد سفره وعليه الاستعداد.. ولم يتبق له إلا الغد فقط وبعدها السفر صباحاً..

لم يسـتحوذ على تفكيره وقتها عندما علم بموعد السـفر إلا زيارة هامة ولا بد أن يقوم بها.. استأذن قادته واتخذ الطريق إلى العجمي..

فيلا «ايفا».. هكذا كُتب على اللوحة الرخامية البيضاء المثبتة على البوابة الخشبية الصغيرة.. انها فيلا «حشمت باشا رستم».. نعم إنه «حشـمت باشـا» حتى وإن تم إلغاء الباشاوية بشكل رسمي.. لكنه لا يستطيع إلا أن يناديه بلقبه الذي يعرف.. سعادة الباشا.. والهانم هي الهانم.. حتى وإن ألغوا لقب هانم..

دخل عبر البوابة الخشبية ببطئ.. وإذا بكلب ضخم ينبح عليه بشـدة.. حاول الابتعاد.. وإذا بصوت يأتـي من الداخل.. يقترب نحوه «مين حضرتك؟!» نظر «نديم».. وامعن النظر.. انها الست «علية».. نعم هي.. ربما ظهر بعض الشـعر الابيض من أجناب منديل الرأس..

ضحك «نديم» وهو يقول «ازيك يا ست علية»؟!

نظرت إليه «علية».. ياه.. انت نديم.. صح؟!!

ماشاء الله كبرت يا نديم.. بقيت راجل.. اتغيرت مع ان الوقت مش طويل.. كنـــت قلقة عليك للغاية.. كان نفســـي اعرف فين أراضيك وأنا أزورك»

لـــم يكمل «نديم» كلامه حين شـــاهد فتاة فـــي غاية الجمال والحسن.. تدفع كرسيًا متحركا.. عرف وأيقن ان من يجلس على الكرسي هي «ايفا».. ركض ناحيتها ونزل على ركبتيه وهو يمسك بيدها ويقبلها..

«ازيك يا ايفا هانم» هكذا تمتم «نديم» بصوت منخفض..

نظرت إليه «إيفا» وهي تبتســـم ثم تضحك وتنظر إلى «علية» وإلى الفتاة واقفة خلفها.. وقالت بتلعثم وصعوبة شديدة.. «نديم انت نديم.. «

ظهرت من الباب الهانم.. التى ســـمعت صـــوت في الحديقة الصغيرة..

لم يســـمع «نديم» كلامهم جيدا حيث كانت عيناه مثبتتان على الفتاة التي تدفع الكرســـي المتحرك.. وهي أيضا كانت تنظر إليه فى خجل وعلى اســـتحياء.. تنظر إلى الارض وقتا وتسترق النظر إليه وهو يتحدث إليهم ويحكي ما حـــدث له منذ غادر في اليوم الاسود يوم حضور لجنة نهب الباشوات.. هكذا وصفت الهانم هذا اليوم..

بالطبـــع اخفى «نديم» طبيعة عمله الجديـــدة مع المخابرات العامة المصرية أو المهام الموكلة إليه وســـفره فى الغد إلى أثينا أو حتى ميعاد العودة المجهول..

لكنه أخبرهم أنه متطوع في ســـلاح المشاة بالجيش المصري وإن معسكره بالإسماعيلية.. ومر الوقت جميلا بين الجميع.. رغم حزن الباشا.. إلا أنه سعد لرؤية «نديم» الذي يذكره دائما بصغيره الراحل «نبيل»..

اســـتعادت «كاميليا» كل كلمة وجملـــة دارات بينها وبين عم «حجازي».. عن أخيها «نديم» والذي لم يعد شقيقها...كما أخبرها.. هكذا أخبرها عم «حجازي» عن قصة أبيها مع زوجته الانجليزية وإنجابه «نديم « وهذا يفســـر سر اختلاف الملامح الملحوظ بين «كاميليا» و «نديم» ولا تخفي هي سرا أنها كانت تتمني أن تحمل نفس ملامح «نديم» اي شقراء بيعنين زرقاويين..

الغريب فـــي الأمر أن «حجازي» لم يطلع «نديم» نفســـه عن قصة أنه ليـــس ابن «زينب» وأنما ابن الانجليزيـــة «لونا».. ربما لأنه لم يسأل عن سبب ملامحه المختلفة عن الجميع.. أو ربما أن «حجازي» قليل الكلام ولا يجب إلا عندما يُسأل، هكذا هو الانسان الابن المخلص.. دائما كتوم.. يحمل داخله من الاسرار الكثير ولا يبوح بها إلا في مكانها أو عند السؤال و لأصحابها أو من يهمهم الأمر فقط..

لذا كان حجازي هو الرابط بين جميع الاطراف وكاتم أسـرار الجميع.. رغم بسـاطته وحياته المتواضعة إلا أنه كان مؤثرا في كل شـئ وكل إنسان هذا بالإضافة إلي دوره الوطني في مكافحة المحتل إبان العدوان الثلاثي..

ثم انتقلت «كاميليا» بأفكارها المزدحمة إلى صورة «شكري» وهو ينظر إليها بإنبهار وإعجاب شـديد.. وكأنه يقول.. صرت جميلة للغاية.. بالطبع هو يتذكـر «كاميليا» الطفلة التي يعلوها الغبار من أثر اللعب فى الشارع..

حقق «يوسي كاتسـير».. نجاحا فى أول عام عمل له.. نجاحا على مستوى شركة المصايد بطاقة أربع سفن صيد.. فقد استطاع إيجاد اسـما له ومكانة فى سوق الاسماك المحلى وأيضا تصدير للدول المجاورة..

ولكن النجاح الاكبر والذي كان يهم رجال الموساد الإسرائيلي هو نجاحه في الايقاع بإثنين من الشـباب المصري وتجنيدهم.. والوصول معهم لأبعد مراحل التدريب وأخيرا ارسالهم تحت أسماء مستعارة ووظائف جديدة لجمع المعلومات من الجيش المصري والوضع الداخلـي بمصر من الناحيـة الاقتصادية والاجتماعية بالاضافة للحالة العامة النفسية للمجند المصري..

وكان «يوسي كاتسير» يعمل بالطبع تحت اسم مستعار وليس اسمه الحقيقي..

فأطلق على نفسه اسم «هارون» ولكنه كان يطلب ممن يعرفه أن يناديه بإســـمه المفضل لديه «أبو جميل»... وبذلك صار لهذا الرجل اسماء متعددة..

اسمه الحقيقي «يوســـي كاتسير» واللقب المفضل لدى أهالي مصر وبورسعيد «خنزير» ثم اسم «هارون» المستعار الذي يُعرف به نفسه لكل من يقابله.. واســـم الدلع او الشهرة لدى من يقوم بتجنيدهم «أبو جميل»

وعلى الجانب الاخر.. كانـــت خلية نحل تعمل حول «نديم» او «سراج زغلول» لإكسابه كل المعلومات والمهارات التي يحتاجها.. ليبدأ مهمته في مراقبة وتتبع « أبو جميل» وكذلك إفساد محاولة تجنيد الشباب المصري من ضعاف النفوس...

وبالطبع لم يكن الاستطاعة أن يتحرك وسط المجتمع اليوناني بإسم «سراج زغلول» لذا تم اختيار اسما جديدا يتناسب مع ثقافات المجتمع الذي سيصبح واحدا منهم اختار له «بهاء اسماعيل» اسم «دميان»

انتظم «دميان» أو «سراج زعلول» في دورة تدريبية للتعريف بأثينا العاصمة.. الشـــوارع والميادين وأهـــم الأماكن والمزارات الســـياحية وكل ما يهم المقيـــم فى أثينا.. ودراســـة الخريطة التفصيلية للمدينة وكأنه يعيش فيها منذ ســـنوات مع استخراج الاوراق اللازمة له بإسمه الجديد «دميان» وخلق قصة لاسم عائلته وبعض ظروف حياته..

مع تدريبه على طرق التخفي والتنكر إذا لزم الأمر اســـتطاع «صبري عبدالهادي» بعد بذل جهد كبير من تحديد هوية الشابان المصريان الذان اســـتطاع «أبو جميل» من تجنيدهم وارســـالهم لمصر بأسماء أخري

وأرسل «صبري « كل المعلومات للقاهرة.. للتحرك وعمل اللازم قبل وقوع الكارثة وانخراط الشابان وسط زحام القاهرة وصعوبة الإيقاع بهم..

وكثف «صبـــري» وزميله «بهاء» مـــن تواجدهما في مقاهي تجمعات المصريين والمطاعم التـــي يرتادونها.. وبالتعاون مع بعض المقيمين القدامى هناك.. اســـتطاعا إفســـاد العديد من محاولات تجنيد الشباب لحساب أعوان ورجال «أبو جميل»

ولكن لم ينس كلاهما المهمة الأخرى الموكل بها إليهما.. وهي البحث عن مذكرات «يوسي كاتسير» وكانت هذه هي إحدى المهام الموكلة إلى «دميان» والذي يبدأ دوره بعد الخطوة الاولى من إيقاع «أبو جميل»بفريسة من داخل مقاهي المصريين.. حيث لا يستطيع «دميان» أو «ســـراج زغلول» من التواجد في تلك المقاهي نظرا لملامح وجهه الاوربية الطابع. ولكن دوره يبدأ من الخطوة الثانية وهي الاســـتفراد بمن يقع ومحاولة إبعاده عن «البيت الآمن safe house « الذي يقيم فيه «أبو جميل» ورجاله بإحكام ســـيطرتهم على الضحية والوقوع بها بعد اكتشاف نقطة ضعفه واللعب عليها للضغط على الضحية وقبول العمل معهم.. والتعاون مع الموساد

الإســـرائيلي مع عرض كل الإغراءات المادية الضخمة والتي يحلم بها كل شاب للوصول إلي الثراء السريع...

تبدلت واختلفت الاجواء.. في فيلا «ايفا» شاطئ العجمي.. بعد فترات من الحزن منذ يوم تأميم أموال الباشـــا.. فعاد الضحكات والمرح من جديد.. اســـتعادت منها «ايفا» حيويتها واستجابتها للعلاج.. وتحسن النطق لديها وقل التلعثم فى الكلام..

حالة من الفرح ســـادت الجميع برؤية «نديم» شـــبيه «نبيل» الصغير..

تبادل الجميع الضحكات.. وكانت اكثرهم ســـعادة هي «ايفا» وكان ذلك واضحا عليها أمام الجميع.. لكن الذي لم يكن واضحا وخفيا على الجميع.. هي بداية تكوين دقات قلب جديدة على قلب «فايزة».. حيث شعرت بحنين غريب لوجود «نديم» حتى ولو كان لبضع ســـاعات فقط.. ما يسمون هذا..لا تدري لكن ما تمر به لم يحدث من قبل.. الاشـــتياق لـــ»نديم» كان غير عادي لم تشـــعر برغبة فى الشـــجار معه كما كان يحدث منذ سنوات او استعمال دهاء الشـــر لديها في الاختباء ثم إلقـــاءه بالحجارة ثم التخفي والاختباء مرة أخرى..

بل تبدلت الامور لديها تمامـــا.. صارت لطيفة هادئة.. وديعة مع إزدياد جمالها وأنوثتها بشكل لافت.. وهو ما حدث «لنديم» إن

جذبت انتباهه بوداعتها. صمتهـــا والجمال المصري الطاغي من ملامح وجهها الرقيق..

هل هي بداية إعجاب متبادل.. بين «فايزة» و «نديم» .. ربما!!

ولكن ماذا عن «إيفا» المتعلق قلبها وروحها وســـعادتها بيد «نديـــم» فبمجرد ظهوره ينقلب كل شـــئ داخلها إلى النقيض.. الحزن يتحول إلى بهجة.. والرفض يتحول إلى قبول دون نقاش وفي سهولة غريبة.. «إيفا» ليس لديها أصدقاء ولا تعرف إلا من هم حولها.. «علية» ، «فايزة» والهانم والباشا بالطبع لكن كان«نديم» لديها له طعم آخر بدأ بحب الشبه الكبير بينه وبين أخيها الراحل «نبيل» لكنه مع الوقت ولطف معاملة «نديم» لا.. تحول تدريجي إلى احتياج.. ومع الغيبة الطويلة صار اشـــتياق..لهفة ممزوجة بحب لم تعرفه من قبل يختلف عن حبها لمن حولها فكلهم تقريبا متســـاوون في حبها لكن «نديم» وضع نفســـه فى كفة أخرى.. نوع آخر من اللهفة والشوق.. سحر الحب الذي يبدل المرض إلى عافية..

دخلت «كاميليا» السنة النهائية لإتمام دراستها للغات الشرقية (اليونانيـــة والعبرية) فكانت متفوقة للغايـــة وخاصة في اللغة اليونانية والتي أتقنتها حتى قبل أن تلتحق بالجامعة والفضل يعود إلى وجود «لاريســـا» التى علمتها الكثير عن تلك اللغة العريقة.. ولكن ما تعلمته فـــى الجامعة وأضاف لها هـــو الأدب اليوناني

والفلســـفة اليونانية.. فصارت في مستوى متقدم للغاية عن بقية زملاءها وزميلاتها القلائل..

أما العبرية فقد أبلت فيها بلاءاً حســـنا نظراً لإنتشار الجالية اليهودية فى حي العطارين بالاسكندرية فكانت تتعامل مع الكثير منهم..

فاستطاعت تعلم العديد من الكلمات والجمل.. وقد ساعدها ذلك كثيرا وخاصة أن الجامعة قد أعلنت عن حصول العشـــرة الأوائل على منحة للخارج لإتمام الدراســـات العليـــا على نفقة الجامعة حسب نوع اللغة التي يدرســـها الطالب سيتم توجيهها إلى البلد المناسبة لتلك اللغة..

لمعت الفكرة في عين «كاميليا» تذكرت على الفور «لاريســـا» وعم «أنطـــون» وطنط «نارفارا» ولـــم لا.. كان الطلبة يتحدثون بحماس حول تلك المنحة واحتمالية أن يكون أحدهم من العشرة الأوائل الفائزين بتلك المنحة..

عادت «كاميليا» مـــن الجامعة إلى بيتها ســـيرا على الاقدام وخيالهـــا لم يتوقف للحظة عن إمكانيـــة حصولها على المنحة.. واختيارها لعمل دراسات عليا فى الأدب واللغة اليوناني.. بالتالي تستطيع لقاء «لاريسا» مرة أخرى بعد طول فراق..

لم يكـــن لدى «أنطون» القدرة الماليـــة لإلحاق إبنته الوحيدة «لاريسا» بالجامعة حيث أن الدراســـة باهظة الثمن.. مما جعله يترحـــم على أيام إقامته في مصـــر وأن الجامعة لم تكن لتكلفه

شئ على الإطلاق حيث الدراسة مجانية.. حتى لو كان من الجالية اليونانية.. وجعلته أيضا يصب غضبه ولعناته على من اتخذ القرار بطرد الاجانب من مصر.. خسر عمله وبيته ومحله وأمواله.. وعليه أن يبدأ من جديد ولكن في ظروف أصعب ومتدنية.. هو الآن عامل فـــي مصنع ألبان بعد أن كان يملك محـــلا للبقالة ولا يعمل لدى أحد.. أيضا الجيران الأحباب والتماسك والترابط بينهم.. أين هو ؟

هو الان هنا في مدينة يعيش فيها وأسرته كالأغراب..

والاصعب كان على «لاريسا» نفسها فقد ضاع حلمها بالالتحاق بالجامعة وأن تصبح طبيبة.. وتحديدا طبيبة أطفال فهي تعشق الاطفال وخاصة في ســـن صغيرة.. لم تكمـــل تعليمها واكتفت بالثانوية العامة.. وهي الان تعمـــل فى أحد الفنادق وقد حصلت على الوظيفة بصعوبة بالغة وما ساعدها هو اتقانها للغة العربية بجانب اليونانية.. وأن هذا الفندق يتردد عليه عددا لا بأس به من النزلاء العرب فصارت تعمل ســـتة أيام في الاسبوع وتحصل على يوم الأحد أجازة..

وتحاول الخروج لإكتشـــاف المدينة كأي مغترب جديد على العاصمة أثينا.. ولم تستطع تكوين أصدقاء بعد.. وعزاءها الوحيد هو الخطابات المتبادلة مع الصديقة الوحيدة «كاميليا»..

وفي أحد أيام الاجازات هذه.. توجهت مع زميلة لها من العمل إلي شـــاطئ البحر لقضاء يوم على الشاطئ والسباحة التي كانت تجيدها وتعلمتها جيدا منذ أن كانت في الاسكندرية..

اســـتعادت مهاراتها في السباحة.. وبعد فترة قصيرة شاهدت على بعد عدة أمطار يـــدان مرفوعتان... هناك من يكافح الغرق.. وسمعت أصوات استغاثة..

ضربت الأمواج بيدها واقدامها بأقصى ســرعة إلى أن وصلت إلى طالب المســـاعدة انها فتاة على وشك الغرق.. استطاعت ان تسحبها خلفها والامساك بها من كتفها إلى أن وصلت إلى الشاطئ الرملي.. تجمع الناس للمســـاعدة وصار كل شـــئ على ما يرام.. الفتاة صارت فى حالة جيدة بعد أن لفظـــت المياة الزائدة التي ابتلعتها..

أخذت الفتاة قســـطا من الراحة بصحبة «لاريسا» وزميلتها.. تناولت بعض الماء وبدأت حديثها إلى «لاريســـا» بتوجيه الشكر وأنها مدينـــة لها بحياتها فلولاها لكانت غرقت فى ثواني وابتلعها البحر.. عرضت عليها المال لكن «لاريسا» بالطبع رفضت وأجابتها بأنهـــا لم تفعل أكثر من أي انســـان مكانها ســـوف يفعله.. إنه الطبيعى.. فأنا تعلمت الســـباحة في الاسكندرية بمصر وهذا هو العادي هناك.. الكل يساعد مهما كانت التكلفة..

ابدت الفتاة اندهاشـــها من كلمات «لاريســـا» وظهر الاعجاب واضحا عليها للغاية وقدمت نفسها إلى «لاريسا» وزميلتها..

«أنا «إميليا» أعمل فى شركة مصايد أعالى البحار.. «

لاريسا : « أنا «لاريسا».. أعمل في فندق بوسط المدينة.. «

وجهت «إميليا»الدعوة الى «لاريسا» للعشاء لتقديم الشكر لها..

وقبلت «لاريســـا» الدعوى.. لم يكن هناك مـــا يدعوا لرفض الدعـــوة.. خاصة أن إميليا تبدو فتاة لطيفة للغاية كما يبدو عليها المستوى الاجتماعي الراقي..

وقد كانت «لاريسا» في حاجة لأن تكون لها صديقة كي تكسر حالة الوحدة والشعور بالغربة الملازم لها منذ تركها الاسكندرية وقدومها إلى أثينا..

اتخذت «إميليا» طريقها للعودة وبعد أن تحسنت حالتها وبدلت ثيابها.. أمسكت الهاتف.. وطلبت «أبو جميل» أو «يوسي كاتسير» فهو رئيســـها في العمل فهي الســـكرتيرة الخاصة له... وأيضا صديقة مقربة للغاية ولها نشـــاط ملحوظ من الإيقاع بالشـــباب الذين يقع عليهم الاختيار للتجنيد..

إميليا : « حبيبي أبو جميل..»

أبو جميل : «أهلا بالقمر بتاعي ماذا وراءك ؟»

إميليا : «ضاحكة كنت على وشك الخلاص منّي اليوم»...

أبو جميل : « وكيف هذا.. ؟!»

قصّت له «إميليـــا» ما حدث لها بين أمـــواج البحر.. وظهور «لاريســـا» وقدرتها علي السباحة ببراعة وإنقاذها من الموت.. ثم أضافت.. أن المفاجأة الجميلة هي أنها قادمة من الاســـكندرية.. فهي وأسرتها إحدي المطرودات من مصر في الفترة الأخيرة.. وقد وجهت له الدعوة علي العشاء في نهاية هذا الأسبوع..

شـــعر «أبو جميل» بأنه ربما وقع علي كنـــز.. فعادة ما تلمع عيناه عندما يتقابل مع أي إنســـان مصري أو له علاقة بمصر.. أثني كثيراً علي تصرف «إميليا» بدعوتها علي العشـــاء ثم أضاف مازحًا.. أريدك أن تغرقي في البحر كل يوم.. «

وبالطبع كانت «إميليا» مدربة بشكل كافٍ لتستطيع إستدراج «لاريسا» للحصول منها علي أكبر قدر من المعلومات عنها وأسرتها وحياتها الشخصية..

ربما تصلح للإستفادة منها أو لا تصلح.. سيظهر ذلك بعد دعوة العشـــاء واللقاءات التي تليها.. ولكن الشيء المؤكد «لأبو جميل» أن «لاريسا» ليست فخًا أو مصيدة من المخابرات المصرية فكان هـــذا أكثر ما يؤرقه ورهقه في العمل.. وعمل الاختبارات للعميل.. الواحد تلو الآخر.. إنه غير مدفوع إليه من المخابرات المصرية..

فقد حدث حادث الغرق صدفـــة وبدون ترتيب.. كذلك ظهور «لاريسا» لإيميليا.. كان أيضًا محض صدفة.. فقد بعث الإطمئنان في قلبه..

أمضى نديم عدة أيام في التجول فى الاماكن التي ســـيرتادها كثيرا في الفتـــرات المقبلة.. تفقد أماكن تجمع المصريين وكذلك المطاعم الفاخرة في وســـط البلد وعلـــى الكورنيش والتي عادة ما يســـتخدمها رجال الموساد الإســـرائيلي في إبهار ضحاياهم

وإشـــعارهم أن حياة الطرف متاحة لهم طالما يقدومون العون لأصدقائهم.. أي رجال الموساد.. على حد تعبيرهم الخبيث...

كذلك تفقد المبنى الذي يقع فيه مكتب شـــركة مصايد أعالى البحار المملوكة ل «أبو جميل» أو «يوســـي كاتسير» «الخنزير» واســـتطاع أن يراه عن بعد أثناء مغادرته المكتب وقبل أن يستقل سيارته.. استطاع أن يلتقط إليه بعض الصور..

نعم إنه هو «الخنزير» القديـــم.. تذكر «نديم» أو «دميان» ما حدث له ولأخته «كاميليا» منذ سنوات طوال.. حيث كان هذا الوغد قائدا على دبابة إسرائيلية..

تسير وتجول بشـــوارع بورفؤاد.. تذكر.. ضرب «كاميليا» له وإحداث جرحـــا غائرا فى أعلى الحاجب.. كما تذكر دماءه العفنة وهي تســـيل على وجهه القبيح.. كم يكرهه.. ولم ينســـى وضع أخته «كاميليا» أمام جنزير الدبابة كي يسير فوقها لولا استطاعة كلا منهما الهرب والاختباء فى اماكن متفرقة ومن يومها لم يلتقِ بأخته.. وهذا الخنزيز هو الســـبب في الفراق والدمار وقتل أبي وأمي وخالي..

لولا أنه تدرب جيدًا علي التحكم في أعصابه وعلي طرق الثبات الإنفعالي.. لتوجه إليه وقتلـــه.. مهما كانت النتائج.. لكن صبرًا.. هكذا كان يقول لنفسه.. صبرًا.. إن غدًا لناظره قريب.. يومك قادم يا خنزير.. حتي لو غيرت إسمك عشرات المرات.. فلتكن «هارون»

«أبو جميل» أنا وراءك ولن تفلت حتي تدفع الثمن باهظًا.. حسابك ثقيل للغاية..

تقابلت «إميليا» و «لاريسا» حســـب الإتفاق في أحد الميادين الكبيرة..

إستقلت «إميليا» سيارتها المكشوفة الفاخرة.. ودعت «لاريسا» بالجلــوس إلي جوارها.. وهذا هو الإنبهار ولفت النظر الأول الذي تتعرض له «لاريسا»..

.. تتجول «إميليا» في شـــوارع العاصمة وهي تتبادل الحديث مع الصديقة الجديدة أو الضحية الجديدة «لاريسا» إلي أن توقفت أمام أحد المطاعم الفاخـــرة والتي ينتمي روادهـــا إلي الطبقة الأرســـتقراطيّة.. عشاء فاخر علي ضوء الشـــموع وعزف البيانو الهادئ الرقيق..

ورائحـــة العطور تنبعث مـــن كل رواد المطعم والتي تختلط برائحة الطعام المشوي.. ضحكات هنا وهناك.. التدليل الزائد من العاملين للزبائن..

فكل شيء يأتي إليك وأنت جالس.. تغسل يدك بمنشفة معطرة قبل وبعد الطعام..

الجو بديع فى صالة الطعام وســط الطبقة الارســـتقراطية « لاريســـا» الان تجلس على الطاولة.. تُقدم لها الخدمة وليست هي من يقدم الخدمة كما تفعل في الفندق الذي تعمل به وبعد انقضاء الليل سوف ترتدي زي الفندق وتقوم على خدمة النزلاء.. الان هي

فى المكان المقابل...هي النزيلة.. هي من تتلقى الخدمة والجميع يتودد لها لكسب رضاها وثناءها على المكان والطعام.. والحديث مع «إميليا» ممتع.. فهي لبقة فى الحديث والابتسامة لا تفارقها.. لها شـــعر أحمر غامق.. منمق للغاية وتضع القليل من المساحيق على وجهها الجذاب مما زاد بريقها وجمالها.. مما أخذ «لاريسا « الكثير من الفضول لتســـألها أين تقوم بتصفيف شعرها.. وعمل مكياج الوجه..

ضحكت «إميليا» وهـــي تربت على يدهـــا.. «لا تقلقي المرة القادمة سأصحبك معي»

وبعد تقديم طبقة الشـــوربة بالفواكه البحرية.. ثم الســـلطة بكوكتيل الجمبري.. وبعدها المقبلات والتي كانت تشـــكيلة من أفخر ما أنتجه البحر المتوسط..

وبعد عشر دقائق والاســـتمتاع بأنغام الموسيقى.. تقدم إليها النادل وقدم طبق من الاستاكوزا بصوص الليمون والشبت..

وفي كل مرة يُقدم طبق إلى «لاريســـا» كانت «إميليا» ترمقها بنظرة لقراءة ردة الفعل عليها.. هل ســـتنبهر بالمستوى الراقي للطعام.. أم لا.. فإذا حدث هذا الانبهار فهذا يعني لهم.. اي رجال الموساد.. أنها ضعيفة أمام المال وهو مدخل جيد للإيقاع بها..

وفى نفس الوقت كان يجلس على الطاولة المقابلة لهما..رجل وسيدة..

كانت السيدة تقوم بتصوير كل ما يجري على طاولة «إميليا» و «لاريسا»

وبالطبع كانا تابعين لـــ»أبو جميل» فقد أرســـلهما للمطعم ليكونا عينا له هناك وينقلون له كل شئ وبالصور.. فقد كان فى أشـــد الحاجة لتجنيد عملاء جدد وزرعهم فى مصر..تقدم اليها النادل مرة أخرى.. بوعاء ماء دافئ دافئ وعلى وجه الماء قطع من الليمون مع بعض وريقات الورد الأحمر.. لم تفهم «لاريســـا».. ما هذا.. وإذا بـــ»إميليا» تضع بيدها فى الوعاء.. تفلت بيدها جيدا.. ليقدم لها النادل قطعة من القماش المعقم.. ابتسمت «لاريسا» في خجل وفعلت كما فعلت إيمليا»..

بعدها تقدم النادل بقطعة خشب لكل منها فوقها بعض أنواع من الجبن وعناقيد العنب الفاخرة..مع بعض حبات عين الجمل..

وهنا لم تنتظر «إميليا» ان تشـــاهد حيرة «لاريسا» فأخبرتها على الفور ان تناول الجبن بعد الطعام يساعد في الهضم وخاصة أن هذه الانواع من الجبن تحتوي على البكتيريا النافعة... ورغم أن والد «لاريسا» كان بقالا في مصر ويعمل فى مصنع البان هنا في أثينا إلا أنها لم تتعرف على نوع واحد فقط من هذا الجبن والباقي انواعا تبدو جديدة عليها ولم ترها من قبل..

ظنت «لاريسا» أنهم فرغوا من تقديم الطعام الا أن النادل يبدو أنه لن يتركهم الليلة. فقدم اليهم طبقا من ترايفل الشيوكلاته مع التوت البري.. وسأل كل منها عن المشروب المفضل لديهما...

لم تكن الليلة لتنتهي دون حدث عام والذي كان وراءه «نديم» أو «دميان» فقد كان يجلس في سـيارة مع أحد معاونيه يراقب طاولة «إميليا» التي كانت بجوار النافذة بإسـتطاعته أن يلتقط العديد مـن الصور لهما.. ولم يكتفي بذلك.. بل ودخل إلى داخل المطعم بملامحه الاوربية.. وتحدث مع النادل إن كان يستطيع ان يحجز طاولة على العشـاء في الغد..وبالطبع كان يحمل في يده كاميرا صغيرة للغاية وقام بتصوير «إميليا» والتي كانت معروفة لدى رجال المخابرات المصرية أنها الذراع الأيمن لـ«أبو جميل» أو «يوسي كاتسير»..

وبالطبع عندما سـأل النادل عن رقم الهاتف لإتمام الحجز... أعطـاه دميان» رقم هاتف وهمي... فهو لـم يكن يقصد دخول المطعم للحجز.. ولكن لإلتقاط الصور عن قرب.. ومن حسن حظه أن ظهـرت في الصور الطاولة التي بجوار «لارسـيا» و «إميليا» والتي عرف بعدها أنها أحد معاوني «أبو جميل»..

هنا اتضحت الصورة انهم بصدد الإيقاع بفريسة جديدة.. وكان عليهم أي رجال المخابرات المصرية.. تتبع «لارسيا» ومعرفة كل المعلومات التفصيلية عنها..

طلب «دميان» من النادل اسـتعمال الهاتف.. أجابه أنه على اليسـار فى ركن القاعة مر دميان بين طاولة «إميليا» والطاولة الأخرى التى بجانبهـا.. وتظاهر بعمل مكالمة.. ثم غادر المطعم عائد إلى السيارة ومعه أول طرف الخيط...

مع تناول الحلوى والقهوة الساخنة.. سألت «إميليا» لاريسا عن سبب تركها مصر والحضور إلى أثينا فهي تسمع أن الاسكندرية مدينة جميلة وساحرة ويطلق عليها عروس البحر المتوسط وربما تكون أجمل من أثينا.. فما الداعي..اذن..

هنا ظهرت مسحة حزن على وجه «لاريسا».. وأطلقت للسانها العنان لتحكي عما جرى لهـــم من ظلم وقهر بقرار غير مدروس من القيادة فى مصر.. ان على الأجانـــب مغادرة البلاد في فترة قصيرة.. خســـرت صديقتها الوحيدة وجيرانها الطيبين.. كما أت والدها خسر محله والكثير من أمواله.. حتى امها «نارفارا» كانت تعمل حائكة ملابس وكان لديها زبائن من هوانم صفوة المجتمع الســـكندري.. هي ايضا خســـرت كل هذا.. ثم هطلت دمعة من عيناها.. اعتذرت وتلفتت حولها وهي تشعر بالخجل..

تناولها «إميليا» منديلا وهي تقول.. أن لديها كل الحق فالقيادة في مصر الان من الضباط الأحـــرار يتخذون قرارات خطيرة ولا يعرف أحد ماذا سيحدث غدا..

ثم ســـألتها «إميليا» عن صديقتها الوحيدة.. فصارت تحكي «لاريسا» عن «كاميليا» كم هي لطيفة ورقيقة ومخلصة لها للغاية ثم قصت عليهـــا.. أن أباها.. العقيد/ فكري الصباغ.. (هنا لمعت عين إميليا) وقالـــت دون قصد.. «ضابط بالجيـــش».. أجابتها «لاريسا» نعم.. ثم قصت عليها قصة النقود التي يحتفظ بها لأباها بعد أن باع كل الأغراض بعد سفرهم..

فـــي الأول من يونيو عـــام 1967.. كانت «كاميليا» تســـتعد لإمتحانات نهاية العام في السنة النهائية في الكلية.. وكانت تتمني وترجوا من الله أن تكون واحدة من العشـــرة الأوائل كي تحصل علي المنحة... وقد تحدد موعد الإمتحانات بيوم السبت 17 يونيو 1967.

وتمر الأيام بطيئة ليســـتيقظ الشعب المصري علي دق طبول الحرب بين العدو الصهيوني والجيش المصري.. والجميع يستمع إلي البيانات المذاعة من قبل القوات المسلحة.. والتي تبعث الفرحة لدي المصريين والبشري بالتقدم الساحق علي العدو.. وإسقاط طائراته وحرق دباباته.. وقرب إغراق جنودهم في المياه..

وفي اليوم الثالث..

إســـتفاق المصريون علي الخدعة الكبري والبيانات الكاذبة والحقيقة هي ضياع سيناء بالكامل وأن أقدام العدو النجسة تقف علي الضفة الشرقية لقناة السويس.

إنها النكســـة.. هكذا أطلق عليها رجال الإعـــلام في مصر .. تنكست الأعلام.. والحزن يطغي علي الجميع وخاصةً أفراد وقادة الجيش المصري الذي لم يتســـني لهم دخول حرب مباشرة وهذا ظلم لهم ولقدراتهم.. إلي أن جاء يـــوم آخر حزين وهو 9 يونيو 1967 والذي أعلن فيه الرئيس عبد الناصر عبر خطاب شـــهير.. إعلانه التنحي والتنازل عن السلطة والعودة إلي صفوف الشعب..

إنطلقت المظاهـــرات في كل مكان رافضـــة للقرار ومطالبة الرئيس بالعودة لمنصبه والإستعداد لرد الكرامة وطرد الأعداء من سيناء..

كثف رجال الموســـاد إجتماعاتهم التي لـــم تتوقف لمتابعة وتحليل تصريحـــات القيادة المصرية وخطاب التنحي وردة فعل الشعب ازاء هذا الموقف..

وعلـــي الجانب الآخر كانت هناك فرق من كتائب الإســـتطلاع المصري.. تراقب الموقف فى ســـيناء وترسل المعلومات للقيادة المصرية عن أماكن تمركز القوات الإســـرائيلية في سيناء وعلي حدود قناة السويس..

وكان أحد هؤلاء الأبطال..»شـــكري» الذي لم يذق طعم الراحة حتي أرسل كل ما طُلب منه للقيادة المصرية والمخابرات الحربية.. فكان يعيش حياة قاسية بين جبال سيناء..

مرت الأيـــام بطيئة وحزينـــة في الشـــارع المصري وطلبة الجامعة.. وفي أول أيـــام الإمتحانات كان الجميع صامتًا.. يؤدي ما عليه والحزن يخيم علي الجميع رغم مرور إثنا عشر يومًا علي النكسة.. وثمانية أيام علي خطاب التنحي.. والمظاهرات..

وكانت أصعب تحديدًا علي «كاميليا» وأســـرتها.. إذ إلتصقت بأمها «إســـعاد» في غياب الأب «فكري» الـــذي لم يغادر القاعدة الشـــمالية العســـكرية.. وبين الحين والآخر يطمئن عليهما عبر مكالمة هاتفيـــة.. إنها الآن مرحلة إعادة تقييـــم الموقف بأكمله

وإعادة الثقة لعناصر الجيش وبناء جيش جديد وتلافي أسباب خسارة الحرب بدأً من ضرب المطارات المصرية والطائرات لم تتحرك من مكانها..

وكانت هناك ضرورة ملحة لتشكيل قوة للدفاع الجوي لإيقاف طائرات العدو التي استباحت الأجواء المصرية فصارت تكثف غاراتها وترهب الأهالي وخاصة ممن هم من مدن القناة.. وقام «حجازي» بجمع عدد من الأهالي لتشكيل فرق مقاومة شعبية إذا دخل الجيش الإسرائيلي المعتدي بدباباته وعرباته إلى بورسعيد واستطاع من جمع عدد لا بأس له من الرجال وتدريبهم على حمل السلاح وما يسمى بحرب الشوارع..

رغم النكبة والهزيمة إلا أن انتصارت من نوع آخر كانت تتحقق.. فقد تساقط عدد لا بأس به من الجواسيس العاملين لدى الموساد من قلب القاهرة.. وسقوط الشبكات التابعة لهم مما أصاب قيادات العدو بالجنون وتحديدا قيادات الموساد مما جعل «بن جوريون» يثور غضبا ويستدعي وزير الدفاع «موشي ديان» وأيضا رئيس الموساد «مائير عميت».. للإعراب عن غضبه من تفوق رجال المخابرات المصرية على نظيرهم الإسرائيلي رغم الإمكانيات الضخمة والميزانية التي توفرها القيادة فى إسرائيل من أجهزة حديثة وأموال وحزمة تدريب غير مسبوقة ومع ذلك تتساقط فئران او عملاء الموساد الاسرائيلي فى مصيدة رجال المخابرات المصرية..

فيحصلون على الأجهزة الحديثة مجانا وبسهولة بالإضافة إلى المعلومات التي يدل بها كل من يسقط في قبضتهم.. إنها الصفعة تلو الأخرى..

يحتاج الجاســـوس لوقت طويل في التدريب وخطط التمويه لزرعه ووضع ســـاتر أو غطاء يعمل من خلاله بالإضافة للتكلفة الباهظة.. ثم يســـقط بعدها في وقت قصير وبكل سهولة لرجال مخابرات مصر..

ظل «بن جورويون» في حالة هياج وغضب لم يســـتطع أحد إيقافه»

* * * * * * *

قدمت «إميليا» تقريرا مفصـــلا كتابيا إلى «أبو جميل» وبعد أن قرأه.. أرفق معه الصور التي تم إلتقاطها عبر مســـاعده الذي كان يجلس بصحبة سيدة في الطاولة المقابلة لطاولة «لاريسا» و «إميليا».. على أن يرسلها إلى قيادات الموساد في إسرائيل..

ثم استمع إلى تقرير شفوي من «إميليا» عما حدث بكل تفاصيله وكل كلمة قيلت من «لاريســـا» وانفعالاتها ورد فعلها على كل ما حدث في المطعم الفاخر والذي يؤكد انبهارها واستعدادها لكسب المال والعيش فى ثراء وبعد أن فرغت «إميليا» سألها «أبو جميل»

أبو جميل : «ألم يلفت إنتباهك شئ هام فى حديث لاريسا ؟!

إميليا : نعم افهم ما تقصد أنا ايضا لفت إنتباهي بشدة..

اطلق «أبو جميل» ضحكة إبليسية..

ثم أضاف : «كيف لي أن أجد مـــن يفهمني مثلك.. نعم أقصد صديقة «لاريســـا» الفتاة المصرية..اظن أنها قالت أن اســـمها «كاميليا»

ولكن الأهم هو مَن أبوها.. انه ضابط في الجيش المصري..

علينا من الان معرفة تفاصيل أكثر عن هذا الضابط.. ما اسمه.. رتبته العسكرية وفي اي موقع في الجيش يعمل؟!

، كل شئ يتعلق بهذا الضابط اســـفر أن صديقتها «كاميليا» ستكون مفيدة لنا أكثر من «لاريسا»

فعن طريقها يمكن العمل على تلك الفتاة المصرية «كاميليا»..

إميليا : «فلنشرب إذن نخب الاكتشـــاف الجديد مع الاحتفاظ بمكافأة استثنائية لي.. هل توافق»

أبو جميل : عزيزتي.. انتي تستحقين أكثر من مكافئة وسأثبت ذلك حالا».. ثم وضع يده على كتفها واصطحبها إلى الداخل.

ظهرت نتيجة امتحانات الكلية وحصلت «كاميليا» على المكرز الأول مكرر.. مناصفة مع طالب آخر حصل على نفس الدرجات.. فكانت الفرحة في قلبها وبيتها مع «إسعاد» و «فكري» وهي أول فرحة وزغروطة ترن فى بيتهم منذ يوم النكسة..

إســـتطاع «دميان» «نديم».. جمع أكبر قـــدر من المعلومات عن «إميليا» وأيضًا عن «لاريســـا» وبعـــد عقد عدة اجتماعات مع الضابطان «صبري عبد الهادي» و «بهاء اســـماعيل» توصل إلي

خطورة الدور الذي تلعبه «إميليـــا» للإيقاع بالضحايا والتجهيز لتجنيدهم.. فهي عادة ما تستخدم وسائل الإغراء مستغلة جمالها وأنوثتها الطاغية في الإيقاع بأصحاب الغرائز والنفوس الضعيفة من الناقمين علي الأوضاع في البلاد خاصة بعد الهزيمة ونكســـة 67.

ولكنها تعدت حدود إغراء الشـــباب إلي الإيقاع بالفتيات.. وها هي تعمل علي نصب شـــباكها حول «لاريســـا» ليس عبر الإغراء الجســـدي ولكن عبر الإغراء المالي والمـــادي والحياة المترفة.. والثراء السريع.. عبر انتشـــالها من وظيفة متواضعة في فندق.. إلي وظيفة أفضل وبراتب يفوق ما تتقاضاه عشرات المرات.. وهو ما لمعت عينا «لاريسا» عند ســـماعها ذلك في إحدي لقاءتها مع «إميليا» في إحدي المقاهي لتناول القهوة والفطائر.

فكان حديـــث «إميليا» منصبًا أغلبه للســـؤال عن الأحوال في مصر.. وصديقتها «كاميليا» وأسرتها.. خاصةً الأب.. الذي علمت أنه ضابط مهـــم في الجيش لا تعلم رتبته تحديدًا.. لكن اســـمه «فكري الصباغ» وهو في المنطقة الشمالية العسكرية

هنا توقفت «إميليا» عن الحديث عـــن «كاميليا» وأبيها كي لا تلفت إنتباه..

«لاريسا» وانتقلت للحديث عن الذي تعرضت له هي وأهلها بعد طردهم من مصر.. ثم تركت لهـــا ال العنان لتخرج ما في قلبها من آلام وأحزان جراء القرار الظالـــم بطردهم.. وكم من الضيق

والغضب التي تصبها هي ووالداهـــا على جمال عبدالناصر ومن حوله..

وهنا ســـألتها «إميليا» : «هل أنت على الاستعداد للإنتقام مما حدث لكم إذا سنحت لك الفرصة.. «

«لاريســـا»: لا ادري إذا كان فى استطاعتنا فعل أي شئ.. لكن لم لا؟!»

«إميليـــا»: «لا تقلقي.. اتركي لي هذا الأمر.. سأســـاعدك بكل قوتـــي واتصالاتي للإنتقام من كل مَن ظلمك وأولهم صاحب قرار طرد الأجانب»

****

انهت «كاميليا» كل الإجراءات الخاصة بالمنحة.. وقع اختيارها بالتعاون مع أستاذها في الكلية على أن تكون دراسة الأدب اليوناني بجامعة أثينا.. واختارت عنوانا لرسالتها.. «الادب اليوناني وعلاقته بالفلسفة عند ارســـطو» وفي جلســـة مطولة جمعتها بالاستاذ المشرف على رســـالتها من الجانب المصري أعطى لها تعليمات كثيرة بناءا علي خبراتـــه.. فى طريقة البحث والمراجع المطلوبة وأن الجزء الأكبر سيتم بمعاونة الأستاذة في جامعة أثينا..

إقترب موعد السفر بعد أن تم حسم الجدل علي سفر «كاميليا» لمدة عامان.. وكانت مباراة بين فريقين.. «إسعاد» من ناحية ضد «كاميليا» و «فكري»

«إســـعاد» رافضة تمامًا فراق إبنتهـــا والبعد في بلاد غريبة.. وتعود للوحدة مرة ثانية مثل سابق عهدها قبل وصول «كاميليا» وهي طفلة صغيرة للعيش في كنفها ومؤانسة وحدتها..

وعلي الجانب الآخر أبدي العقيد/ فكري الصباغ موافقته لسفر «كاميليا» وإستكمال لدراسة هي أظهرت فيها نجاحًا باهرًا.. فهو يؤمن بالعلم إلي آخر مدي..

ورغم حبه الشديد للإبنة.. لكن عقله يريد أن يمنحها الفرصة التي لا تتكرر كثيرًا ولا تأتي إلا للقليل من المجتهدين..

قامت «كاميليا» بمراســـلة «لاريسا» بعد تحديد موعد السفر.. لمساعدتها في الحصول علي سكن مناسب..

كانت الســـعادة تكاد تشرق وجه «لاريسا» بعد معرفتها بخبر قدوم صديقتها «كاميليا» إلي أثينا.. ولاحظ ذلك كل من يعمل معها وظل هذا البريق ملازم لها حتي موعد لقاءها «بإميليا» للتنزه في إحدي الحدائق..

وبالطبع بادرتها «إميليا» بالسؤال..

«أراك مختلفة اليوم.. أكثر سعادة وعيناك بهما لمعة جذابة»

لم تستطع «لاريســـا» إخفاء الإبتســـامة اللامعة في عيناها.. وصرخت بفرحة وصوت يملأه البهجة : «نعم.. هل لاحظتى ما أنا فيه.. أنا فعلًا ســـعيدة للغاية.. فقد حدث شيء قد اعتبرته سابقًا من المستحيل»..

إميليا : «قتلتيني شوقًا.. ما هو هذا الشيء ؟ «

لاريسا : «هل تذكرين صديقتي المقربة للغاية.. كاميليا»؟

إميليا : وهي تتظاهر بالنســـيان : «أظن ذلك ربما ذكرتي هذا الأسم أمامي».

لاريسا : «نعم فقد حكيت لك عنها وعن أسرتها.. «

إميليا : «ماذا في ذلك.. إزداد شوقي.. أكاد أحترق»

لاريسا : «إنها قادمة إلي اثينا في خلال اسبوعين»

ثم أطلقت تنهيدة من صدرها وكأنها نســـيت معها كل الآلام الحبيسة في صدرها منذ أن طُردت هي واسرتها من مصر»

دق قلب «إميليا» عندما سمعت عن المفاجأة.. «كاميليا» الهدف الجديد إبنة ضابط الجيش المصري.. ســـوف تحضر إلي هنا.. الي اثينا.. وكأن القدر يقدم لها يد العون والمســـاعدة للإيقاع بها وبعدها الإيقاع بأباها.. حضرة الضابط !!

بينما عيناها تلمعان وهي تســـتمع إلـــي المفاجأة بحضور «كاميليا» تخيلت أمامها شـــيك مقدم لها من «أبو جميل» بمبلغ محترم كمكافئة علي هذا الخبر الرائع..

وصل إلي الثلاثة «نديم» أو « دميـــان « والضابطان «صبري وبهاء» الرد من المخابرات العامة المصرية فى القاهرة بمعلومات عن «لاريســـا» وكانت المفاجأة لهم أنها عاشت طوال عمرها في مصر.. وكبرت بالإسكندرية وعاشت مع والديها في حي العطارين وقد حضرت إلي اليونان مع أسرتها مهاجرة من الإسكندرية إلي

أثينا.. مثل باقي الأجانب الذين هاجروا من مصر.. وتضمن أيضًا كل المعلومات عنهم بالتفصيل وكان هذا تقريرًا هامًا..

صبري : «إذًا هذه الفتاة «لاريســـا» تتحـــدث العربية بطلاقة وتعرف مصر والإســـكندرية جيدًا.. ولا بد انها مازالت علي صلة بأناس في مصر ربما من أصدقائها أو زميلات الدراسة»

بهاء» : «لابد من وضعها تحت المراقبة وإرســـال عنوان بيتها هنا للمكتب في القاهرة لمراقبة أي بريد صادر من مصر إلي هذا العنوان..

دميان :إتركوا لي مهمة مراقبتها فهي تبدو عديمة الخبرة وليس لها أي خطط للهروب من المراقبة أو التخفي.. تتبعها سهل للغاية بجانب أن تحركاتها قليلة.. لا تعدو التنقل بين المنزل والعمل في الفندق ثم بين الحين والآخر تتقابل مع الأفعي.. أقصد «إميليا»..

ضحك الضابط عند سماع تشبيه «نديم» لإميليا بالأفعي..

حزمت «كاميليا» حقيبتها.. وكانت تمني نفســـها بزيارة من «نديم» أخيها..

بعد أن تركت له رســـالة في غرفته وبها عنوانها بالعطارين.. لكن اقترب موعد السفر دون أي تغيير..

قضت ساعة مع «إســـعاد» تضمها وتربت على كتفيها وكأنها هي أمها وأن «إسعاد» هي الابنة..

ولم تتوقف «إســـعاد» عن البكاء ومحاولة إقنـــاع «كاميليا» بالعدول عن قرارها بالســـفر وانها يمكن أن تلتحق بالدراســـات العليا بجامعة الاسكندرية لم تأتي بأي نتيجة..

اصطحبها العقيـــد/ فكري الصباغ مع «إســـعاد» إلى ميناء الاسكندرية حيث تستقل الباخرة متجهة إلى ميناء «بيرايوس»

تحركت الباخرة من رصيف ميناء الاسكندرية...

وهـــي تلوح بيداها إلي الام «إســـعاد» و الاب «فكري» وكانت تتمني أن تلتقي «نديم»قبل مغادرة مصر إلى المجهول...

مع إطلاق صافرت الباخرة الرخيمة..يدق قلب كاميليا بشدة... مع اســـراب طيور النورس الحائمة حول مؤخرة الباخرة وكأنها تحـــرس «كاميليا» وتطمئـــن عليها إلى أن تصـــل الى وجهتها باليونان..

البيوت تبـــدو صغيرة واختفت الرؤية تمامـــا لرصيف ميناء الاسكندرية..

شعرت «كاميليا» أنها تريد العودة للإسكندرية.. لكن الوقت قد مضي..

كان لقاءًا حارًا للغاية.. العناق والأحضان بين «لاريســـا» التي كانت علي رصيف مينـــاء بيرايوس في إنتظار هبوط الركاب من علي ظهر الباخرة..

الضحكات إختلطت بالدموع.. لم تصدق كلا منهما.. أن يلتقيا مرة أخري بعد هجرة الأسرة من الاسكندرية.. هجرة بلا عودة لكن القدر فتح لهما بابًا آخر للقاء.. باب من الطرف الآخر من الخيط..

صممت «لاريسا» أن تقيم «كاميليا» معهم في منزلهم الصغير.. كذلك الأب «انطوان» والأم.. رحبا كثيرًا بالفكرة..

وكان «انطوان» في أشـــد سعادته حين ناولته «كاميليا» هديًة من أباها «فكري» وكذلك هدية للأم « نارفارا» من أمها «إسعاد» ثم ناولت الأب «انطوان» ظرف مغلق به مبلغ من المال.. المال الذي احتفظ به «فكري» لديه بعد أن باع أغراض انطوان بالكامل..

كانت «كاميليا» متعبة ومرهقة جسديًا ونفسيًا.. دخلت حجرة النوم مع «لاريســـا».. التي لم تتوقف عن الكلام.. لتكتشـــف أنها تحـــادث حالها فقد راحت «كاميليا» في ســـبات عميق وربما لم تسمع كلمة واحدة من كلام «لاريسا».. والتي لم تتوقف أيضًا عن الكلام.. وإختتمت بقولها :

«غدًا نكمـــل حديثنا.. لدي الكثير لأحكيـــه» ثم وضعت عليها الغطاء وأطفات الأنوار.

تلقى «يوسي كاتسير» برقية مشفرة من الموساد الإسرائيلي.. مفادها أن يقـــوم بتكثيف مجهوداته.. والإيقـــاع بأكبر عدد من المصريين لتكوين شبكة جاسوسية جديد بدلا من التي اكتشفتها الســـلطات المصرية وألقت القبض عليهـــم جميعا وهم الآن قيد

التحقيق وربما الإعتراف بكل شئ.. وكانت آخر جملة في البرقية.. نريد مصادر ووجوه جديدة..

قام «أبو جميل» بعدها بعقد اجتماع مع عدد من معاونيه وأيضا «إميليا» لوضع خطة شاملة للإنتشار في أماكن تجمع المصريين.. ثم فكر بعدها في أن يعلن فى الجرائد المخلية.. عن حاجة شركة مصايد أعالى البحار.. إلى صيادين يجيدون اللغة العربية.. وبذلك وعن طريق المقابلات الشخصية لمن يتقدم للوظيفة وفي الغالب سيكونون من الصيادين من مصر وتحديدا المدن الساحلية مثل الاسكندرية ورشيد وكفر الشيخ ودمياط وبورسعيد..

يمكن عمل ملف لكل شخص ودراسة حالته ربما يكون بينهم من يصلح للتجنيد..

استطاع «نديم» أو «دميان» من فرض رقابة على «لاريسا» وتم ارســـال عنوان بيتها إلى رجال المخابرات فى مصر.. مع عدد من الصور لها ومـــكان عملها.. ثم أخيرا صورة لها وهي تدخل ميناء بيرايوس.. بمفردها وبعد ساعتين تقريبا.. شوهدت وهي تخرج من الميناء بصحبة فتاة حاملة حقيبة سفر..

ثم استقلا تاكسي..

تداخلت المشـــاعر واختلطت لدي «كاميليـــا» وهي تتنزه في ميادين وشـــوارع أثينا.. مشاعر السعادة بالسفر والنقلة الجديدة وإجتماعهـــا مع صديقتها القديمة والوحيـــدة بعد فقد الأمل في

اللقاء.. وأيضًا فقد شـــعرت بوحشـــة غريبة تجاه أمها «إسعاد» وأبيها «فكري».. جلســـت علي إحدي المقاعد الخشبية المنتشرة بطول كورنيش البحر.. وأخرجت دفتر وقلم.. كتبت خطاب لهما ودمعها يزرف ويســـقط علي الورق.. ثم وضعت في ظرف كانت تحتفظ به وإقترضت طابعًا بريديًا من «لاريســـا» ووضعته في صندوق البريد..

كان يتابع هذا المشهد «دميان» وإثنان من زملاءه.. وإستطاع تصوير «كاميليـــا».. نعم كاميليا.. أخته.. والتي لم يدرك انها هي «كاميليا» من يبحث عنهـــا وتبحث عنه.. فهو يراقبها ويلتقط لها الصور.. ويرســـلها إلي رجال المخابرات المصرية.. ياتري من تكون هذه الفتاة.. فإنها تبدو بملامح شـــرق أوسطية أو عربية.. ليجيب «دميان» نعم.. كأنني رأيتها من قبل.. ملامحها مألوفة لدي للغاية.. تذكرني بأختي الكبيرة «كاميليا»..

قاطعه أحد الزملاء : لديك أخت تدعي كاميليا ؟!..

أجاب «نديم» أو «دميان» بعد تنهيدة عميقة.. «نعم.. لم التقي بها منذ سنوات طويلة وعديدة.. «

القدر يتلاعب بهما مرة أخري أو ثالثة و ربما عاشرة..

تفصل بينهما أمتارًا قليلة.. هو يبحث عنها وهي تبحث عنه..

وماذا الآن.. هو رجل مخابرات مصري يراقب عنصر له علاقة بالجانب الإسرائيلي..

حتي ولو كان من بعيد.. فهي تظهر مع «لاريســـا» التي تلتقي «بإميليا» والتي هي عنصر نشط بالموســـاد الاسرائيلي والزراع اليمني للضابط السابق ورجل المخابرات الحالي «يوسي كاتسير» أو «أبو جميل»..

نعم إنه قدر مجنـــون.. يلقي بخيوط فوق رؤوس كل من يقع تحت طائلته.. يحركهـــم كما يحرك لاعـــب العرائس دميته في مســـرح العرائس.. يبدل أماكنهم يقربهم أحيانًا ويبعدهم أحيانًا أخري كثيرة.. لعبة قاسية للغاية يعلم كم يتعذبون لكن لا يحرك له ســـاكنًا.. قدر متبلد.. منزوع المشـــاعر يقرب المسافات تارة ويلقيهم من أبعد الأماكن تارة أخري.. من يصدق أن يكون «نديم» و «كاميليا» والخنزير.. في مدينة واحدة يمكن ان تتجول فيها أقل من ساعة لتقطع شرقها إلي غربها.

إســـتيقظت «كاميليا» من أفكارها وحنينها إلي الأســـكندرية وبيتها في حي العطارين.. علي يد «لاريســـا» وهي تقدم لها كوبًا من آيس كريم الفانيليا والشيكولاتة..

في صباح اليوم التالي..

إســـتيقظ العالم بأجمعه علي خبر هز أركان العالم وتحديدًا الدول المطلة علي البحر الأبيض المتوسط..

فقد إســـتطاعت القوات البحرية المصرية يـــوم 21 أكتوبر 1967.. أي بعد أربعة أشهر من النكسة.. وبواسطة زورق بحري

صغير.. من إطلاق صاروخين.. علي المدمرة إيلات التابعة للبحرية الإسرائيلية.. وإغراقها بالكامل..

المدمرة إيلات هي واحدة من أكبر القطع البحرية الإسرائيلية والتي كانت تجول مياه المتوسط وتقترب من الشواطيء المصرية بكل غرور.. دون رادع..

إستطاع عدد قليل من رجال البحرية المصرية وبزورق صغير.. من ضربها في المنتصف.. وفي خلال ســـاعتين كانت قد غرقت بالكامل وأبتلعها البحر.. وإستقرت في أعماقها بكل ما عليها من طاقم بحري.. وتجهيزات عسكرية..

الحكومة الاسرائيلية في حالة هياج.. غضب عارم بدأ من رئيس الوزراء ومدير الموساد إلى أصغر العاملين..

اجتماع طارئ يضم مجلس رئاســـة الوزراء ورجال الموساد والمخابرات الحربية الإسرائيلية بالإضافة إلى قيادات من القوات البحرية والتي تتحمل الجانب الأكبر من فضيحة غرق أكبر وأهم مدمرة لديهم «إيلات» وعلى يد مـــن؟! القوات البحرية المصرية ذات الإمكانات المحدودة.. والكارثة أنها غرقت بقذيفتين من لنش بحري صغير كأن فأراً اســـتطاع قتل الأسد.. هذا كان تعبير أحد القيادات والذي وجه جملته الســـاخرة إلى قائد القوات البحرية ومعه وزير الدفاع «موشى ديان» وقد حضر مندوب من البنتاجون الأمريكي «وزارة الدفاع» لفتح تحقيق غير رســـمي ومناقشـــة القيادات الإســـرائيلية لمعرفة ملابســـات ما حدث وكيف حدث..

حيث أن وزارة الدفاع الأمريكية هي الممول الرئيسـي للأسلحة في إسرائيل وهى تخشى على سـمعة صناعة السلاح الأمريكية فقـد كانت على متن المدمرة «إيـلات» رادار صنع أمريكي وكل التجهيزات كانت تابعة لسلاح البحرية الأمريكية..

حاول المسؤلون في إسرائيل تهدئة من روع المندوب الأمريكي لكن دون فائدة.

الحدث جلـل ولا توجد أعذار.. كان لابد مـن تفادي الضربة واكتشـاف الزورق المصري وتدميره.. هكـذا كانت آخر جملة للمندوب الأمريكي قبل أن يغادر..

تم إستدعاء «يوسي كاتسير» أو «أبو جميل» من قِبل الموساد الإسرائيلي.. لمناقشة الخطة المستقبلية لتجنيد عملاء أكثر فاعلية من الموجودين حاليًا..

فقد كانت هناك قناعة لدي قيادات الموساد انه كان من الممكن تفادي الضربة التـي أغرقت المدمرة «إيلات» إذ إسـتطاع أحد الجواسـيس العاملين بمصر.. من معرفة تلك المعلومة وإرسالها إلي الموساد وبالتالي تكون البحرية الإسرائيلية علي أتم الأستعداد وتفادي الفضيحة بجانب خسـارة قطعـة بحرية هي الأكبر في أسطول البحرية الإسرائيلية..

وتم تدعيم «أبو جميل» بحبر سري جديد وشفرة إرسال جديدة بالإضافة لجهازين إرسـال حديثين للغايـة لإعطائهم لعميلين جديدين يزرعان داخل مصر..

وأثناء الحديث.. كان «يوســـي كاتســـير» يفكر في «كاميليا» صديقة «لاريســـا» ولكن لم يشـــأ أن يطلع الموساد علي هذا قبل التحقق من الأمر ومن إســـتعداد «لاريسا» بالتعاون معه وبالتالي ســـهولة الإيقاع «بكاميليا» ومن بعدهـــا الضربة الكبري محاولة الإيقاع بأبيها الضابط نفســـه.. وبذلك يكـــون لديهم عين داخل القاعدة العسكرية الشمالية للجيش المصري..

إنه حلم لكن ليس ببعيد.. ســـأبدأ فورًا عند عودتي.. لابد من التحرك سريعًا..

إســـتكمل إجتماعه مع القيادات.. وعقله معلق بـ «لاريسا» و «كاميليا»..

أيضاً المخابرات العامة المصرية كانت تعلم أن إغراق المدمرة إيلات ســـوف يكون له ردة فعل.. وربما عنيفـــة... وبالفعل فقد اغارت بعض من طيارات العـــدو محاولة إخافة المصريين وبث الرعب فيهم... وكأنهم يوصلون رســـالة مفادهـــا.. أننا لنا اليد الطولى ويمكن أن نصل إلى أى مكان داخل مصر...

ومن هنا تم التنسيق بين قيادات الجيش المصرى والمخابرات الحربية والمخابرات العامة على ضرورة الســـرعة فى البدء فى إنشـــاء حائط الصواريخ.. وتكوين قوات الدفاع الجوى المصرى لقطع الذراع الطولـــى للعدو ومنع طياراتهـــم من الاقتراب من الحدود المصرية.. وكان لابد من وضع خطة تمويه وخداع العدو..

و توجيه ضربات أكثر تشغلهم كى تتمكن مصر من بناء بطاريات الصواريخ.. و الرادارات.

تم استدعاء «صبرى عبد الهادى» و «بهاء اسماعيل» ومعهما «ســــراج زغلول» من أثينـــــا إلى القاهرة.. وتم إعفــــاء «نديم» أو «دميان» من مراقبة لاريسا وصديقتها التى مازالت مجهولة لهم.. وأيضاً «إيميليا»

إنما التركيز على مذكرات ضابط التشغيل الإسرائيلي «يوسي كاتسير» أو «أبو جميل»

فالحصول على مذكراته قبل المخابرات الإسرائيلية ستكون ضربة قاســـية.. عندما يتم الإعلان عن وقوع مذكرات جاسوس في قبضة رجال المخابرات العامة المصرية.. بكل ما تحوى من أسرار..

امتدت الاجتماعات بين الثلاثى» صبرى» و»بهاء» و»ســـراج» لساعات طويلة تلقى فيها «ســـراج زغلول» أو «دميان» تدريبات مكثفة على التنكر والتخفى والأهم هى التدريبات التى تلقاها على يد خبير فتح خزن وأبواب وكل ما له قفل..... الى أن أتقن «دميان» فتح أى باب أو خزنة..

ثم وضع الخطـــة الخاصة بالبحث عن مذكرات الجاســـوس «يوسي كاتسير» أو «أبو جميل»

من بيته أولاً..

ثم سافر «دميان» إلى أثينا عبر قبرص...

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

عاد «يوســـي كاتســـير» أو «أبو جميل» إلى أثينا قبل وصول دميان بيومان...وعلى الفور عقد لقـــاءاً هاماً مع «إميليا» وطلب منها ترتيب موعد مصادفة للقاء والتعارف على «لاريسا».. سألته إميليا : هل أطلب من «لاريسا» إحضار صديقتها «كاميليا» معها...

أبو جميـــل:.. لا.. أريد أن التقى «لاريســـا» وحدها..فى هذه المرحلة..

إميليا :.. هل لديك خطة للقاء والأسلوب الذى يبدو به مصادفة دون ترتيب.. أم أضع أنا الخطة..

أبو جميل :.. لا تفعلى أنتِ شـــيئاً..لدى خطة.. أنتِ فقط عليكِ التنفيذ..

.. عليك فقط يا إميليا.. دعوتها للعشاء في نفس المطعم الفاخر الذى التقيت بها فيه أول مرة.. هل تذكرينه ؟!..

إميليا :.. بالطبع.. ولن أنسى كم الإبهار والإعجاب الظاهر على «لاريسا»..

ضحك الأثنان سوياً.. وكان الشيطان ثالثهما..

أغلقت «لاريسا» السماعة في الفندق أثناء عملها.. لتنهى مكالمة مع «إميليا».. تدعوها للعشاء الليلة.. وأول ما فكرت فيه هو.. ماذا سترتدى.. ؟!

تقريبـــاً على نفس الطاولة في المطعـــم الفاخر.. وعلى ضوء الشموع.. والموســـيقى الهادئة القادمة من أصابع عازف بيانو.. يدق برفق على أصابع بيانو أبيض ضخم..

تغيرت قائمة الطعام هذه المرة.. بدلاً من المأكولات البحرية.. قدم إليهـــم النادل الأصناف المختلفة من اللحوم الحمراء.. بطرق طهى مختلفة..

كانت الأجواء رائعة ومازالت «لاريسا»منبهرة وسعيدة بتواجدها بين صفوة المجتمع اليوناني.. تبـــدو مظاهر الثراء على كل من حولها..

مر الوقت لطيفاً بيـــن الحديث العذب والضحكات إلى أن قدم النادل آخر أطباقه..

كريم بروليه.. مع القهوة الفرنسية..

وبعـــد دقائق تقدم النادل إلى «إميليا « ليخبرها أن لها مكالمة هاتفيـــة.. هناك من اتصل بها.. قامت «إميليا» ومعها حقيبة يدها بعد أن أستأذنت من «لاريسا» للرد على الهاتف..

مرت دقائق بطيئة.. إنهت فيها «إميليا» االمكالمة.. ثم غادرت المطعم دون أن تعود إلى الطاولة أو تتحدث مع «لاريسا»..

لم تلق «لاريسا» بالاً لما حدث.. وبعد مرور بعض الوقت.. تقدم النادل إلى «لاريسا» وقدم إليها فاتورة حساب الطعام.. داخل علبة من القطيفة ومعها قطعة حلوى النعناع..

نظرت «لاريســـا» إلى العلبة المخمليـــة.. فتحتها.. كنوع من الفضول.. لتعرف تكلفة تكلفة عشاء مثل ذلك.. فتحت فاها وهى تشاهد بعيناها.. الرقم الضخم للفاتورة..

يا آلهى.. إنه يوازى راتبى لمدة 6 أشهر على الأقل..

وضعت الفاتورة مكانها وأغلقت العلبة.. وظلت قابعة مكانها تتلفت حولها في إنتظار وصول «إميليا».

لكن بالطبـــع.. «إميليا» لـــن تصل فهى غادرت بســـيارتها المكشـــوفة المكان بالكامل.. وهى الآن فـــي طريقها إلى بيتها.. تشعل ســـيجارتها وشعرها يتطاير مع نســـيم الهواء المندفع.. وتطلـــق الضحكة بين الحين والآخر.. وهـــى تتخيل ملامح وجه «لاريســـا» عندما يطالبها النادل بدفع فاتورة العشاء.. هل ستظل سعيدة ومبهورة بالمكان والعشاء وتواجدها بين صفوة المجتمع اليوناني.. أم ماذا ؟!

تقدم النادل.. بنفس الابتسامة من « لاريسا» مشيراً إلى العلبة المخملية.. ويطلب الحســـاب.. شعرت هى بالإحراج الشديد وبدأ العرق يتصبب من جبينها ونســـيت الطعم الرائع المذاق لأصناف الطعام وطبق الماء بالليمون والورد لغسل اليدين.. وكل اللحظات الجميلة.. ورغم أن الطاولة الفاخرة مازالت عليها فنجانين القهوة وأطباق الحلوى.. وموسيقى البيانو تعزف أعذب الألحان وأضواء الشموع المبهرة مازالت تضوى المكان..

ولكن مقعد «إميليا» فارغاً.. وابتســـامة النادل أختفت شـــيئاً فشيئاً

بعد أن سمع إجابة «لاريسا» : .. نعم.. نعم.. أننى فقط أنتظر عودة صديقتى..

إنها تتحدث من الهاتف وعند عودتها ستدفع الحساب..

النادل : من دون ابتسامة وبوجه يبدو عليه الجدية : صديقتك غادرت المكان.. حتى سيارتها غير متواجدة فى الخارج.. اعتقد انكِ عليكِ دفع الحساب..

ازداد حرج «لاريســـا» ثم طلبت من النادل أن يعود بعد قليل.. فتحت العلبـــة تنظر إلى فاتورة الحســـاب القابعة بجوار قطعة حلوى النعناع..

فتحـــت الفاتورة ثانية.. ألقت نظرة علـــى المبلغ.. أنه ضخم للغاية.. ثم نظرت إلى ســـعر كل طبق.. أنه الجنون.. فسعر طبق المقبلات فقط أو اللوحة الخشـــبية التى تحـــوى الجبن وعناقيد العنب وبعض حبات عين الجمـــل.. كفيلة أن تعيش بثمنها لمدة عام كامل..

تلفتت حولها لا تدرى ماذا تفعل.. فكرت في الاتصال بأبيها.. ليحضـــر ومعه نقود.. لإنقاذها من أســـوأ موقف تعرضت له في حياتها.. قامت ناحية الهاتف في الركن الأيسر من المطعم.. لتتأكد من وجود «إميليا».. كانت كابينة الهاتف خالية إلا من رف خشبى عليه الهاتف الأسود.. ولكن كيف لها الاتصال بأبيها.. إنه الآن في

البيت.. وربما إستعد للنوم كعادته.. ينام مبكراً كى يستقيظ مبكراً للعمل في مصنع الألبان..

بالأضافة إلى كل هـــذا.. فلا يوجد لديهم هاتف في المنزل من الأصل..

فالبيت يقع في منطقة نائية خارج حـــدود العاصمة والبنية التحتية للمكان لم تكتمل بعد..

ســـارت ببطء ولمحت النـــادل يراقبها عن بعـــد.. عادت إلى مقعدها.. وإذا بالنادل يحضـــر إليها وبصحبته رجل آخر يرتدى حلة فاخرة.. قدم النادل الرجل إليها.. إنه مدير المطعم..

وإذا بصوت المدير يرتفع بعض الشـــىء مطالباً «لاريسا» أن تأتى معه إلى مكتبه في مؤخـــرة المطعم.. قائلاً : «يبدو إنك لن تســـتطيعى دفع فاتورة حساب العشاء فلابد من اتخاذ الإجراءات المتبعة في مثل تلك الحالات والتي لا تحدث كثيراً..

.. ثم أشار إليها بالنهوض معه..

كادت «لاريســـا» أن تصاب بحالة من الإغماء والســـقوط على الأرض وأن تســـلم جســـدها لأرض المطعم أفضل لها من إتخاذ الإجراءات ضدها وهى بالطبع تسليمها لشرطة المدينة..

بالفعل.. تراخت عيناها وســـقطت ببطء على أرضية المطعم بجوار الطاولة الفاخرة.. فإذا بيدان تمتدان لتلقفها قبل السقوط على الأرض.. إنه رجـــل كان يتابع الموقف من الطاولة المجاورة لطاولتها و»إميليا»..

إستفاقت «لاريسا» لتجد نفسها جالسة في مكتب المدير وهو جالس خلف مكتبه وأمامها في المقعد المقابل.. رجل أنيق وعلى وجهه إبتسامة باهتة..

ثم شـــاهدت الرجل يقدم حزمة كبيرة من النقود إلى المدير.. قائلاً : هذا حساب فاتورة السيدة.. وهو يشير إلى «لاريسا»..

حاولت «لاريسا» التدخل بالكلام.. لم تعرف ماذا تقول.. أشار إليها الرجل أن تصمت.. معقباً.. لا تقلقى.. ليس هناك مشكلة على الإطلاق..

وفجأة تحول المديـــر.. إلى كائن رقيق وبإبتســـامة ظهرت منها أســـنانه اللامعة وقدم الإعتذار بكل أدب إليها.. وأصطحبها إلى الطاولة مرة أخرى.. وقدم إليها فنجاناً من القهوة الفرنســـية الساخنة.. .. هذا إعتذارى..

وظهر النادل.. وعادت إليه الإبتسامة الحنون.. وسألها إن كانت تريد شيئاً آخر.. ولمحت الرجل الذى دفع الحساب وهو يعود إلى طاولته المجاورة لها..

تركت القهوة وكل شيء.. وتقدمت اليه.. توجه إليه الشكر وأن هذا المبلغ هو دين في عنقها وعليها تسديده..

دعاها الرجل للجلوس.. ثم قام النادل بنقل القهوة إلى طاولة الرجل..

قدم إليها الرجل نفســـه والذى كان بالطبع «يوسى كاتسير» الذى افتعل كل هذه التمثيلية المتقنة بالأتفاق مع إميليا..

مد يده مصافحاً «لاريسا» :.. أنا «بافلوس كوركيس»..

لكن أصحابى ينادوننـــى «بافو» يمكنك أن تنادينى أنت أيضاً «بافو»..

قدمت «لاريسا» نفسها إليه.. وشـــكرته مرة ثانية.. ثم سألها «بافو» إن كانت لديها ســـيارة للعودة إلى بيتها.. وصرح لها أنه على أستعداد لإيصالها بسيارته..

وبالفعل فتح لها باب الســـيارة القابعـــة في خارج المطعم.. جلســـت إلى جواره ودار بينهما حديثاً قصيراً.. صممت «لاريسا» أن تدفع له مبلغ فاتورة العشـــاء لكن ليس معها نقود الآن.. فإذا بـــ»يوســـى كاتســـير» أو «بافو» يقترح أنها ممكن أن تكتب له شيكاً.. لا داعى للنقود السائلة إذا لم تتوفر لديها الآن..

لم تتوقع «لاريســـا» هذا الرد منه.. لكـــن كبرياءها دفعها لأن تقول.. «طبعاً.. طبعاً».. يمكننى أن أحرر لك شـــيكاً.. لكن دفتر الشيكات ليس بصحبتى..

الآن..

وللمرة الثانية تتلقـــى صفعة أخرى.. فـــإذا «ببافو» يوقف السيارة جانباً ويخرج من جيبه دفتر شيكات.. قائلاً : نعم.. يمكن أن نستعمل هذه الشـــيكات فهى تُصرف لحاملها.. ثم كتب فيها مبلغ فاتورة المطعم.. لكنه ترك مسافة فارغة على يمين المبلغ..

وناول الشيك والقلم إلى «لاريسا» :.. يمكنك أن توقعى هنا.. وعند سدادك للمبلغ تستطيعين الحصول على الشيك واسترداده وتمزيقه..

زاد غيظ «لاريســـا» وبحركة عصبية ودون أن تنتبه لتفاصيل الشيك قامت بالتوقيع على الشيك..

وبحركة ســـريعة أعاد «بافو» دفتر الشيكات إلى جيبه ومعه القلم..

ثم قاد سيارته إلى منزل «لاريسا»..

دخلت البيت وهى ساخطة على كل شيء ولم تستطع البكاء.. فالغيظ والغضب كان أقوى وشكل حاجزاً منيعاً أمام دموعها ولم +يسمح لها أن تهطل على وجهها..

قابلتها أمها «نارفارا»... لم تســـمع ما قالته ودخلت غرفتها.. لتجد «كاميليا» تغط في نوم عميق في السرير المقابل لسريرها..

ابتعد «بافو « بســـيارته بعيداً عن منزل «لاريســـا» ثم أوقف السيارة.. أخرج دفتر الشيكات.. نظر في الشيك الذى حرره باسم «لاريسا».. أخرج قلم.. وأضاف ثلاثة أصفار على يمين الرقم في المساحة الفارغة التي تركها..

وضع كل شـــيء في جيبه.. قاد ســـيارته وهـــو ينفث دخان ســـيجارته في متعة شيطانية ما بعدها متعة والإبتسامة لا تفارق وجهه.. إبتســـامة المنتصر.. وإعجابـــه بمواهبه كمؤلف وممثل ومخرج بالإشتراك مع «إميليا»...

في إحكام الشباك حول «لاريسا»...

❋❋❋❋❋❋❋

قام «دميان» مع إثنين من معاونيه.. بتفقد مسكن «أبوجميل».. فهو يســـكن في شقة بالطابق الحادى عشـــر في بناية ضخمة.. وعلى البـــاب الخارجي ثلاثة من رجال أمن المبنى.. دار «دميان» دورة حول المبنى.. وعمل رسم كروكى للمكان.. ثم عاد والرجال.. لوضع خطة مناسبة ومؤمنة للدخول إلى شقة «أبوجميل».. كان الأمر في غاية الصعوبة..

فمن المســـتحيل تقريباً الدخول من أحد النوافذ نظراً لوجود الشقة في الدور الحادى عشر..

ارتفاع شـــاهق للغاية.. فليس هناك سبيلا من الدخول إلا عبر الباب الرئيسى..

وكان «دميان» يدرك جيداً وأثناء تلقيه الدورة في فتح الأقفال والأبواب..أنه يمكن أن يفتح الباب ولكن منذ إغلاقه لا يستطيع أن يحرك المفتاح لإغلاقه كما كان بالضبط.. مما يجعل من السهولة إكتشاف أن هذا الباب تم فتحه وخاصةً من شخص مدرب ضابط مخابرات ذو خبرة عســـكرية ومخابراتية عريضة مثل «يوســـى كاتسير»..

أشـــار عليه أحد المعاونين أنه من الممكـــن التغلب على هذه المشكلة إذا تعاملنا مع الموقف من الناحية النفسية..

«دميان» : «وكيف ذلك ؟!»

الرجل :.. مثلاً.. إذا إســـتطعنا أن نضع «أبو جميل» في موقف سخيف.. وأستطعنا استثارة غضبه.. قبل عودته إلى البيت.. فهذا

كفيل بأن يمنعه من الأنتباه لأي شيء.. بخلاف أن يكون في حالة مزاجية عادية فسوف يقوم بفحص كل شيء قبل دخوله الشقة.. وهو حريص للغاية كما هو معروف عنه.. إذن لابد من رفع ضغط دمه ولا مانـــع من حرق هذا الدم ليصل إلـــى درجة الغليان في عروقه.. وبذلك لن يستوعب أي شيء وسيفقد تركيزه ويتخلى عن الإجراءات اليومية من الحيطة والحذر.

إستحسن «دميان» الفكرة.. وطفق الثلاثة يصنعون خطة رفع ضغط أبو جميل مع حرق دمه وإيصال هذا الدم لدرجة الغليان.. وقد تطلب هذا مراقبة صارمة لمعرفـــة روتينه اليومى والأماكن التي يتردد عليها..

وفى أحد الأيام.. تنكر «دميـــان» وأحد معاونيه في زى عمال نقل الأثاث.. فقد كانت الشـــقة التي تعلو شـــقة «أبو جميل» في الطابق الثانى عشر.. يتم نقل أثاث جديد لها..

دخل «دميان» ومعاونـــه.. يحمل كل منهم صندوق صغير به معـــدات فك وتركيب الأثاث.. وصعدا إلى الطابق الثانى عشـــر.. وهما يراقبان عبر الدرج باب شـــقة «أبو جميل» أســـفل منهم في الطابق الحادى عشر.. حتى شـــاهداه وهو يغلق باب الشقة ويضع خيطاً من خيط يستخدمه في صيد الأسماك.. شفاف.. بين البـــاب وحلق الباب من أعلى.. ثم أغلق الباب وبصحبته كلب كبير الحجم.. فقد إعتاد أن يخرج مع كلبه إلى الحديقة القريبة للتنزه مع الكلب فهو يستغرق من أربعين دقيقة لساعة.. وبسرعة هبط

دميان ومعاونه.. إلى شقة «أبو جميل».. واستطاع أن يفتح الباب في دقائق ودخل بحرص إلى داخل الشـــقة وبدأ التفتيش الدقيق وبحرص شديد بحثاً عن مذكرات «يوسى كاتسير»...

وكان في الحديقة رجل ثالث من معاونى «دميان» في إنتظار وصول «أبو جميل» وكلبه لتنفيذ خطة حرق الدم.. كما أسموها..

مرت الدقائق الأولى على «دميان» وهو يبحث بحرص في الأماكن المتوقعة والغير متوقعة لإخفاء «يوسى كاتسير» للمذكرات..

دخل «أبو جميل» الحديقة وأطلق كلبه دون رباط كى يتحرك ويتنزه حوله بحريـــة.. كما اعتاد كل يـــوم.. وبعد مرور الوقت بأكمله.. وقبل مغادرة «أبو جميل» للحديقة..

فقد أشـــار إلى كلبـــه أن يحضر إليه.. بعـــد أن حضر الكلب كالمعتـــاد وضع الرباط الذى في يده وثبته في الحلقة من الطوق الملفوف حول عنق الكلب...

شد وثاقه واقترب للخروج من باب الحديقة... فإذا بكلب ضخم شرس.. ينقض على كلب «أبو جميل» وتحدث مشاجرة عنيفة بين الكلبين.. و»أبو جميل» في حالة ذهول.. من أين أتى ذاك الوحش الشرس.. وإذا بأحد معاونى «دميان» يظهر وهو يركض في اتجاه كلبه الضخم وهو يوجه له أمـــر بالتوقف عن مهاجمة كلب «أبو جميل».. اســـتمر قتال الكلاب لعدة دقائق وقد أصيب كلب «أبو جميل» بعدة إصابات في الوجه.. تدخل بعدها بعضاً من العاملين بالحديقة وانتقل الشجار من الكلاب إلى صاحب كل كلب.. وتوجيه

اللوم والعتاب وتصاعد الموقف إلى كيل السـباب.. إلى أن امتدت الأيدى وتشـاجر الرجل ولكم «أبو جميل» عدة لكمات في وجهه وتحديداً في مكان الجرح القديم فوق حاجبه الأيسر..

الجرح الذى اسالت به دماؤه من حجر مدبب بيد طفلة صغيرة منذ سنوات طويلة فى بورفؤاد.. يقصد ما فعلته به «كاميليا»

استمر الشجار.. مع اسـتمرار بحث «دميان» عن المذكرات دون فائدة.. إلى أن استطاع الوصول إلى مكان خزنة مدفونة فى الحائط.. قام بفتحها وأظهر براعة رغم قصر مدة تدريبة على فتح الخزن..

كان بداخلها بعض الأموال وأوراق تخص شركة مصايد أعالى البحار وبعض شرائط الڤيديو كاسيت.. بنظرة سريعة عرف أنها شرائط جنسية لبعض ضحاياه والتى يستخدمها ضدهم فى الوقت المناسب للإيقاع بهم.. هنا الشجار توقف واستطاع العاملون فى الحديقة السـيطرة على الموقف.. أصـر الرجل على تقديم بلاغ للشـرطة وأصر أيضاً على أستدعاء الشرطة للمكان.. حاول «أبو جميل» أن يظهر أن الأمر لا يستدعى تدخل الشرطة فهو بالتأكيد لا يرغب أن يذكر اسمه فى محضر الشرطة.. نظراً لسمعته كمدير لشركة كبيرة، من المخجل أن يكون هناك محضراً واستدعاء نيابة حول قضية مشـاجرة مع رجل و كلبه.. وأيضاً كرجل مخابرات ومن أساسيات عمله هو البعد تماماً عن الشرطة وتدخلاتها..

لكن الرجل معاون «دميان» صمم على استدعاء الشرطة لمنح «دميان» فترة أطول للتواجد داخل شـــقة «أبو جميل» وفى نفس الوقـــت لزيادة حرق دم «أبو جميـــل» والتلاعب بأعصابه لدرجة تجعله يفقد تركيزه..

وبعد نقـــاش طويل مع الحاضرين.. وافق الرجل على الصلح وأصر أن يقوم «أبـــو جميل» بالاعتذار إليـــه وإلى كلبه الضخم الشـــرس.. رغم أنه هو المخطئ وهو البادئ بالشـــجار مما أدى إلـــى زيادة غضب «أبو جميل» وهو معروف عنه أيام كان ضابطا بالجيش أنه سريع الانفعال لدرجة أنه قتل وأصاب عددا من زملاءه فى العريش لكن من الواضح أن التدريب على الثبات الانفعالى قد أدى ثماره..

ابتلع غضبه.. وقد اعتذر مقتضبًا إلى الرجل الذى أبدى غضبه وأنه لم يقبل هذا النوع مـــن الاعتذار فلابد أن يعتذر إليه بصورة آدميه وايضاً يعتذر إلى كلبه.

أنهى «دميان» التفتيش بعـــد ان فحص كل ركن ومكان فى شقة «أبو جميل» وبالطبع عرف الكثير عن هذا الرجل مما شاهده فى حجرة نومه..

وأشـــار إلى معاونه بالانسحاب من الشقة.. أغلق الباب وصعد الدرج إلى الطابق الثانى عشـــر.. حيث مـــازال عمال نقل الآثاث يمارسون عملهم ثم استخدما المصعد والهبوط إلى الدور الارضى ومغادرة المبنى.. شاهد «دميان» سيارة «أبو جميل» أمام المبنى..

فأشار إلى معاونه إشـــارة.. تحرك بعدها وقام بإفراغ الهواء من إطار السيارة الخلفى..

وانطلقا عائدين. غادر «أبو جميل» الحديقة غير مصدقاً انتهاء ذلك الكابوس اللعين.. يا له من يوم أسود..

بدأت الآلام تعتصـــر وجهه.. فقد تلقى العديـــد من اللكمات والركلات.. نظر إلى كلبه الذى كان يعانى من آثار العض وعلامات أنامل وحوافر الكلب الشرس قد تركت آثارًا على وجهه بالقرب من عيناه..

لم يســـتطع أن يكبح جماح غضبه لأكثر من ذلك.. لذا انطلق وهو يسير تجاه مســـكنه فى انطلاق وابل من السباب والشتائم لذلك الوغد وكلبه.. وأكثر ما كان يغيظه ويكاد أن يقتله هو تعرضه للضرب ومع ذلك هو من قدم اعتـــذارا.. لا.. بل اعتذارين.. للوغد السافل وايضا لكلبه المتوحش..

بالإضافة إلى تماشيه وتفادي تدخل الشرطة.. كما كان جبانا.. فى نظر كل من تدخل لفض الاشتباك.. تمنى وقتها لو كان لازال فى الجيش الإسرائيلي كان تصرف دون تردد كما كان يفعل فى السابق..

تحســـس وجهه.. مازالت بعض آثار الدماء على وجهه حتى وبعد أن مسح الآثار بمنديل..

عقله لا يتوقف عن التفكير وعشـــرات الاســـئلة تتضارب فى رأسه.. هل هذا الأمر مدبر.. كيف حدث هذا.. كلب غريب لم يره فى

الحديقة من قبل كلب غير مدرب.. شـــرس للغاية أقرب إلى كلاب الشوارع.. لا.. لا.. !! إنه مدرب..

لا يمكـــن أن يكون كلب شـــوارع.. إنه مـــدرب على الهجوم واســـتخدام فكيه ومخالبه جيداً.. وهذا الرجل الغبي.. لم أشاهده أو ألمحه فى الحديقة التى أذهب إليها يومياً من قبل.. وقح للغاية ومغرور.. آه لو قابلته وانا فى غير مركزى هذا.. .. عبر «يوســـي كاتسير» أو «أبو جميل» الطريق بصحبة كلبه المصاب..

وأقترب من مبنى الســـكن.. مر بجوار ســـيارته.. وهنا توقف وكاد أن يصرخ.. أحد العجلات الخلفية تلامس أســـفلت الطريق.. فارغه من الهواء.. كيف هذا.. إن الســـيارة جديدة.. اللعنة.. ركل الإطار بقدمه ثم سحب كلبه وهو فى غاية الغضب على هذا اليوم المشئوم.. صعد إلى شقته.. فتح الباب دون أن يدرى مايفعل.. كل ما كان يفكر فيه هو تناول كأســـا من النبيذ وان يقف تحت مياه دش ساحن ليزيل آثار العدوان.. وكل ماحدث وبالفعل شرب كأساً ثم كأساً آخر ودخل إلى الحمام.. ودخل تحت مياه الدش الساخنة محاولا نسيان هذا الكابوس..

بينما تقف «لاريسا» خلف مكتب الاستقبال فى جهة الفندق.. عقلها لا يتوقف من التفكير عمـــا حدث فى الليلة الماضية.. وكم الخجل والاحراج التى تعرضت له ولولا تدخل «بافو» أو «يوســـي

كاتسير» لكانت الآن فى زنزانة داخل قسم الشرطة بتهمة النصب.. بجانب المجرمين واللصوص..

توقفت عن الكلام.. بعد أن شاهدت «إميليا» تقف أمامها.. وعلى وجهها ابتسامة من يطلب العفو والسماح..

قدمت «إميليا» الاعتذار إلى «لاريسا».. التى أستأذنت رئيسها فى العمل فى الحصول على راحة قصيرة من العمل..

إميليا :اعتذر بشدة عما حدث..

لاريســـا: لا أفهم.. ماذا حدث وأين اختفيتى.. أنتظرتك طويلا كى تعودين ولكن بلا فائدة .. و.. و..

إميليا : .. و.. و.. ماذا ؟!..

لاريسا بخجل وتلعثم فى الكلام :.. و.. و جاءنى النادل يطالبنى بفاتورة الطعام.... لم أدرِ ماذا أفعل أو كيف أتصرف.. لقد كادوا أن يبلغون الشرطة.. وأصر المدير على إجراء الاتصال بالشرطة ... لولا.. لولا.. تدخل أحد الزبائن.. وقدم لى المساعدة..

إميليا :.. مساعدة.. أي مساعدة.. ماذا تقصدين ؟!..

لاريسا :.. قام بالتدخل لدى المدير وأثناه عن الاتصال بالشرطة وقام هو بدفع فاتورة حساب الطعام..

ضحكت «إميليا» وهى تقول بكل دهشة :.. ياسلام.. شخص لا يعرفك ولا تعرفينه يقوم بدفع هذا المبلغ الضخم دون أي ســـابق معرفة..

لاريسا :.. غاضبة :.. نعم هذا ما حدث أنا لا أكذب..

إميليا :.. نحن هنا في أثينا ولسـنا في الإسـكندرية.. شهامة المصريين غير موجودة هنا ولا أحد يعرفها.. ما المقابل إذن لابد أن هناك مقابل لذلك...

لاريسا :.. لم يكن هناك مقابل غير أننى تعهدت بسداد المبلغ.. وحررت له شيكاً فارغاً.. يصرف لحامله.. كى يتخذه مثل إيصال الأمانة.. أو كمسـتند يثبت حقه في المال إذا لم أسـدد.. ووقعت عليه..

إميليا :.. وهل تعرفين اسم هذا الشخص ؟..

لاريسـا :.. نعم.. أعرف اسـمه ورقم هاتفه.. لكى اتصل به لتسديد المبلغ..

اسمه على ما اعتقد «بافو».. لكن دعك من كل هذا.. ماذا حدث لك وكيف تتركينى في مكان غريب هكذا وليس لدى سيارة لأعود..

إميليـا :.. أعتذر إليك ثانياً.. هل تذكريـن أن النادل أخبرنى بالرد على مكالمة هاتفية.. انها كانت من الجيران.. مفادها عندما أخرج تقوم جارتنا بمراعـاة أمى المريضة.. فقد اتصلت بى بعد أن أخبرتها أننى ذاهبة إلى هذا المطعم.. لتبلغنى أن الأزمة القلبية قد ضربت أمى.. ولابد أن أحضر بسـرعة.. لم اعرف ماذا افعل.. اذا وجدت نفسى أسرع إلى سيارتى وأقودها بأقصى سرعة.. إلى أن وصلت في الوقت المناسـب ونقلت أمى إلى المستشفى.. ولم أتركها حتى الصباح.. وغادرت بها المستشفى إلى البيت...

وهى بخير الآن...

لم تكن «لاريســـا» بالطبع تعلم أن موضــــوع أم «إميليا» هو محض التأليف..

«إميليا» مجهولة النســـب.. فهى لا تعرف من هي أمها أو من هو أبوها..فهى نشـــأت في دار خاصة لمجهولى النسب.. وعادةً تعتمد على تأليف قصة مرض الأم بالقلب للخلاص من الكثير من المواقف التي تتطلب التذرع بأمر ما..

أبدت «لاريســـا» تفهمها لموقف «إميليا» وأنها لم تعد غاضبة منها..

ســـألتها «إميليـــا» :.. «وماهى أخبار صديقتـــك المصرية.. ماأسمها.. لقد نسيت «..

«لاريسا» «كاميليا» أسمها «كاميليا».. هي بخير لكنها لم تعرف شيئًا عما حدث لى في المطعم.. كنت أريد أن أخبرها لكنها كانت نائمة..

«إميليـــا» : «أعتقد أنه من الأفضل ألا تعلم.. فهو موقف محرج للغاية..

لاداعى لذكر هذا الأمر أمامها..»

ثم نهضت «إميليا» لتستعد للإنصراف.. وقبل أن تغادر الفندق محل عمل «لاريسا»..

قالت : «آه بالمناسبة إذا كنت بحاجة لمساعدتك في تسديد ما عليك من دين لذلك الرجل الذى دفع عنك المبلغ.. أبلغينى ! «

غادرت «إميليــــا» وكأنها تذكر «لاريســـــا» بالدين الذى عليها دفعه.. فكان عقلها يحاول جاهدًا أن ينســـى المبلغ الضخم الذى كتبت به شيكًا على نفسها..

ولم تكن تعلم بالطبع أن هذا المبلغ قد أضيف له ثلاثة أصفار من ناحية اليمين.. أي صار يعادل ثمن سيارة جديدة..

توجهت على الفور واتصلت بالرجـــل.. «بافو».. لتخبره أنها استطاعت أن تدخر مبلغًا ليس كبيرًا من المال في الفترة الماضية.. فهو يساوى ربع قيمة الدين تقريبًا.. فيمكن أن تقابله وتدفعه له ى.. وعلى فترات سوف تسدد الباقى..

استحسن «بافو» الفكرة واتفقا على موعد للقاء..

وقد أصيبت «لاريســـا» بالأحباط فقد كانـــت تعول على هذه المدخرات لشراء ملابس جديدة فهى لازالت ترتدى ملابسها التي حضرت بها من الأسكندرية..

أخذت بعض رشفات من الماء لتزيل آثار الأحتقان من حلقها..

قاد «دميان» وأحد رجاله ســـيارتة خلف سيارة «أبو جميل».. الذى توقف أمام أحد المقاهى القريبة من الكورنيش.. وبعد دقائق ظهرت «لاريسا» سيرًا على أقدامها ودخلت نفس الكافيه.. فقد كان «دميان» يعرف «لاريسا» جيدًا والتي كانت بصحبة «إميليا» الذراع الأيمن «لأبو جميل».. وقد ألتقط لهـــا العديد من الصور بصحبة صديقتها الجديدة المجهولة لديهم..

قام الرجل المعاون لـــ«دميان» بدخول المطعم خلف «لاريسا» ليراقبها.. وأيضًا يراقب «أبو جميل».. فإذا بها تجلس على طاولة «أبو جميل» بعد أن صافحته..

ياللمفاجأة.. هـــل هناك علاقة بين «أبو جميل» أو «يوســـى كاتســـير» رجل المخابرات الأســـرائيلى.. صياد الجواســـيس.. بـــ«لاريسا».. أم هو فقط يحاول تجنيدها ؟!..

جلس مســـاعد «دميان» في طاولة قريبة منهما واستطاع أن يسمع أغلب ما دار من حديث بينهما وشاهد «لاريسا» وهى تقدم نقودًا لأبو جميل.. فهم من الحوار أنهـــا جزء من دين عليها له.. وبخبرته أدرك أنه الفخ الذى سيصطادها به..

.. وبعدها طلب منها أبو جميل أن تقدم له معروفًا..

«لاريسا» : «على الرحب والســـعة إذا استطعت المساعدة.. ما الأمر ؟!»..

«أبو جميل» : «لا أعرف إذا ذكرت لك المرة السابقة أننى مدير لشركة مصايد أعالى البحار..

وفى نفس الوقت لدينا المنتج الخـــاص بنا من أدوات الصيد وقطع الغيار..

في الآونة الأخيرة راسلتنى شركة مصرية تعمل في مجال صيد الأســـماك وطلبت أن نزودها ببعض أدوات الصيد الحديثة وقطع الغيار اللازمة..

وأنا لم أعمل في السوق المصرى.. ولدى تخوف كبير.. فـأنا لا أعلم عن سوق صيد الأسماك المصرى شيئًا.. هل هو سوق صغير أم كبير ؟!.. ومدى أحتياجاتهم ؟!..

«لاريسا» : «ضاحكة.. وما دخلى في هذا.. أنا لا أفهم في صيد الأسماك..

أحب أكل الأسماك فقط.. ثم ضحكت..»

«أبو جميل» : «أنا أتفهـــم طبعًا.. لكن بما أنك أقمت في مصر مع أسرتك وتحديدًا بالأســـكندرية طوال حياتك.. فربما لديك أية معلومات عن السوق المصرى..»

«لاريسا» : «في الحقيقة لست أدرى ما أقوله.. نعم أنا قضيت حياتى في الأســـكندرية لكن ليس لى خبـــرة بهذا المجال.. لكن انتظر..

أن لـــى صديقة تقيم معى في بيتنا.. قدمت من الأســـكندرية منذ فترة بســـيطة.. ربما تستطيع أن تساعدك فهى تعرف الكثير عن الصيـــد.. فقد كان أباها أيام عطلاته يأخذها في رحلات صيد الأسماك بالأسكندرية..»

لمعت عينا «يوســـى كاتســـير» فقد هذا ما يريد الوصول إليه تحديدًا..

هنا نادى «أبو جميل» على النادل بأن يقدم إليهما أشهى طعام أفطار بالقهى..

كل هذا وصل لمسامع الرجل المعاون لـــ»دميان»..

اتفقت «لاريســـا» أنه في المرة القادمة للقاءه ستحضر معها صديقتها..

ثم سألها عن اسم صديقتها..... «اسمها «كاميليا» «..

ثم أضاف «أبو جميل» أن أية معلومات مفيدة تذكرها صديقتها «كاميليا» ســـيدفع مقابلها مالًا لكاميليا وأيضًا بعض الأموال إلى «لاريسا» لكونها هي من أقترحت ذلك..

شعرت «لاريسا» بالسعادة.. فربما تساعدها هذه الأموال لسداد باقى المبلغ المدون بالشيك..

طلب «دميـــان» عقد لقـــاء عاجل مع الضابطـــان «صبرى عبدالهادى»و «بهاء إسماعيل» للنقاش حول ما حدث في المقهى..

حيث أنه من الواضح أن الشـــباك قد نصبـــت بإحكام حول «لاريسا»..

لكن بما يمكن أن تساعد «لاريسا» ضابط المخابرات الأسرائيلى وهى قد غادرت وهاجرت من مصر.. هل ســـيدربها ويعيدها إلى مصر مرة أخرى تحت أي غطاء وظيفى.. وتكون جاسوسة جديدة لهم وتكون عِوضًا عن شبكات التجسس التي اسقطتها المخابرات المصرية..

ظل الجميع يتبادلون الرأي حـــول المغزى والقصد من لقاء «لاريســـا» بـــ»أبو جميل».. بينما كان «بهاء» صامتًا.. فقد كان عقله سارحًا مع نقطة هامة لم يتطرق غليها الآخرون في الحديث..

«بهاء» : «.. ماذا عن الفتاة الآخرى التي ذكرتها «لاريسا» وتقيم معها..

لابد أنها تلك الفتاة التي ظهرت معها من قبل.. صاحبة البشرة الخمرية..

وقد ذكرت له أن أسمها «كاميليا»..»

«صبري» : «نعم.. معك حق.. كيف نسيناها..من الاسم واضح أنها عربية.. هل هي فلسطينية مثلًا ؟!.. أو أردنية؟! ..»

«بهاء» : «أو عراقية يهودية.. لا أعلم.. لكن لابد من التحري عن شخصيتها.. ليس لدينا أي أطراف خيط.. لكن أعتقد من المراقبة اللصيقة ربما نستطيع أن نحدد هويتها وأية معلومات عنها..»

«دميان» : «لكن هل تذكرون أن «لاريسا» قالت أنها كانت تعيش في الإسكندرية وخرجت في رحلات بحرية للصيد مع أباها «

هنا ضحك «دميان».. سأله الجميع.. ما سر هذه الضحكة ؟!..

أجاب.. أن له أختًا تدعى «كاميليا» وبها بعض الشبه من هذه الفتاة..

استطاع «شكري» بعد مرور فترة ليست بالقصيرة من التأقلم على الحياة في الجبال والنوم داخل الكهوف والتعايش مع الطبيعة القاسية في جبال سيناء.. ولا ترى عيناه إلا الجبال الصفراء بهامة ســـوداء وبعض نباتات الصبار المتناثرة هنـــا وهناك... طبيعة قاسية للغاية لكنه ومع مرور الوقت أعتاد عليها وصارت جزءًا من

طبيعته هو شخصيًا.. تتناثر العقارب حوله.. ينظر إليها ولا يبالى كأنها جزء من أســـرته الجديدة.. وعندما يشعر بالجوع تعتصر أحشائهُ.. ولا يجد طعامًا.. يتغذى على الثعابين..

يخاف أن يوقد نارًا ليلًا كي لا ينكشـــف أمره وهو قابع خلف خطوط العدو يؤدى مهمته بنجاح.. يرسل كل يوم صباحًا رسالة مشفرة إلى المخابرات الحربية ليصف لهم المشهد حوله وموعد الدوريات الإسرائيلية وأية مستجدات أو تحركات على جبهة الضفة الشرقية.. سيناء المحتلة..

يحمل على كتفه حقيبة مصنوعة من القماش داخلها القليل من الأغراض الشخصية وجهاز الأرسال.. هذا كل ما يملكه في الحياة.. من دون مبالغـــة.. لا يملك إلا الحب الخالص للوطن والتفاني من أجل النصر وطرد الأعداء.. فما يقوم به في رحلته الاســـتطلاعية والتجسس على الصهاينة.. لا يقوى عليه أعتى الرجال..

وتحولت طباعه لرجل بدوى.. كأنه ولد بدويًا..

وفى صباح أحد الأيام.. استيقظ «شكري» داخل الكهف الصغير القابع في بطن الجبل.. ليجد المياه حوله وتحته ولم يشـــعر بها. أنها مياه الأمطار فقد هطل المطر طوال الليل ولم يتوقف إلا بعد طلوع الشمس بقليل.. ومن شدته وشدة الرياح.. فقد دفعت الرياح المياه إلى داخل الكهف..

أصابــــه الهلع.. نظر حوله باحثًا عـــن حقيبته المصنوعة من القماش.. كانت غارقة في المياه.. انتشـــلها بسرعة.. أخرج جهاز

الأرســـال.. فإذا به ممتلئًا بالمياه.. يا الهى.. لابد أن أُرسل الرسالة اليومية.. كما هو المعتاد كل صباح.. فإن لم أُرســـل أي رســـالة حتى ولو من كلمة واحدة فسيعلم رجال المخابرات الحربية على الجانب الغربي من القناة أنه حـــدث لي مكروه.. حاول تجفيف الجهاز بملابسه..

وأنتظر ســـاعة من الزمن وقام بتشـــغيل الجهاز.. لكنه كان صامتًا صمت القبور.. بلا أي صوت أو اســـتجابة.. لقد أفسدته المياه.. فتحه من الخلف عن طريق مفك صغير يحمله معه..

نظر الى الداخل ليجد آثار الميـــاه قد تغلغلت في كل الأجزاء الإليكترونية الدقيقة.. أســـودت الدنيا في وجهه.. لابد وأن يفعل شيئًا.. كيف التصرف الآن ؟!..

غادر الكهف في حرص وهو يراقب المكان حوله ويســـترق السمع من أي حركة..

كان الســـكون يخيم على المكان بأكمله.. هبط الجبل وســـار صوب أقرب مكان مأهول بالســـكان.. قبيلة سيناويه تبعُد حوالى ثلاثة كيلو متـــرات.. لابد أن هناك من يســـتطيع إصلاح الراديو الترانزستور.. فهي نفس الدائرة الكهربائية تقريبًا.. ولابد أن لديهم بعض قطع الغيار الجديدة أو حتى المســـتعملة من جهاز قديم.. فهو يعرف أن الكثير من رجال البدو يحملون راديو صغير.. فلابد أن هناك من يبيعهم وأيضًا يقوم بإصلاحهم..

ســـار بحرص في الطرق البرية الوعرة بين الجبال متجهًا إلى أقرب قبيلة..

وإذا به يســـمع صوت يأتي من خلفه من بعيد.. نظر بحرص بعد أن أختبـــأ خلف بعض أغصان الصبار الصغيرة.. وشـــاهد غبارًا كثيفًا.. بخبرته في حياة الجبال والصحراء.. أدرك أنها غبار عجلات سيارة كبيرة نوعًا ما..

كتم أنفاسه.. وبالفعل ظهرت ســـيارة رباعية الدفع.. ماركة جيب قديمـــة بلونها الأخضر الغامق.. بداخلهـــا عدد من الجنود الإسرائيليين.. لابد وأنها دورية إسرائيلية تمشط المكان..

مرت بسلام.. حمد الله.. واستمر في السير.. وقبل أن يصل إلى القبيلة بحوالي نصف كيلو متـــر.. تم إطلاق النار حوله بكثافة.. حول أقدامه.. لكنها لم تصبه.. بعض الجنود شـــاهدوه من برج مراقبة أعلى هضبـــة قريبة من القرية.. أطلقـــوا النار تجاهه.. وطالبوه بالتوقف عن السير والانبطاح على الأرض..

هبط ثلاثة منهم من فوق الهضبة بأســـلحتهم.. شدوا وثاقه.. سألوه عدة أسئلة.. رد عليهم بلهجة بدوية انه كان عائدًا من ناحية سوق الأبل.. فقد كان يبيع ناقتهُ.. لحاجته للمال..

ويبـــدو أنهم قد اقتنعوا بكلامه إلا أحدهـــم.. أعترض كلامهم ورفض إطلاق ســـراحه.. وقام بتفتيش حقيبته القماشية.. وجد جهاز يشبه الراديو..

«الجندي» : «ما هذا ؟!..»

«شكري» : «إنه الراديو الخاص بي أسمع عليه الأغاني وأحيانًا نشرات الأخبار..»

«الجندي» : «لكنه لا يعمل...... وهو يعبث بالأزرار «..

«شكري» : «نعم.. سقطت عليه الأمطار.. ربما أفسدته»..

لم يقتنع الجندي الإسرائيلي بكلام شكري وشك أنه وراءه شيء ما أو أن هذا الجهاز يستخدم لغرض آخر..

اقتاده أمامه.. ووضعه في عربة مع أثنان من الجنود وذهبوا به إلى مبنى القيادة القريب منهم..

هنا.. تدخل القائد.. وأثنى على تصرف هذا الضابط وتم تسليم الجهاز لأحـــد الخبراء لفحصه.. بينما قاموا بحبس شـــكري في حجرة جانبية وبعد الفحص أخبرهم الخبير.. أنه جهاز ارســـال وليس راديو..

لمعت عينا القائد.. فقد وقع على صيـــد ثمين فمن النادر أن يقع أحد عملاء الجيش المصري في قبضة الجيش الإســـرائيلي.. لابد وأن تتم ترقيتـــه بعد أن يقدمه إلى رجال المخابرات الحربية الإسرائيلية..

شـــكر الجندي.. ثم أمـــره أن يعود إلى مكانه ويســـتمر في المراقبة ولم يخبره شيئًا عن أمر «شكري».. كي يحصل على الثناء والمكافأة وحده رغم أنه لم يفعل شيئًا يستحق عليه الترقية..

قــــرر القائد تأجيل تســـليم «شـــكري» لقيـــادة المخابرات الإســـرائيلية.. فقد أراد أن يستخرج منه كل المعلومات عن قبيلته وأن كان له أي أعوان..

.. بالطبع رفض «شكري» الإجابة على أي سؤال.. تفنن القائد ومن معه في تعذيب «شكري» وإذاقته أصناف وألوان من العذاب الجسدي والنفسي.. لكن الغريب انه ظل صامدًا.. صامتًا ولم يفتح فمه بكلمة واحدة عن الجيش المصري..

والى من يرســـل الرســـائل ؟!.. وماهي رتبته العسكرية في الجيش المصري ؟!.. وصار يفقد الوعـــى في اليوم الواحد أكثر من مرة قبـــل أن يُلقوا عليه بالمياه البـــاردة لإيقاظه.. ثم يلقون بالثعابين والعقارب في زنزانتهُ وهـــم لا يعلمون أنه يألف حياة الزواحف السامة منه والغير ســـامة أكثر من حياة الأنسان.. وقد تعجبوا من الألفة التي شاهدوها بينه وبين الثعابين والعقارب..

لم تفلح كل محاولات الإرهاب والتعذيب، وارتد اليهم الشـــعور بالإحباط..

إلـــى أن أعترف القائد أنه لم يقابـــل جنديًا أو ضابطًا أيًا كان بمثل هذه الشـــجاعة والتحمل والتفاني.. وأخيرًا أمر بأرساله إلى قيادة المخابرات الإسرائيلية مع كتابة تقرير تفصيلي عما تم منذ يوم القبض عليه وحتى الآن..

.. قبل أن يصعد «شـــكري» إلى السيارة الخاصة بنقله.. وقف القائد أمامه في صمت.. ثم وجه إليه التحية العسكرية..

مما أصاب بقية الجنود الإسرائيليين بالذهول..

فهم يعلمون أنه القائد المغرور الـــذى يكره أن يؤدى التحية العسكرية لرؤسائه.. ويفعلها على مضض وكره..

جاء الرد من ضباط الموساد من تل أبيب وتحديدًا من «شاؤول بن عامـــي» و «حاييم جدعون» بالموافقة علـــى البِدء في عملية تجنيد «يوسى كاتســـير» للمصرية «كاميليا» ابنة العقيد «فكرى الصباغ»..

نظرًا لاحتياجهم الشديد لوجود عنصر داخل المنطقة الشمالية العسكرية وكذلك القوات البحرية..

فقد أرســـل إليهما «أبو جميل» منذ عدة أيام شـــارحًا ظروف «كاميليا» المصرية صديقة «لاريسا» والتي تقريبًا تحت سيطرته بنسبة كبيرة.. يســـتأذن في تجنيد «كاميليا».. فهو يراها مناسبة للغاية.. فهي فـــي أثينا بمفردها أي ليس لها أي داعم أو ناصح.. بالإضافة أنها تعيش على راتب المنحة الشهري الذى ترسله إليها الجامعة وهو مبلغ يكاد يكفى المعيشة ولا يكفى بالطبع طموح وتطلعات شابة جميلة في مقتبل العمر.. بالإضافة أنها من الممكن أن تقع في الحب من أحد رجالنا سواء برضاها أو.........

ثم شرح «يوسى كاتسير» إلى رجال الموساد في إسرائيل عبر البرقية المشفرة..خطة تجنيده لـــ»كاميليا» إذا تمت الموافقة..

وبعد عدة أيام من البحث والتقصي حول «كاميليا» وأسرتها في الإسكندرية والتأكد أنها ليس لها أي علاقة بالمخابرات المصرية..

تم إعطاء الضوء الأخضر لـــ«أبو جميل» بالبِدء فورًا في نصب شباكه الشيطانية حولها..

دق قلب «لاريســـا» عندما تلقت مكالمة هاتفيـــة أثناء عملها بالفندق.. وكان المتحدث هو «بافو».. فقد ظنت أنه يطالبها بدفعة جديدة من المال..

لكنهُ كان لطيفًا ورقيقًا للغايـــة.. صار يمزح معها مع بعض عبارات الغزل من النوع الذى تحبــه الفتيات.. ثم دعاها لتناول القهوة الصباحيـــة معه في أحد المقاهي المطلـــة على البحر.. وذكرها بموضوع الصفقة التجارية مـــع أحد المكاتب الخاصة بتجارة أدوات الصيد في الإسكندرية.. وأنه بحاجة شديدة للتحدث مع صديقتها «كاميليا» للبحث وأخذ المشـــورة قبل البِدء في أي إجراء... التاجر الشـــاطر هو من يبحث ويســـال ويستشير قبل الوقوع في صفقة خاسرة.. هكذا أنهى كلامه..

أبـــدت «كاميليا» موافقتها على مســـاعدة صديق «لاريســـا» «بافو» فـــي الحصول على معلومات عن معدات صيد الأســـماك في الإسكندرية.. على قدر استطاعتها فهي ليست خبيرة في هذا المجال.. هي فقط كانت تمارســـه بصحبة أبيها العقيد / فكرى الصباغ..

وفى الموعد المحدد.. كان «يوسى كاتسير» أو «بافو» منتظرًا داخل سيارته المصفوفة أمام المقهى المطل على البحر..

ظهرتا «لاريســـا» و «كاميليا» على الرصيف المقابل.. وأثناء عبور الطريق ظهرت دراجة نارية مســـرعة.. اصطدمت بجســـد «كاميليا» التي ســـقطت على الأرض وارتطمت رأسها بالأسفلت.. هرع إليها «بافو» الذى كان يراقب المشهد من سيارته.. و«لاريسا» في حالة هلع وذهول..

حمل «بافو» «كاميليا» وادخلها على المقعد الخلفي في سيارته وجلست بجواره «لاريسا» وانطلقا إلى أقرب مستشفى..

طلـــب الطبيب إدخال الحالة «كاميليـــا» إلى حجرة العمليات فورًا.. وكانت «كاميليا» في حالة إغماء خفيف وبدأت تســـتفيق بصعوبة..

خرج الطبيب إلى حيث كانت «لاريسا» و «بافو» ليخبرها أنها نزفت الكثير من الدماء ولابد من نقل دم فورًا لها.. لكنه يبحث عن متبرع..

نظرت «لاريســـا» إلى «بافو» الذى بادر على الفور قائلًا : «أنا جاهز يا دكتور «..

اصطحبه الطبيب إلى حجرة بجوار حجـــرة العمليات والتي كانت «كاميليا» ممددة على السرير داخلها واستفاقت.. تحسست رأسها مكان السقوط.. كانت مربوطة.. لكن تشعر أنها بخير وعلى ما يرام.. فقط تشعر ببعض الصداع..

وصل إلى مســـامعها حديث جانبي مـــن الحجرة المجاورة.. وكان الحديث باللغة العبرية التي هي درســـتها بجانب اليونانية لمدة أربع سنوات..

«الطبيب» : «تمام كده.. أريدك أن تتظاهر أمام «لاريســـا» أنك في حالة هـــزال بعد التبرع بدمائك من أجل إنقاذ حياة صديقتها «كاميليا»..

والباقي اتركه لي.. ســـوف اشرح لها أنك تبرعت بلتر ونصف من الدمـــاء خاصًة أن فصيلة دماؤك متطابقـــة مع فصيلة دماء المريضة أو المصابة «..

«بافو» : «ممتاز.. لكن اريد على التأكيد على ادارة المستشفى بعدم إبلاغ الشرطة..

أنا أعرف أنكم تبلغون الشرطة أن كان هناك حادث..»

«الطبيب» : «لا تقلق أنا قمت باللازم.. عليك أن تنتظر الآن في الخارج.. أنا وضعت شـــريط طبى صغير (بلاستر) على ذراعك كأنك تبرعت بدمائك..

..وبعد أقل من ســـاعة سأكتب للمصابة على خروج ويمكن أن تصطحبها معكّ..

«بافـــو» : «لا يا دكتور أنا اريد «كاميليـــا» أن تظل على الأقل يومان بالمستشفى..

.. فهذا يساعد في آداء عملي ويشعرها بأهمية وجودي بجانبها وما قدمته من أجل انقـــاذ حياتها.. أو كما يقولون دمائي تجرى في عروقها..

ضحك الأثنان.. بينما دموع «كاميليا» تسقط.. ماذا يحدث لها إنهما يتحدثان بالعبرية.. هنا فـــي أثينا.. ويختلقون أمر التبرع بالدماء وهو لم يحدث.. واصابتها بسيطة للغاية.. لا تحتاج لحجرة عمليات أو المكوث في المستشفى لمدة يومان..

فكرت أن تهرب وتغادر المستشفى.. لكنها رأت من الأفضل أن تجاريهم خصوصًا ذاك الرجل الذى كان يحادث الطبيب.. ويبدو أن في الأمر خطر شديد عليها لكن من الأفضل الاستمرار كي تجد إجابات وتفسير لما سمعته..

ولابد أن الأمر يتعلق باليهود.. أو الكيان الصهيوني..

وأين «لاريســـا».. هل هذا الرجل هو نفســـه الذى كنا بصدد مقابلته في المقهى الذى يدعى «بافو»........ ربما ؟!!

صارت الأسئلة تدور في رأسها.. وتزداد عددها بلا إجابة..

لكن يبدو أنها مغامرة ســـخيفة ليســـت في الوقت المناسب إطلاقًا..

إنما الشـــيء المؤكد هو أنها لابد أن تكون حذرة ولا تتصرف بسذاجة..

قطع صوت دخـــول أثنان من الممرضـــات الحجرة.. ليدفعا سريرها على الطابق الثاني.. في غرفة صغيرة لكن أنيقة ومرتبة..

وبعـــد مرور نصف ســـاعة.. دخل عليها الطبيـــب الذى قام بفحصها سريعًا مع قياس النبض.. وأجابها باللغة اليونانية.. انها في تحسن وكل شيء سيسير ويصبح على ما يرام..

انه نفس الصوت الذى ســـمعته فى الطابق الأسفل.. الصوت الذى كان يتحدث بالعبرية..

هذه هي أول استفادة تســـتفيد بها «كاميليا» باللغة العبرية.. منذ أن درستها قبل أربع سنوات أو أكثر.. تحقيقًا للمقولة «أعرف عدوك»..

أكمل الطبيب حديثه.. «ولأنكِ نزفت الكثير من الدماء.. اضطررنا لعمل نقل دماء لكِ.. ولحسن الحظ كان هناك متبرع يحمل نفس فصيلة دمكِ..

أعتقد أنه نفس الشخص الذى حضر بكِ إلى المستشفى وأنت غارقة في دمائك ومعه آنسة أخرى.. ..

هما فـــي الخارج في الانتظار أن تأذنين لهم بزيارتك.. هل لى أن أسمح لهما بالدخول ؟!..

«كاميليا» : «نعم.. بكل تأكيد»..

قدم «دميان» تقريـــرًا مفصلًا في الجلســـة التي جمعته مع «صبرى عبدالهادى» و «بهاء إســـماعيل» حيث كان في سيارة.. تتبع خط ســـير «أبو جميل» منذ أن غادر منزله في الصباح حتى وقف بسيارته أمام المقهى المطل على البحر.. ولم يغادر سيارته

حتى حدثت حادثة إصطدام الدراجة النارية بـــ«صديقة لاريسا» والتي مازالت مجهولة لديهم لا يعرفون حتى اسمها..

وظلت المتابعة والمراقبة مســـتمرة.. إلى أن هبط «أبو جميل» من سيارته وحمل الفتاة «صديقة لاريســـا».. وجلست «لاريسا» بجواره وانطلقا إلى المستشفى هنا قاطعة «صبرى» : «هل حاولت معرفة أي شيء من سجلات المستشفى عن تفاصيل الحادث»..

«دميان» : «لا.. لم أستطع، فقد كان الجميع يتكتم على الحادث.. والمصابة واعتقد أنه لم يتم إبلاغ الشرطة.. وهذا أمر مريب..»

«بهاء» : «نعم مريب جدًا.. إذن الأمر يبدو.. تدبير مخابراتى.. والحادث هذا مدبر.. فهو أشبه بالأختطاف.. وهذة الفتاة لا تدرى أنه تم نسج حولها الشباك.. لأصطيادها..»

«لكن ما أهمية هذه الفتاة للموساد.. فرجال الموساد لن يدبروا كل هذه المسرحية من أجل لا شيء.. لابد أن وراءها صيد ثمين»..

«دميـــان» : «.. هذا صحيح.. أيًا كان أهميتها فقد وقع الأختيار عليها وســـوف يتم تدريبها.. فهى من الآن فصاعدًا لابد أن تكون تحت رقابة من جانبنا»..

دخل عليهم أحد الرجال بعد أن طرق الباب وأســـتأذن.. يحمل في يده رسالة.. وبعد فك شـــفرتها.. انها من المخابرات العامة المصرية.. يستدعون فيها «ســـراج زغلول» أو «نديم» على وجه السرعة للحضور إلى القاهرة..

إستمع «نديم» إلى ما جاء في الرسالة كما استمع «صبرى» و «بهاء»..

نهض واقفًا.. : «اذن علىّ أن أستعد للسفر.. هل من الممكن أن تحجز لى أقرب ميعاد في الغد من أثينا إلى القاهرة عبر روما..»

غادر «نديم» الاجتماع.. متوجهًا إلى مقر إقامة لجمع حاجياته والاستعداد للسفر.. ثم ســـرح بخياله متسائلًا.. البرقية لم تذكر المدة التي ســـأقضيها في القاهرة.. هل هي أيام؟!.. أم أقل؟!.. أم أكثر ؟!.. هل أجمع كل متعلقاتى ؟!.. أم أنها رحلة قصيرة وأعود بعدها ؟!..

لم يجد إجابة على ســـؤاله وقد تدرب ألا يســـأل كثيرًا.. عليه التنفيذ فحسب..

جمع المهم والقليل من أغراضه.. وتمنى لو هناك متســـع من الوقت في هذه الرحلة كى يذهب لزيارة عم «حجازى».. والاطمئنان عليه.. كذلك زيارة الباشـــا والهانم.. و»إيفا» والست «عليه».. و «فايزة».... آه كم صارت جميلة وفاتنة..

إتجه الطبيب ناحية الباب بعد أن أطمئن على حالة «كاميليا» وأبلغها أنه قد تم نقل لتر ونصف من الدماء إليها من رجل له نفس فصيلة الدم وهو في الخارج بصحبة صديقتها «لاريسا»..

خرج الطبيب من الحجرة وألقى التحية على «لاريسا» ثم اتجه بالحديث إلى «بافو» أو «يوسى كاتسير».... هـــــــا.... ماذا أيها البطل.. كيف تشعر الآن..

لقد قمت بمهمة عظيمة.. نقلت المصابة بنفســك وبسيارتك إلى المستشـــفى هنا.. رفضت أن تغادر.. ثم عرضت أن تعطيها لتر ونصف من دمائـــك.. والآن اراك حاملًا باقة ورد رائعة وتريد زيارتها.. يالك من إنسان رائع..

إبتســـمت «لاريسا» وهى تسمع كلمات الطبيب.. الذى تعمد أن يدلى برأيه وإعجابه بـــ»بافو» أمام «لاريسا»..

تقدمت «لاريسا» وفتحت الباب بحرص.. وتوجهت إلى «كاميليا» للإطمئنان عليهـــا وتخبرها أن «بافو» الذى كان من المفترض أن نتقابل معه في المقهى.. بخصوص معدات الصيد.. هو من أنقذك ونقلك إلى هنا بســـيارته.. ولم يكتفِ بذلك بل أصر على الأنتظار حتى الأطمئنان عليك وأنت في حجرة العمليات.. وتبرع بالدم لكِ..

«.. هذا لطف غير طبيعى منه.. وخاصًة أنه لا يعرفك.. وأنا لم أقابله إلا مرتان فقط.. سأدعوه للدخول..»

فتح «بافو» أو «يوسى كاتسير» الباب كالطفل الخجول.. حاملًا في يده باقة ورد.. تقدم خطوتان ناحية «كاميليا»..

وما أن رفعت رأسها وشاهدته.. عبس وجهها وغابت الأبتسامة التي مازالت على وجهها من حديثها مع «لاريسا»..

دققت النظر فيه.. نعم.. إنه هو.. أنا لا انساه ولن أنساه مهما طال وأمتد الزمن حتى وأن مرّ أكثر من ثلاثة عشرة عامًا..

إنه هو الخبيث الحقير.. إنه خنزير.. نعم «يوســـى كاتسير» الضابط الإسرائيلى القذر.. قاتل أبى وأمى وخالى..

دار شريط ذكريات ما حدث سريعًا في بور فؤاد عندما كانت طفلة ذات العشرة أعوام..

لم تســـمع كلمة مما قالها.. لكنه هو نفس الصوت الذى كان يتحدث إلى الطبيب باللغة العبرية..

تقدم «خنزير».. «بافو».. أو «يوسى كاتسير» أكثر.. وقدم باقة الزهور إلى «كاميليا»..

تأبى يداها أن تمتد لتناول الزهور من يدهُ.. نظرت إلى وجهه..

إلى الجرح القديـــم التي أحدثته فوق حاجبه الأيســـر.. آثار الحادث.. ترك ندبًة واضحة فوق حاجبه.. شـــعرت ببعض الفخر أنها هي من أحدثت له هذه العاهة التي لم تمحوها السنين.. لكن مقابل هذا كان قتله بدم بارد لأسرتها وهدم بيتها..

مازال «بافو» مـــادًا يده بالزهور إلى «كاميليا» والأبتســـامة الخبيثة تعلو وجهه..

..»لاريســـا» تراقب الموقف ولا تفهم لمـــاذا «كاميليا» متبلدة ووجهها متجهم..

.. سعلت «كاميليا» مرة وأثنين وثلاثة.. استمر السعال لدقائق..

بعدها مالت بوجهها ناحية اليمين من الســـرير بإتجاه الأرض وتقيأت.. نعم تقيأت بشدة.. استمر التقيؤ.. عصارة صفراء تخرج من معدتها..

هرعت الممرضة إلى الطبيب الذى حضر على الفور.. وطلب من الجميع مغادرة الغرفة وحقن «كاميليا» حقنة مهدئة.. استسلمت بعدها للنوم..

أغلقت عيناها وهى تشـــاهد هذا الخنزير يغادر الغرفة بأمر الطبيب.. وهو لا يدرى ماذا حدث.. مازالت باقة الورد في يده..

تملكه الغضب وصار يهذى بكلمات أمام «لاريسا»..

.. نقلتها للمستشـــفى.. وتبرعت بدمـــى.. تركت عملى.. وإذا بهـــا تقابلنى هكذا.. دون كلمة ترحاب أو شـــكر.. ثم تتقيأ بهذا الشكل لدرجة أن بعض قطرات من القيء قد سقطت على بنطالى وحذائى..

«.. ماذا حدث..»

«لاريسا» : «.. بافو.. اعذرها.. يبدو أن الحادث له آثار جانبية»..

استســـلمت أجفان «كاميليا» للنوم.. مع استمرار هبوط الدمع على وجهها الرقيق..

.. عادت إليها كل مشاعر الكره والغل تجاه هذا الحيوان «يوسى كاتسير»..

رغم أنها لم تنسى إطلاقًا ما حدث لكنها كانت تتعايش مع الأمر ظّنًا منها أنها لن تتقابل مع هذا الوغد مرة أخرى.. هو بالطبع لم يتذكرها.. فكيف للجلاد أن يذكر آثار تعذيب ضحيته..

مازال شـــريط الأحداث يجرى أمامها.. حتى وبعد غيابها عن الوعى.. ووسط كل هذا.. ظهرت إبتسامة خفيفة على شفتاها حين لاحت في رأسها..

فكرة.. الأنتقـــام.. ولما لأ.. الله له حكمة فـــي أن يظهر هذا الخنزير في طريقى..

لم لا ؟ تكون فرصتى لإذاقته مـــن نفس الكأس.. لما لا يفرح العالم أجمع أننى ســـأخلص البشـــرية من شـــر هذا الخنزير.. المجرم.. المحتل.. القاتل..

حان الوقت كى ترتاح أرواح أبـــى وأمى وخالى في قبورهم.. حين تعلم وتشـــاهد تلك الأرواح الطاهـــرة.. التي هي من المؤكد تحوم حولى طوال الوقت وتحرســـنى.. أننى استطعت أن انتقم لهم.. وأنهى حياة فاســـد مثل هذا.. لتخرج روحه الشـــريرة من جسده النتن.. روح فاسدة.. لا تعرف إعمار الأرض وإنما الأفساد..

القتل والخـــراب والدمار.. آن لأخى «نديم» أن يفخر بى عندما يعلم أننى انتقمـــت له..أيضًا.. عندما أقابله يومًـــا ما.. بالتأكيد سنتقابل.

عند سلم الطائرة القادمة من روما.. كانت سيارة تابعة لجهاز المخابرات العامة في انتظار «سراج زغلول» أو «نديم».. وتوجه على الفور إلى مبنى الجهاز..

وبعد أن أخذ قسطًا من الراحة وتناول طعامه.. عقد جلسة مع مدير الجهاز.. الذى بدأ كلامه بالسؤال عن أحواله وعن ما تم في مهمته الموكلة إليه مؤخرًا.. وهى البحث والعثور على مذكرات رجل الموساد «يوسى كاتسير»..

ثم انتقل الرجل بحديثه إلى «سراج زغلول» أنه تم استدعاءه لأمر آخر تمامًا ثم بدأ في الشرح للمهمة الجديدة.... ربما سمعت أو علمت أن العدو الإسرائيلي الذى يحتل أرضنا وأهم بقعة في مصر.. «سيناء الحبيبة» وهو قابع بقواته على الضفة الشرقية لقناة السويس.. وهو الآن يبنى أكبر وأضخم ساتر ترابي لحمايته من هجمات رجالنا.. ومع ذلك وأثناء حرب الاستنزاف فإن القوات المصرية تقوم بعمليات ربما يذكرها التاريخ يومًا ما.. يدمرون العديد من مواقعة وينغصون عليهم حياتهم..وأحيانًا يعودون بعدة أسرى من الجيش الإسرائيلي..

ربما وصل إلى مسامعك بعض من هذه العمليات.. لكن الأمر خطير التي أعلنت عنه إسرائيل لكل وكالات الأنباء.. ألا وهو البدء في البحث والتنقيب واستخراج البترول من خليج السويس.. من المياه التي هي مياهنا..

وهذة تعد ضربة قاســمة للدولة المصريـــة ومحاولة اذلال للكرامة والأرادة المصرية.. وبالطبع نحن كدولة ليست بالصغيرة أو الضعيفة رغم النكسة.. لن نسمح بمثل هذا الأمر أن يحدث وأن الرئيس «جمال عبد الناصر» شخصيًا مهتم بهذا الأمر..

وقد كلف احد الضباط ورجل المخابرات المشهود له بالكفاءة بتولى هذا الأمر..

هو الآن في انتظارك ليشرح لك دورك في العملية تحديدًا..

«سراج زغلول» : «أي عملية يافندم..؟»

«المدير» : «عملية تفجير الحفار..»

«سراج زغلول» : «أي حفار؟»

«المدير» : «توجه إلى مكتــب الضابط الموكل بتنفيذ المهمة وهو سيشرح لك كل شـــيء وتحديدًا دورك وكل المطلوب منك.. ربنا يوفقك يابطل»..

توجه «سراج زغلول» عبر طرقات المبنى إلى أن وصل لمكتب الضابط.. الذى رحب به بشدة.. وعقد جلسة معــــه وأستهـــل كلامه: «أنت أكيد سمعت ياسيد سراج عما تنوى إسرائيل عمله في خليج السويس»..

«ســـراج زغلول» : «نعم علمت ذلك منذ دقائق من السيد مدير الجهاز.. لكن لا أعرف التفاصيل»..

«الضابط» : «حســـنًا.. لقد قامت إســـرائيل بإستئجار حفار مملوك لشـــركة انجليزية أمريكية.. الحفـــار يدعى «كنتنج 1» (Kenting 1)

القيادة السياسية على أعلى المســـتويات مهتمة بهذا الأمر.. المطلوب هو أن لايصل هذا الحفار إلى خليج السويس.. مهما كان الثمن..

أما مهمتك أنت ياسيد «سراج».. نظرًا لملامحك الغير مصرية وقدرتك على التواجد والإنخراط وسط الأوربيين.. فالمطلوب منك هو متابعة ومراقبة خط سير الحفار في المحيط الأطلنطى.. كي نعرف وجهتك المقبلة والتي هي غير معلومة لدينا.. حتي ننتظره ونحتفى به أعظم أحتفاء..»

ضحـــك الأثنان.. وأمام الخرائط والكثيـــر من المعلومات قام الضابط بشرح كل تفاصيل مهمة «نديم» أو «سراج زغلول»..

أعطاه الضابط يوم واحد للراحة والأستعداد والتحرك في اليوم التالى..

غادر «نديم» مبنى جهاز المخابرات العامة.. وأمامة وجهتان.. الأولى : الذهاب لزيارة عم «حجازى» في بور توفيق..

الثانية : الذهاب لزيارة الباشا.. في فيلا العجمى..

..الذهاب إلى بور توفيق.. سيســـتغرق وقتًا طويلًا في الذهاب والعودة.. نظرًا لصعوبة العبور إلى بور ســـعيد ، نظرًا لإحتلال العدو الضفة الشرقية من القناة..

ولابد من تصاريح تســـاعده في التنقل عبر الكمائن المنتشرة على الطريق المؤدى إلى بور سعيد من قبل الجيش المصرى..

إذن الإختيار الأفضل والأســـرع هو الذهاب إلى الإســـكندرية بالقطار ومنها إلى العجمى..

وصل «نديم» أمام بوابـــة فبلا «إيفا» بالعجمى.. عبر الحديقة الصغيرة.. فتحت له الباب الســـت «عليه».. فرحت كثيرًا لرؤيته.. مازالت تذكـــره أيام كان طفلًا صغيـــرًا.. الآن صار رجلًا جميل الملامح.. من يراه لا يعرف أنه مصري..

نظرت إليه وأطالت فيه النظر وهى تفكر وتتساءل.. هل سيدى «نبيل» بيه لو كان عايش.. ربما يكون له نفس ملامح «نديم»..

.. قدمت له كوبًا من الشاي.. وغابت لدقائق.. وعادت وهى تدفع الكرسى المتحرك..

.. إنها «إيفا» في حالة من السعادة على غير عادتها.. علامات السعادة والســـرور ظاهرة علي وجهها الرقيق.. عيناها تلمعان وصوتها مفعم بالفرح..

أجواء البيت تغيرت.. الكل سعيد.. وازدادت السعادة مع ظهور الهانم لتحية «نديم».. صافحته وهى تقول.. ســـبحان الله.. كأن «نبيل» واقـــف أمامى لكن بعد أن كبر وصـــار رجلًا.. ثم عادت مسحة الحزن إلى وجهها.. «الله يرحمه» تمتمت..

وأثناء سؤال «نديم» عن الباشـــا.. توقف عن الكلام عند قدوم «فايزة»

جمالها يزداد أكثر عنـــد كل زيارة.. نظرت إليه برقة وخجل.. صافحتـــه بيد حانية.. أمســـك بيدها.. لحظات مـــرت وعيناهما تهمسان بكلمات غير مسموعة..

قلبيهما يدق بشدة.. ولم يفلت يدها إلا عند سماعه الهانم تخبره أن الباشا مريض بعض الشيء.. هو في حجرته بالطابق الأعلى..

خرج الأربعة إلى الحديقة.. الســـت «عليه»، «إيفا»، «فايزة»، «نديـــم».. صار يلعب معهما.. تعالت أصـــوات الفرح مع التقاط الكرة التي كان يقذفهـــا نديم إليهم.. المرح والفرح.. حتى الكلب كان سعيدًا بوجود «نديم»..

يقفز في الهواء بفكهُ المفتوح محاولًا التقاط الكرة..

ومن نافذة الطابق الأعلى وقف الباشـــا.. يشاهد الموقف بوجه مبتسم..

.. لمحه «نديم».. توقف عن اللعب.. لكن الباشـــا رفع يده إليه بالتحية وأشار له أن يستمر في مسامرة الجميع..

عند الظهيرة تركتهم «عليه» لتعُد طعام الغداء.. جلس «نديم» بين «إيفا» و «فايزة» وهو يحكى لهم عن حياة الجندية والعسكرية في الجيش المصـــرى.. وبالطبع أخفى أنه منذ فترة ترك الجيش وانضم للمخابرات..

دعت «عليه» الجميع.. لتناول الغداء..

الفرحة تعم الجميع حول مائدة الطعام.. وهبط الباشا الدرج مغادرًا حجرة نومه والتي لم يغادرها منذ أيام.. لينضم إليهم..

وبعد الغداء.. طلب الباشـــا من نديـــم أن يصحبه إلى حجرة المعيشة الجانبية.. يريد الحديث معه..

أمســـك «نديم» بيد الباشا وهو يســـير ببطء حتى جلس على مقعد مريح..

«الباشا» : «سعيد للغاية برؤيتك يا «نديم».. طلتك علينا تأتى معها الفرحة والســـعادة للجميع.. مازلت تذكرنى بإبنى الوحيد الراحل «نبيـــل».. منهم لله اللى أهملوا في رعايته وتســـببوا في موته»..

«نديم» : «الله يرحمه ياباشا.. البركة في «إيفا» «

«الباشا» : «آه.. «إيفا».. مسكينة.. كنت أتمنى أن أجد لها علاج.. وتستطيع الوقوف والركض.. مثل باقى البنات..

اسمع يا «نديم».. سوف أُحدثك بمنتهى الصراحة.. «إيفا» بنتى بتحبك.. نعم.. أنا اعلم ذلك.. وأنا لا أئتمن أحد في هذه الحياة من بعدى.. غيرك أنت.. نعم أنت.. لا تتعجب.. أنا وجدت فيك الأخلاص والأمانـــة التي لم أجدها في أقرب النـــاس لى والذين كان فضلى عليهم كبيرًا.. الجميع هجرونى وابتعدوا عنى.. وكأن الرابط الذى كان بيننا هو نفوذى وأموالى فقط..

منذ إلغاء الباشاوية وسرقة ونهب ممتلكاتى تحت اسم التأميم..

ربنا لا يســـامحهم من اتخذوا هذه القـــرارات.. منذ ما حدث والجميع تنكر لى لدرجة أن من يحدثنى لم يعد ينادينى باســـم

حشمت باشـــا رســـتم كما كنت.. لكن ينادوننى.. السيد حشمت رستم..

..عندما تدير الدنيا ظهرها لك يا ولدى.. تسقط الأقنعة وتنجلى الأصباغ ويعود الشـــىء لأصله.. الأنســـان الأصيل يظل هكذا أما الخسيس المرتدى لقناع الوفاء والأخلاص.. يعود لأصله خسيسًا..

أشعر أن أيامى في الدنيا قليلة لذا.. فأنا أوصيك وصيتان..

الأولى وصية شفوية والثانية مكتوبة..

أما الوصية الأولى.. الشـــفوية : أوصيـــك يانديم.. أن تعتنى بأسرتى من بعدى خاصًة الهانم و «إيفا».. زرهم كثيرًا وكن معهم وإذا رغبت في العيش والإقامة معهم بشـــكل دائم.. فهذا أفضل ويشعرنى بالأطمئنان عليهما..

«إيفا» بنتى بتحبك.. لكن أعلم أنها لا تصلح للزواج..

تزوج يابنى من تريد لكن لا تترك «إيفا» اسمح لها بالعيش معك أنت وزوجتك.. اعتبرها أختك.. فإذا أنا اعتبرتك مكان «نبيل».. الله يرحمه.. إذن اعتبرها أختك.. اهتم بها واعتنى بها كما تفعل الآن.. هي سعيدة دائمًا حولك وفى وجودك.. هي ليست لها أي طلبات.. وثقتى فيك كبيرة.. أنا لى نظرة في الناس وقد تعلمت من أخطائى في نظرتى للأوغاد وثقتى الزائدة..

.. اطلب منك أن تبيت هنـــا الليلة.. أعلم أننى كنت أرفض أنك تبيت في السرايا عندما كنت صغيرًا.. لكن لم يعد في العمر بقية..

عايز أشـــوف السعادة في البيت بالنهار وفى الليل.. أنا علمت أنك مسافر للأنضمام للوحدة العسكرية الخاصة بك غدًا..

لذا أرجو أن تقضى الليلة هنا.. «عليه» جهزت غرفة خاصة لك.. في كل أجازة يمكنك أن تحضر هنا وتقيم فيها..

أما الوصية الثانية.. الوصيـــة المكتوبة : أرجوا أن تفتح درج المكتـــب الموجود في آخر الغرفة هذا.. هناك ظرف أبيض كبير.. أحضره..

فتح الباشـــا الظرف.. ثم أكمل حديثه :.. هذة يا نديم.. وصية مكتوبة وموثقة وتمت بمعرفة المحامى الخاص بى.. وهذا كارت المحامى فيه اسم وعنوان المكتب وأرقام الهاتف.. الوصية تقضى بأن تؤول ملكية هذه الفيلا.. فيلا «إيفا» بالعجمى.. بعد رحيلى.. ورحيل الهانم، الي «إيفا».

تزوج فيها ياولدى.. واهتم بإيفا.. وإذا حدث شيء لإيفا..

ارجوا ألا تغير اســـم الفيلا.. رغم أن الملكية ســـتكون قد آلت إليك..

لكنه رجاءً شخصى.. أبق عن اللافتة على الباب الخارجي «فيلا إيفا».. هذه وصية وعقد ملكية بإسمك.. ثم أغرورقت عينا الباشا بالدمع.. وأنهمر «نديم» في البكاء ونزل على ركبتيه أمام الباشا.. يقبل يده ورأسه.. وضمه إلى صدره في حنان الأبن..

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

تسلم كلًا من «صبرى عبد الهادى» و «بهاء إسماعيل» المهمة التي كانت موكلة إلى «نديم» أو «سراج زغلول» أو «دميان».. وهى متابعة ومراقبة «أبو جميل» والبحث عن مذكرات «يوسى كاتسير»

في اليـــوم الأول لوضع خطة مراقبة ومتابعـــة «أبو جميل»، «لاريســـا»، و أيضا متابعة الفتاة المجهولة التي صدمتها الدراجة النارية ولا زالت في المستشفى.. ورد تقرير من المخابرات العامة في مصر..

يتضمن معلومات عن شخصيات مجهولة لمجموعة العمل في اليونان للإستعلام عنهم ومن ضمنهم الفتاة المجهولة..

ومنذ أن تلقى رجال المخابرات العامـــة الطلب.. بدأوا العمل فورًا.. وحاول الضابـــط المكلف بمعرفة هويـــة الفتاة صديقة «لاريســـا» من إيجاد طرف خيط يبدأ عن طريقه كشف هوية تلك الفتاة.. فكانت «لاريسا» هي المفتاح.. وبالرجوع لليوم الأول لتلك الفتاة في أثينا.. «لاريسا» تخرج معها من ميناء «بيرايوس»..

من كانت بداية البحث.. المركب التي كانت عليها تلك الفتاة.. فقد استطاع الضابط الحصول على قائمة بأسماء الركاب على تلك المركب المتجهة من ميناء الإسكندرية إلى ميناء «بيرايوس» أثينا..

وحصر الشـــكوك للفتيات في مثل عمرها.. ومتابعة البعض اتضح لهم الآتى :

وهو ماورد في التقرير الذى كان يقرأه «بهاء إســـماعيل» في وجود صبرى عبد الهادى..

الاسم : كاميليا أبو زيد الأسناوى..

السن : ثلاثة وعشرون عامًا.

الأب متوفى.. وهـــى تقيم مع العقيد / فكرى الصباغ وزوجته «إسعاد»..

واســـتمر «بهاء» في قراءة كل ما يخـــص «كاميليا».. عنوان السكن.. الدراســـة.. المواصفات الشخصية.. وبعض المعلومات عن سنوات الدراسة.. ثم علاقتها بالفتاة اليونانية «لاريسا» وأيضًا معلومات عن «لاريسا» وأسرتها..

ثم في نهاية التقرير.. كانت هناك توصية بمنع تجنيد «كاميليا» بأى حال من الأحوال..

عقد الضابطان «صبرى وبهاء» جلســـة مطولة لتحديد المهام ووضع «كاميليا» تحت المراقبة مع الاستمرار في مراقبة «لاريسا» وبالطبع تشديد الرقابة على «أبو جميل» رأس الأفعى.. والذى لم يدخـــر جهدًا في محاولة التقرب من «كاميليا» فهو يرى فيها كنز ثمين إذا استطاع الإيقاع بها وبأبيها العقيد / فكرى الصباغ..

تتصارع الأفكار في رأس «كاميليـــا» فقد بات واضحًا لها أن هذا الخنزير الذى يعيش في المجتمع اليوناني.. ليس وراءه خير ومسألة شركة مصايد أعالى البحار هذه لابد وأن وراءها شيء.. أنا اشتم رائحة خنزير مقزز.. هكذا أتمت كلامها سرًا..

اســـتعادت عافيتها.. وأثناء مرور الطبيب للإطمئنان عليها.. صرحت له بأنها في حالة جســـدية ممتـــازة وترغب في مغادرة المستشـــفى.. أجابها الطبيب بأنه سوف يتابع الموقف والفحص الطبي الأخير.. وإذا كانت كذلك سيؤشر لها بالخروج..

طبعًا هو قال ذلك لإيجاد متســـع من الوقت للتواصل مع أبو جميل في مسألة خروج «كاميليا» من المستشفى..

وبالفعل.. تلقـــى تعليمات من «أبو جميـــل» أنه لا مانع من خروجها لكن عليه أن ينتظر حضوره.. لابد وأن تخرج معه..

كانت «كاميليا» موقنه أن هذا الطبيب وراءه الكثير ولابد أنه من نفس ملة أو جنسية الخنزير..

كانت بداخلها سعادة غريبة.. نابعة من أنها رسالة من السماء.. ان الفرصة سانحة للإنتقام.. لذا قررت التمادى مع هذا الخنزير « بافو « والتظاهر أنها لا تعرف شيئًا ومن حسن الحظ أنه لا يتذكره ولم يتعرف عليها..

فعليه أن يظن أنه الأذكى وهى ســـاذجة لا تعلم شيئًا.. إلى أن تحيـــن الفرصة للخلاص منه.. لكن ظهر صـــوت آخر في عقلها يخبرها أن هذه اللعبة عواقبها غيـــر معلومة.. فبالتأكيد أن هذه النوعية مثل خنزير مدربون ولديهم أدوات وأجهزة تســـاعدهم.. أما هي فهى بمفردها وغير مدربة ولا تعلم شـــيئًا عن هذا العالم الغامض.. المقبلة عليه.. لابد من الاتصال بأبى.. سيادة العقيد / فكرى..

بابا فكرى.. هو من يستطيع أن يرشدنى إلى الصواب..

أمســـكت بالهاتف وطلبت من عاملـــة التحويلة أن تطلب لها رقمًا في مصر..بعد أن سمعت صوت الجرس.. جاءها صوت ماما «إسعاد» التي كانت ســـعيدة للغاية لسماع صوت «كاميليا».. دار بينهما حديث ملئ بالشجون والأشواق الحارة..

.. فـــي النهاية أخبرتها ماما «إســـعاد» أن بابـــا فكرى.. في الوحدة.. بالقيادة الشـــمالية وهى لا تعلم متى سيعود ربما بعد يومان أو أكثر.. لاتعلم..

إذن هي العودة لنقطة الصفر.. كانت «كاميليا» تتمنى لو كان «نديم» أخيها حولها.. لابد وأنه رجـــلًا قويًا الآن وخاصًة بعد أن علمت من عم حجازى خبر تطوعه في الجيش.. كم هي في أشـــد الإحتياج إليه وإلى نصحه..

ما باليد حيله.. سوف تستمر إلى ان تحين الفرصة لإنهاء حياة الخنزير..

.. الذى ظهر أمامها مرة أخرى بعد مرور ساعة..

قابلته بشىء من الترحاب المخلوط بالاشمئزاز.. لكنها اكتشفت في نفسها أنها لديها موهبة قوية في التمثيل..

تكلم كثيرًا وهى تســـمع.. وحين جاء دورها للكلام.. ســـألته وهى تشـــير ألى وجهه.. ياترى ماهذه الندبة التي فوق حاجبك الأيسر؟!!..

تغيرت ملامحه وهرب الحماس من صوته وظهرت شـــخصية الشرير الشرس الحقيقية.. وهو يضع اصبعه فوق الندبه.. وتلعثم في الكلام ولم يجب بأى كلام مفهوم..

شعرت «كاميليا» بإنتصارها في الجولة الأولى.. أستطاعت أن تحدث له هزة نفسية وظهرت واضحة عليه ولم يستطع أن يخفى انفعاله وغضبه..

اخرج علبة سجائره.. واشـــعل سيجارة في عصبية واضحة.. وهو ينظر نحو «كاميليا» شذرًا.. لماذا تسأله مثل هذا السؤال في بداية التعارف بينهما..

استقلت السيارة الى جواره.. سار ببطء محاولًا جذب اطراف الحديث مع «كاميليا» التي كانـــت صامتة اغلب الوقت.. وبعد أن فرغ من حديثه..

افصحت له عن شكرها لتبرعه بالدماء من أجل إنقاذ حياتها..

ضحك ضحكته الخبيثة.. : « أنقذت حياتك ودمائي تجرى في عروقك.. ربما احتاج في يوم من الأيام رد الجميل منك..»

نظرت اليه ولم يطاوعها لســـانها أن تجيب على الكلمات التي تشبه الحبال التي يشـــد بها وثاقها.. وكأنها مديونة له ولابد من سداد الدين..

أجابته بجملة أثارت غضبه.. «ربما إذا تعرضت لحادث.. أكون أنا أول المتبرعين لإنقاذ حياتك.. نحن لا نعلم ماذا يحدث غدًا..»

ضغط بقدمه على بدال البنزين لتصرخ السـيارة من السرعة حتى توقف أمام منزل «لاريسا»..

لاقت «كاميليـا» ترحابًا حقيقيًا من عـم «أنطون» وزوجته «نارفارا» والصديقة «لاريسـا» التي كانت تحوم حولها الشكوك.. فلا تعلم «كاميليا» هل هي مشتركة مع ذلك الخنزير « ابو جميل « في أمر ما.. هل هي متورطة..؟

أم أنها تم التلاعب بها من قبل ذاك الخنزير وهى بريئة ولا تعلم شيئًا..

يبدو أن الأمر محاط بالألغاز وأن حيرتها سـتزداد يومًا بعد يوم..

كانت على موعد للقاء الخنزير « ابو جميل» بعد يومان للحديث عن معدات الصيد..

ثم تساءلت.. لماذا يدعى «أبو جميل» ؟!.. لماذا غير اسمه ؟!.. فهى تعرف أصله.. إنه الضابط الإسـرائيلي «يوسى كاتسير».. لماذا اسم عربى ؟!.. لماذا «أبو جميل»؟!..

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

أثناء حرب الإسـتنزاف وهى الحرب الغير معلنة والتي قررت فيها قيادة الجيش المصرى استنزاف قدرات المحتل الصهيوني وعدم ترك الحرية له للتمتع بخيرات سيناء..

لذلك كانت العمليات الفدائيـة تدور في كل الاتجاهات البرية والبحرية لتكبد العدو الخسائر في المعدات والأفراد.. لدرجة أنه

كان أحيانًا يعبر ثلاثة أو أربعة من رجال الصاعقة المصرية الضفة الشـــرقية لتدمير بعض مواقع العدو وأثنـــاء العودة يصطحبون معهم بعض الأسرى من الجنود الإسرائيليين.. مما اصاب إسرائيل بالذعر والرعـــب من العمليات الفدائية المصريـــة.. الواحدة تلو الأخـــرى حتى وأثناء بناء خط بارليف الـــذى يجلب لهم الحماية والأمان..

وقد ظهر هذا الأمر واضحًا أثناء الاجتماع الذى دار بين «جولدا مائير» رئيســـة وزراء إسرائيل مع «موشـــى ديان» وزير الدفاع وبعض قادة الجيش والمخابرات الحربية ورجال الموساد..

وقد اســـفر هذا الاجتماع عن أنهم بحاجـــة إلى معلومات عن العمليات التي تقوم بها العناصر الفدائية.. لابد أن يوجهوا ضربات استباقية لإجهاض تحركات قوات الصاعقة المصرية بحرًا وبرًا..

لابد من زرع عملاء وجواسيس للحصول على تلك المعلومات..

هنا اقترح أحد ضباط الموســـاد وهو «حاييم جدعون» ان يتم الاستعانة ببعض العناصر من بدو سيناء للحصول على معلومات عن تلك العمليات..

لكنه فوجئ برد حاســـم من زميله «شـــاؤول بن عامي».. انه حاول مرارًا وتكرارًا لكن أخلاص رجال القبائل السيناوية للجيش المصرى ليس له حدود وانـــه قام بالفعل بتعذيب وتنكيل العديد منهم وإغراءهم بالمال والعيـــش الهانىء.. لكن بلا فائدة.. وجد

منهم مقاومة ورفض تام وسـمع التأكيد على انهم مصريون قلبًا وقالبًا.. وفشلت معظم المحاولات..

فإذا بـ«حاييم جدعون» يلاحقه بقولـه.. «لقد قبضنا على جاسوس بدوى منذ فترة قصيرة يعمل لحساب الجيش المصرى.. وضبط معه جهاز إرسال واسـتقبال وهو الآن في السجن وقيد التحقيق.. لكنـه بكل صراحه رافضًا للحديث رغم كل وسـائل التعذيب والترهيب التي استخدمت معه..»

شاؤول بن عامي : «من هو.. ما اسمه ؟»

حاييم جدعون : «شكرى»

هنا تدخلت «جولد مائير» رئيسـة الوزراء.. تطلب منهم زيادة الضغط على «شكرى» ومحاولة تجنيده ليكون عميلًا مزدوجًا..

يرسلونه الى مواقعه القديمة وقت القبض عليه.. وإغراءه بالمال ليحصل على معلومات عن تحركات القوات الفدائية المصرية..

أغلقت «جولد مائير» هذه النقطة بعد أن تلقى كلًا من «حاييم جدعون» و «شاؤول بن عامي» التعليمات..

انتقلت الى نقطة أخرى لتلقى عليهم بالسؤال الهام الآن..

..اية أخبار الحفار.. حفار كنتنج وان (Kenting 1) ؟

❊❊❊❊❊❊❊

غادر السيد / «أمين هويدى» مكتب الرئيس جمال عبد الناصر..

ليعقد اجتماع فورى مع أحد الضباط المشـــهود لهم بالكفاءة الشـــديدة خاصًة في نزاله مع رجال الموساد الإسرائيلي.. والذى تـــم تكليفه بقيادة عملية الحفار والقضاء عليه قبل وصوله المياه المصرية..

جمع الضابط عـــدد من الرجال الذين انتقاهم بعناية في قاعة محاضـــرات مصغرة وكان من بين الحضور «نديم» أو «ســـراج زغلول» أو «دميان»..

بدأ الضابط كلامه بشرح ملابسات الموقف.... «نظرًا لنجاحاتنا في ارهاق العدو وتكبيده الخســـائر في حرب الاستنزاف.. قرر القيـــام بالتنقيب عن البترول في خليج الســـويس محاولًا إهانة الدولة المصرية أمام العالم.. لذا وجب علينا نسف هذه العملية من أساسها.. وهذا تكليف من رئيس الجمهورية شخصيًا..

ومن الأفضـــل تدمير هذا الحفار في مناطق بعيدة عن الحدود والمياة الإقليمية المصرية..

لأنه إذا دمرنا الحفار بعد تركيبه في خليج السويس ربما تقوم إسرائيل بضرب حقل مرجان.. وهو الحقل المصرى الوحيد الذى يمدنا بإمدادات البترول..

والخبيث في الأمر أن الشـــركة المالكة لهذا الحفار هي شركة إنجليزية أمريكية إسرائيلية..

والشركة التي حصلت على حق الامتياز للتنقيب عن البترول هي شـــركة «اينى»“Eni“ الإيطالية والحفار صناعة كندية والقاطرة التي تسحبه في رحلته الطويلة هي قاطرة هولندية..

الآن بات واضحًا أن إسرائيل تلعب مع مصر لعبة خبيثة وتضعه في مواجهة خمسة دول على طريقة «ليتفرق دمه بين القبائل»..

وبعد البحث والتدقيق في الحفار المطلوب.. إتضح لنا أنه حفار كندى اسمه (Kenting one).. وهو الآن يغادر البحيرات العظمى في كندا وتحديدًا بحيرات «إيرى» ”Iri“..

وفى الأغلب ســـيتجه عبـــر المحيط الأطلنطـــى.. متجهًا إلى إفريقيا.. عبر رأس الرجاء الصالح ثم يدخل عبر باب المندب إلى البحر الأحمر ومنه إلى الوجهة الأخيرة.. خليج السويس..

لذا تم وضع ثـــلاث خطط.. نبدأ بالبعيدة مـــن حدودنا.. أي محاولة تفجيره في أثناء عبوره المحيط أو أثناء رحلته عبر القارة الافريقية..

أو بعد دخوله البحر الأحمر عن طريق الضفادع البشـــرية.. أو قبل دخوله خليج السويس.. الضرب بالطيران..

لذا ســـنبدأ بالخطة الأولى.. وهى متابعـــة القاطرة والحفار وأنتقاء أنسب الأماكن عند توقفه.. للتمكن من ضربه وتفجيره....

أشار الضابط إلى «نديم».. قائلًا : «تعالى معى لتعرف مهمتك.. وهى أهم خطوة في العملية.. جمع معلومات عن الحفار والقاطرة

وخط سيرهم عبر المحيط الأطلنطى.. لذا استعد للسفر إلى «بونتا ديلجادا» "Punta Delgada" ..

وهى جزيرة تابعة للبرتغال وبها ميناء.. فربما يرسـو الحفار هناك..

للتزود بالوقود والمؤن.. وبالمناسـبة.. لقد أعطينا اسم كودى للحفار هو.. «الحج»

نظرًا أننا قادمون الآن على موسم الحج..

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

بذل «حاييم جدعون» مجهودًا جبارًا في التمثيل وإظهار الود والحب لـ«شـكرى» أثناء جلوسـه معه لتناول العشاء.. سفرة كبيرة.. ووليمة ضخمة على شرف الصديق الجديد «شكرى» هكذا كان وصف «حاييم»..

كان «شكرى» يستمع.. وعقله لا يتوقف عن التفكير.. في البداية أبدى معارضة شـديدة من العرض الذى قدمه إليه «حاييم».. من الأموال والأمتياز التي سـيحصل عليها إذا قبـل التعاون معهم بالإضافة الى تعيينه في جيش الدفاع «الإسرائيلي» برتبة نقيب.. مع مرتب ثابت والحوافز والمكافآت مع وعد بترقيته مع أول خبر هام أو معلومة هامة يرسلها إليهم..

ومع صمت «شـكرى» يزيد «حاييم» في الهبـة والعطايا.. فيعرض عليه المزيد.. وبين كل عرض وعرض يضع أمامه قطعة شهية ساخنة من اللحم..

وقد أحاط طاولة الطعام.. ثلاثة من الفتيات الإسرائيليات فاتنات الجمال.... ولكن اللافت للأمر أن «شـــكرى» كان يأكل صامتًا.. لا يرد على حاييم.. ولا يلتفت إلى أجساد الفتيات العاريات..؟!.. مما أصاب حاييم بالجنون..

وقبل انتهاء العشاء.. رفع «شكرى» رأسه من فوق الطبق الذى كان يستحوذ على تفكيره وصحته..

.. : «نعم.. أنا موافق.. ومستعد أن أبدأ الآن......

هل خان «شكرى» وطنه.. هل باع مصر ؟!.. كيف له بالموافقة.. ربما لم ولن يتحمل المزيد مـــن الإهانة والتعذيب.. أو ربما إغراء المال والثراء الســـريع كان أقوى منه.. وهل وقت العشاء بكافٍ للتفكير واتخاذ مثل هذا القرار بالموافقة على الخيانة.. أن يصبح عميلًا لإسرائيل ضد بلده مصر..

ماذا لو عرف «نديم» صديقه ذلك ؟!.. وماذا لو علمت «كاميليا» فاتنته الصغيرة ؟!..وماذا عن عم حجازى.. معلمه وزارع الوطنية في قلبه؟!..

هل هانت عليه مصر إلى هذا الحد ؟!.. حتى لو عذبوه أو مات فداءً لوطنه..

.. انتقل اليه «حاييم» بإبتسامة الفاتح المنتصر.. يضع في يده أول رزمة دولارات.. المكافأة الأولى لمجرد أن أبدى الموافقة..

ومن الغد سيتم تدريبه..

لم يذق «شكرى» طعم النوم للحظة واحدة ولا يدور في رأسه إلا سؤال واحد لم يجب له أي إجابة..

«هل ما فعله هــــذا صحيحًا.. وما هو القـــــادم.. أنه المجهول المخيف»!!

- تجلس «كاميليا» في الصف الثانــــى في قاعة المحاضرات بالجامعة.. تتجاذب أطراف الحديث مع زميلة تجلس إلى جوارها.. ولم تعلـــــم أن هناك عينان تراقبان تصرفاتها.. فتاة تابعة لضابط المخابرات الإسرائيلي «يوسى كاتسير»..

مرت دقائق بطيئة قبل أن يدخل البروفسور «زوى اسطافوس» أســــتاذ الأدب اليوناني الحديث.. وما أن القى على الطلاب عنوان المحاضـــــرة إلا وقلب «كاميليا» صار يرقـــــص فرحًا.. «محاضرة اليوم عن الشاعر «كفافى»..»

- كونســــتانتينوس بيترو كفافيــــس ”Konstantinos Petrou Kavafis“

- هذا هو اســــمه بالكامل.. ثم شرع البروفسور في سرد نشأة وحياة «كفافى».. إلى أن توقف فجأة ليلقى على الطلاب الســـؤال التقليدي..

- من منكم سمع أو عرف شيئًا عن شاعرنا اليوم ؟!!..

وإذا بكاميليا ترفع يدها بكل حماس وفخر.. لتذكر للحاضرين أنها من الإسكندرية وهى موطن «كفافى» الأطول والأعرق ومكان موته ومدفنه بها..

وانها منذ فترة قـــد زارت منزله الذى عاش به بمنطقة محطة الرمل.. والذى تحول الى متحف الآن وانه كان صديقًا شـــخصيًا للخديوى إسماعيل.. وكم تأثر المجتمع السكندرى بالشاعر وأيضًا وضع تأثيره في وجدان وقلب الشاعر كفافى..

حيث كانت الإسكندرية أحب المدن إلى قلبه..

والملاحظ أن كفافى قد ولد في يوم 1863/4/29 ومات في نفس يوم مولده بعد مرور سبعين عامًا 1933/4/29..

بعـــد المحاضرة إلتف عدد كبير من الطـــلاب حول «كاميليا» للســـؤال عن بيت كفافى وماذا يتكون من.... وعشـــرات الأسئلة الأخـــرى..... وكأن «كاميليا» هي مدرس المـــادة وليس «زوى اسطافوس»..

ســـارت «كاميليا» بكل فخر بجوار زميلتها.. خارجة من مبنى الجامعة عائدة إلى حيث تقيم مع «لاريسا»..

وإذا بها أمام «بافو».. أو «يوســـى كاتســـير».. يقف أمامها بإبتســـامة تحمل وراءها ملامح الكذب والخـــداع.. عرض عليها دعوتها على الغداء في مطعم قريب..

وافقت على دعوتها.. توجها إلى أحد المطاعم الفاخرة.. ولكن قبل الدخول إلى المطعـــم لمحت «كاميليا» وجود صيدلية بجوار المطعم.. أستأذنت من «بافو» في شراء دواءً للصداع.. طلبت من الصيدلى دواءً للصداع ثم بعدها سألته عن إذا كان بالإمكان شراء زجاجة «سُم»..

اندهش الصيدلى من الطلب.. وبادرها بالسؤال عن سبب شراء السُم وماذا تفعل به ؟!!..

أجابتـــه أن هناك فأرًا في بيتها فهى تريد ســـم للقضاء على الفئران.. هنا ابتسم الصيدلى وناولها زجاجة صغيرة عليها صورة فأر.. دست «كاميليا» السُـــم في حقيبتها.. وعادت إلى حيث كان «بافو» في انتظارها..

أثناء الطعام كانت «كاميليا» تتحدث وتبتســـم وهى تراقب كل حركات «بافو» بعناية..

.. وكان وراء مراقبته هو انتظار الفرصة الســـانحة لتضع له «سُما» في طعامه..

.. لكنه لم يغـــادر الطاولة ولم يلتفت يمينًا أو يســـارًا.. كان يتناول الطعام وهو يتحدث.. عن نفسه ونشأته.. وقد قام بتأليف قصة عن نشـــأته في المجتمع الأوروبى الشرقى وأنه كان يعمل بالتجارة منذ صغره..

أخفى عنها من هو فـــي الحقيقة.. ولم يدرِ بخياله أنها تعرفه معرفة جيدة..

وإذا تحســـس الجرح فوق حاجبه الأيسر لربما تذكر من هي تحديدًا.. جاء النادل بفاتورة حساب الطعام.. قام «بافو» بالدفع واحتفظ بالفاتورة وقلبها على الجانب الآخر الخالى من أى كتابه.. وأخرج قلم وبدأ يكتب بعض عبارات باللغة العبرية.. اســـتطاعت «كاميليـــا» أن تلحظ ما يكتب باللغة العبرية وفهمت كل ما فيها..

لم يكترث اليها وهى تنظر في الورقة ظنًا منه أنها لن تفهم شيئًا.. وقد اتقنت دورها عندما سألته.. ماهى هذه اللغة الغريبة ؟!!..

أجابها : أنها لغة محلية يتحدث بها بعض القروين القدامى في رومانيا..

.. فهمـــت أنه يكتب عن أحداث حدثت في الصباح وكأنه يؤرخ لها..

وشاهدت ذكر اسمها.. انه قد اقترب من الإيقاع بها.. هنا أيقنت أن ظنونها كلها صحيحة.. إنه رجل مخابرات.. وهى الفريســـة.. ولكن لم يكن كل هذا يشـــغل بالها.. كانت تفكر في زجاجة السُم القابعة في حقيبة يدها.. فهـــى لا تفعل كل هذا وتجلس مع هذا الخنزير إلا لهدف واحد هو قتله والتخلص منه.. والإنتقام لأسرتها..

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

قدم رجل المخابرات المصري الذى كان يراقب «أبو جميل» أو «بافو» وهو يلتقى بالفتاة المصرية «كاميليا» تقريرًا إلى «صبرى عبد الهادي» و «بهاء إسماعيل» واللذان تلقيا لتوهما أمرًا وتكليفًا.. بضرورة التقرب من لاريســا و تجنيدها.. فهى همزة الوصل بين «يوسى كاتسير» و «كاميليا» الفتاة المصرية الجديدة..

عن طريق «لاريســا» يمكن مراقبة والإســتماع الي «يوسى كاتسير» كذلك «كاميليا»..

.. عقد الرجلان جلسة عمل مطولة.. انتهى بهم الحديث بضرورة اقتحام شقة «يوسى كاتسير» مرة أخرى بعد المرة الأولى التي اقتحمها «دميان» أو «نديم»..

للبحث عن الشيك الذى يساوم به «لاريسا» ويخضعها تحت طوعه..

وأيضًا مواصلة البحث عن مذكراته..

الأمر الثانى.. هو محاولة «بهاء إسماعيل» من التقرب إلى «لاريسا».. فقام بجحز حجرة في نفس الفندق الذى تعمل به..

اقترب «شكرى» من الضفة الشرقية لقناة السويس.. بعد أن سار عدة أميال في الصحراء.. وتعليمات «حاييم جدعون» لاتفارقه.. يتذكرها كلمة بكلمة..

«ستعود إلى المصريين بنفس الحقيبة.. وبداخلها جهاز الإرسال والإستقبال الذى لا يعمل.. فنحن لم نقم بإصلاحه خوفًا من أن يتكشف أمرك لدى رجال المخابرات الحربية المصرية.. أخبرهم أنك طيلة الفترة الماضية كنت مريضًا بالحمى وأن أحد رجال بدو سيناء قد ساعد ببعض الأعشاب الجبلية حتى تماثلت للشفاء»..

ثم دربه «حاييم» على وسيلة ارسال المعلومات اليهم في الموساد وكذلك بعض وسائل التخفى والهروب من المراقبة... وان

هناك من سيقابله داخل السويس للحصول منه على الميكروفيلم الخاص بتصوير قطع ووحدات الجيش المصرى..

كان «شكرى» خائفًا.. مرعوبًا.. ليس على نفسه وحياته.. ولكن على مصر..

بعد أن مكث وســـط قيادات اليهود الصهاينة.. وشـــاهد كم الشراسة والكره لمصر.. وإيمانهم أن سيناء هي لهم وأنها الأرض التي وعدهم ربهم بها..

نعم.. هم مضللون.. تائهـــون فكريًا كما كتب عليهم التيه من قبل..

فتح حقيبته لتناول كســـرة خبز بعد أن استراح فوق الرمال الطاهرة لســـيناء.. نظر الى جهاز الإرســـال الذى أخذه الفنيون التابعون للإحتلال الإســـرائيلي.. ثم عادوا به كما كان.. لا يعمل.. فهل حقًا.. لم يعبثوا به..

لم يصبغوه بصبغة الشـــيطان التي يضيفونها على كل شيء لامس يداهم..

لا اعلم لكن لابد وأن أكون حـــذرًا.. لكن حذرًا من ماذا فأنا لن أعود إليهم ثانيًا ولن أرسل شيئًا.. ولن أتعاون معهم.. لكن وماذا إذا نفذ «حاييم» تهديده بإنه إذا لم يتعاون معهم فسوف يرسلون من يقتلني وهم لديهم اليد الطولى كما يزعمون..

حاول أن يطرد الأفكار من رأســـه.. فلم يجد وسيلة إلا أن دس اصبعه في الرمال ليكتب «تحيا مصر».. وهم وقوفًا واســـتمر في

السير.. واصل طريقة إلى أن وصل قرب إحدى وحدات الصاعقة المصرية في الضفة الغربية للقناة..

وهناك طلب نقلــــه إلى مركز قيـــادة المخابـــرات الحربية بالسويس..

وبعد أن دخل حجـــرة الضابط الـــذى كان يتعامل معه عبر الرســـائل قبل القبض عليه.. قام من مكتبه واحتضنه بشـــدة.. وبادره بالسؤال..

- «أين كنت كل هذه المدة الطويلة لا نعرف عنك شيئًا»

شـــكرى: وضع يده على فمه.. وأشار إلى جهاز الإرسال الذى في حقيبته..

ثم كتب على ورقة.. لا أستطيع الحديث.. أشك في هذا الجهاز..

قام الضابط على الفور بأخذ الجهاز وحقيبة شـــكرى.. ناولها إلى أحد أعوانه وهمس في أذنه أن يذهب بهما إلى الفحص الفني..

ثم أشار لشكرى بالحديث.. أي حديث..

فقام «شكرى» برواية ما أملاه عليه الضابط الإسرائيلي «حاييم جدعون»..

استمع اليه الضابط المصرى..

ثم أشار إليه.. «نعم» اذهب الآن لتستحم وتستريح ونتقابل في المساء»..

وبالفعل.. خلع شكرى ملابسه.. وقامت اليد الخبيرة بفحصها جيدًا.. ثم قاموا بحرقها.. وارتدى شكرى الزى العسكرى بعد أن غسل جسده وعقله بالروح الوطنية..

جاءت الإجابة من قسـم الفحص الفنـي.. أن الجهاز بالفعل لا يعمل وأن إصلاحه مسـألة بسيطة.. ولكن يوجد بداخله جهاز تنصت صغير للغاية..

وهنا سأله الفني.. هل تريدنى تعطيل جهاز التنصت أو إنتزاعه والتخلص منه..

هنا أشار إليه الضابط.. بلا.. لا تفعل.. فقد فكر في استخدام شكرى في ارسال معلومات مضللة للعدو..

ثم أرسل أحد رجاله لمراقبة الشـارع خارج المبنى.. لابد أن هناك من يستمع إلى جهاز التنصت هذا..

وبالفعل كان هناك رجل وإمرأة داخل سيارة يستمعان إلى ما يدور حول جهاز التنصت..

وفرك يديه ببعضهما وهو يبتسم «الآن بدأت اللعبة»...

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

أبدى «بهاء إسماعيل» إعجابه الشديد بإبتسامة «لاريسا» وهى تسأله من خلف مكتب الاستقبال.. «مرحبًا.. كيف لى أن أساعدك؟»

.. فرحت «لاريسـا» بالإطراء والإعجاب بإبتسامتها من النزيل الجديد «سمير شاهين»..

هكذا قدم ضابط المخابرات المصرى «بهاء إســـماعيل» نفسه بجواز سفر يحمل اسم «سمير شاهين».. سار بجوار عامل حمل الحقائب وعينا «لاريسا» ترقبه دون أن يلاحظ..

.. أنها المرة الأولى التي يعجب فيها أحد بإبتسامتها..

ولم تمر عدة ســـاعات إلا وظهر «سمير شاهين» مرة أخرى.. وتوجه إلى مكتب الاســـتقبال وكانت «لاريسا» تستعد للمغادرة حيث تبقـــى خمس دقائق على إنتهاء فترة عملها.. وإذا به يتوجه إليها.. ويتبادل معها الحديث.. ويعيد إعجابه عليها و أن بوجهها إبتسامة ساحرة مريحة لمن يراها..

ثم ســـألها أن تصف له كيفية الذهاب الي مطعم شهير يدعى «بانينو»، فإذا بها تبدى إندهاشها الشديد.. فيسألها.. لما الدهشة.. أجابته أنها تســـكن قريبًا من ذاك المطعم.. ثم ســـألته : لما هذا المطعم تحديدًا.. أجابها أن احد الأصدقاء ممن يعرفون أثينا جيدًا قد رشحه له..

وبـــدأت في وصف الطريق.. فإذا به يقاطعها : «ألم تقولى أنه قريب من مسكنك..» أومأت برأسها.. «نعم»..

عرض عليها أن تصحبه الـــى هناك إذا لم يكن لديها مانع من ذلك خاصًة أنه أستأجر سيارة صغيرة ليتنقل بها في البلدة..

ثم نطق كلمة بالعربية أمامها.... «يالك من جميلة»..

وبالطبع فهمت «لاريسا» ما قاله.. فهى قضت أكثر من 17 عامًا بالإسكندرية وتتحدث العربية المصرية كأهلها..

ردت عليه بالعربية «شكرًا جزيلًا».. تظاهر «بهاء» أو «سمير» بالاندهاش والمفاجأة.. ثم ســــألها.. هل تتحدثين العربية.. ومن بعدها صارت تتحدث معه بالعربية وهى بجواره في السيارة حتى وصلا إلى المطعم..

أشـــــارت له أن هناك هو المطعم.. عرض عليها دعوة لتتناول طعام العشاء معه.. ترددت قلبلًا.. واستجابت له لما رأت فيه من لطف وأدب مع الكرم الزائد الذى يبدو عليه..

وهنا وضع «بهاء» أول خيوطه حول تجنيد «لاريســـــا» لصالح المخابرات المصرية وفى تلك الأثنـــــاء.. كان هناك رجلان داخل شقة «يوسى كاتسير»..

يبحثان بهدوء في كل مكان عن مذكراته.. وعن الشيك الخاص بـــــ«لاريسا»..

.. لم يفلحا أن يعثرا على المذكرات لكنهما.. اســـــتطاعا العثور على الشـــــيك داخل الخزنة الخاصة به.. وخرجا دون أن يتركا أي أثر وراءهما..

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

في القاهرة وتحديدًا داخل إحدى الغرف في مبنى المخابرات العامة المصرية..

اجتمع «نديم» أو «ســـــراج زغلول» مــــع ثلاثة من أمهر رجال المخابرات الموكل لهم مهمة تدمير الحفار..

تناقشوا في أمور عدة تخص إرسال «سراج زغلول» إلى ميناء «بونتاديلجادا» "Ponta Delgada".. لمراقبة وصول الحفار قادمًا من كندا.. والنقطة الأهم.. ماهو الغطاء الذى يستتر وراءه «سراج زغلول»..

قام كلًا منهم بإقتراح.. منهم من اقترح أن يتخفى في شخصية عالم طبيعة ونباتات.. وآخر اقترح أن يكون صحفى.. و»سراج» صامت يستمع إليهم..

وأخيـــــــــرًا تكلم واقترح.. ماذا لو ســـافرت بشخصيتى الحقيقية مع أسرتى.. للسياحة في الجزيرة مثلًا..

بعد فترة صمت.. استحسن الجميع هذه الفكرة..

لكن أحد الضباط قاطعه وهمس في أذنه.. «أي أسرة أنا اعلم عنك كل شيء.. ليس لديك أسرة.. على الأقل حتى الآن»

قال «نديم» : «أنا أقصد أسرة «حشمت باشا رستم».. أنا أشعر بينهم بالألفـــة كأنني بين أهلي.. هم يحبوننـــي كثيرًا وأنا أيضًا أحبهم كثيرًا..

امتد النقاش حول هذا الأمر قرابة الساعتين..

وخرجوا بأن تقوم أحدى برامج المسابقات على الراديو.. بعمل مســـابقة والجوائز فيها تكون : الجائزة الأولى.. رحلة إلى جزر البرتغال.. والثانية والثالثة : جائزة مالية..

وبالطبع «نديم» هو من ســـيربح الجائزة الأولى ومسموح له بإصطحاب خمسة أفراد من أسرته..

وبذلك يســـتطيع الســـفر و الإقامة في الجزيرة والتنقل فيها مع أســـرته بكل حرية.. ويستطيع أيضًا أن يخرج بمفرده لمكان مرتفع في الجزيرة لمراقبة حركة السفن..

انتهى الاجتماع ولم يتبقى إلا ســـفر «نديم» الى الإسكندرية.. العجمى تحديدًا ومعه أوراق ربح المسابقة لأصطحاب أسرته..

أستقبل «حاييم جدعون» أول رسالة مشفرة من «شكرى» والتي تضمنت أخبار عن استقراره وبعض المعلومات عن سرب دبابات شاهدة في الطريق من القاهرة للسويس.. وانه قام بتصوير بعض هذه الدبابات وسيقوم بتســـليم الميكروفيلم الى مندوب الموساد المقيم بمنطقة السويس..

وقد ارسل شكرى هذه الرسالة من مقر تابع للمخابرات الحربية وفى وجود ضابط المخابرات المصرى الذى يقوم بملاعبة الجانب الإسرائيلي المحتل..

وكانوا في انتظار الرســـالة القادمة من الموساد الإسرائيلي.. وكيفية اللقاء مع المندوب الذى سيقوم بإستلام الميكروفيلم من شكرى.. وإذا تم ذلك.. فسيضع رجال مخابرات مصر يدهم على أول فرد في شبكة تعمل داخل مصر في منطقة القناة وربما في مناطق أخرى.. وبالتأكيد المعلومات الذى أرسلها «شكرى» كان بهـــا معلومات صحيحة غير ذات قيمـــة ومعلومات أخرى كثيرة مضللة..

كان «حاييم» في غاية السـعادة بعد تلقيه أول رسـالة وقام بالاحتفال مع زملائه في الموسـاد بنجاحه في زرع «شـكرى» كعنصر جديد لإمدادهم بالمعلومات بعد أن سـقطت العديد من شبكات التجسس التابعة لهم في أيدى رجال المخابرات المصرية.. مما أصابهم بالصدمـة وتوجيه اللوم والتوبيخ من أكبر رأس في وزارة الدفاع.. «موشى ديان» شخصيًا..

فتحت «لاريسـا» باب بيتها بعـد أن أدارت المفتاح ببطء.. والإبتسامة الساحرة كما وصفها «سمير شاهين» لاتفارقها.. وهى تتذكر كل كلمة وهمسة صدرت من «سمير» أثناء تناول العشاء.. يالـه من رجل رائع.. رغم أن المطعم بسـيط والطعام متواضع للغاية إلا أنه له مذاق مازال في فمها..

أفضل ألف مرة من المطعم الفاخر الذى كانت فيه مع «إميليا» وأيضًا مع «بافو».. ذاك الخنزيـر الذى يضع طوقًا حديديًا حول رقبتها..

دين بمبلغ كبير لم تقترضه.. ومن وقت لآخر يصدر تهديداته لها..

وقد حصل منها بعض المال بالفعل ولا زال يهددها بالمزيد..

اختفت إبتسـامتها وهى تغلق الباب بعد تذكرها لهذا اللعين «بافو»..

ثم ســـرعان ما عادت الإبتسامة إلى شـــفتاها.. بسماع همس «سمير شاهين» في أذنها بكلمات الإطراء والإعجاب..

إلتقت بـــ«كاميليا» التي كانت مســـتيقظة.. تستذكر دروسها مع الدرس الجديد عن الشاعر «كفافى»..

تحدثا قليلًا.. وكلًا منهما لا تعلم أن وراء الأخرى قصة وحكاية..

«كاميليا».. لا هـــم لها الآن إلا الأنتقام من الخنزير «يوســـى كاتسير»..

أما «لاريسا» فيبدو أنها تعيش قصة جديدة يعزف فيها قلبها أجمل الألحان..

توجهت «إيفا» وهى فوق الكرســـى المتحرك مع الست «عليه» إلى أحد أكبر محلات الملابس بالإســـكندرية وطلبت من «نديم» الحضور معها ومســـاعدتها في إنتقاء بعض الملابس الصيفية الخفيفة استعدادًا لرحلة جزر البرتغال..

وداخل المحل.. في حجرة البروفة.. تساعد الست «عليه» «إيفا» في ارتداء قطع الملابس واحدة تلو الأخرى.. وتخرج إلى «نديم» كى يبدى رأيه..

وما يشير عليه تفعله.. فتشترى ما يعجبه وتعيد مالا يعجبه..

.. تركوا «فايزة» بمفردها.. والتي كانت تستشـــيط غضبًا من عدم ذهابها معهـــم.. وقد لاحظ «نديم» ذلـــك على وجهها وهى تودعهم عند باب فيلا العجمى..

لــــــــــذا.. إقترح «نديم» شـــراء بعض القطع من الملابس لـــــ»فايزة» كى لاتشعر بالإهمال من جانبهم.. وقد رحبت «إيفا» بالفكرة..

وفى الصباح توجه جميعهم.. الباشـــا والهانم.. نديم.. إيفا.. عليه.. فايزة.. إلى مطار النزهة بالإسكندرية للصعود إلى الطائرة المتجهة إلى «بونتاديلجادا»..

بعد التوقف في مطار «لشبونة» لبضعة ساعات..

وقد أخفى «نديم» جهاز الإرســـال داخل حقيبته.. وراجع كل التعليمات التـــي تلقاها من زملائه في جهاز المخابرات المصرية بدقة وعناية فائقة..

أتصل «ســـمير شـــاهين» من هاتف حجرته برقم الاستقبال لتجيب على الطرف الآخر «لاريســـا» والتي دق قلبها بشـــدة عند ســـماع صوته.. وبعد أن القى عليها التحية وبعض عبارات الغزل طلب منها ان كان يستطيع ان يتناول طعام الإفطار في حجرته.. أجابة انها ســـوف تبلغ مطبخ الفندق لإحضار طعام الإفطار الى حجرته في خلال عشر دقائق..

وقبل أن يغلق الخط.. قدم دعوة إلى «لاريسا» للقاء على وجبة العشاء في مطعم متواضع يقدم الأكلات الشعبية اليونانية.. قبلت وقلبها يرقص فرحًا..

وقبل المساء استعد «بهاء إسماعيل» أو «سمير شاهين» جيدًا لهذة المقابلة مع «لاريســـاً لأنها هامة للغاية وقد عقد العزم على أن يفاتحها في أمر العمل مع المخابرات العامة المصرية بشـــكل مباشر وصريح.. راجع كل شـــيء.. وارتدى ثيابًا بسيطة وتوجه إلى المطعم..

.. كانت الجلسة التي ضمت «لاريسا» مع «سمير شاهين» حول طاولة الطعام..

تتسم بالهدوء والرومانسية.. تبادل المشاعر الرقيقة مع ضوء شـــمعة صغيرة مثبتة داخل فوهة زجاجة نبيذ فارغة.. وخيوط الشـــمع المنصهر تتدلى حول عنق الزجاجة الخضراء الداكنة.. الموضوعـــة فوق مفـــرش كاروهات بلـــون أزرق فاتح وداكن.. والموسيقى اليونانية الفلكلورية تهيم في المكان..

وإذا ب « سمير شاهين» وبشـــكل مفاجئ.. يضع ظرفًا أمام «لاريسا»وطلب منها أن تفتحه..

ظنت «لاريســـا» انه ربما اشـــترى لها كارت به صور للزهور والقلوب الحمراء وكتب عليه عبارات ناعمة..

أخرجت بعض الصور والأوراق.. أنهـــا صور لها مع «إميليا» وصور أخرى مع «بافو».. وصور ثالثة مع «كاميليا»..

ثـــم إذا بها تفتح ورقة مطوية.. انها.. نعم اعرف هذه الورقة.. أنه الشيك وهذا توقيعى.. انه الشـــيك الذى اجبرنى على توقيعه «بافو» دون ان يضع المبلغ..

واذا بها تنظر الى المبلغ الذى حـــرره «بافو»... انه أكثر من عشرين ضعفًا من قيمة فاتورة الطعام الفاخر الذى قام بدفعه.. ياله من نصاب.. لص.. مزور..

نظرت إلى «سمير شاهين» وهى تتفحص الصور والشيك..

«لاريســـا» : «كيف لك الحصول على هذه الأوراق.. من انت.. ياالهى..»

«سمير شاهين» : «كما يبدو لك.. أنت كنت ضحية لعبة وكذبة نســـج خيوطها حولك كل من هؤلاء الثلاثة.. أو الأثنين.. «بافو» وبالطبع ليس هذا اسمه الحقيقى.. وإميليا»

«لاريسا»: «ماذا تقصد.. هل كانت «إميليا» تكذب عندما كانت تغرق في البحر وقمت بإنقاذها.. هل هي تمثيلية ؟..

«سمير» : «لا ادرى تحديدًا.. ربما كانت حقيقية.. لكنها بمجرد ان علمت انـــك ولدت بمصر.. بالإســـكندرية.. نقلت اخبارك الى «يوسى كاتسير»..

«لاريسا» : «ومن يكون «يوسى كاتسير» هذا ؟»

«ســـمير» : «آه.. انه «بافو».. اسمه الحقيقة «يوسى كاتسير» ضابط مخابرات اسرائيلى..»

«لاريســـا» : تضع يدها على مخها.. تكتم الصرخة.. «ضابط إسرائيلى»..

ومن تكون انت ؟.. وهل اسمك «سمير شاهين» حقًا ؟..

«سمير» : «الأسماء لا تهم كثيرًا.. أنا ضابط مخابرات مصري.. وأنا هنا لإنقاذك.. أنا مكلف من قبل دولتى مصر..

الدولة التي ولدت انت فيها وتعلمت في مدارســـها وسرت في شـــوارعها.. أنا مكلف بحمايتك وحماية كل من شرب من نيل هذا البلد مصر»..

وها هو الشيك الذى يذلك ويهددك به «بافو»، بين يديك الآن.. انظرى الى الرقم الذى كتبه في خانة المبلغ..

انه عدو.. لنا جميعًا ولابد من حمايتك قبل فوات الآوان..

وبما أننى هنا لحمايتك.. لابـــد وان تثقى بى.. وتنفذى كل ما أطلبه منك.. لرد الضربة لهذا الشرير «بافو»..

«لاريسا» : «وماذا عن كلمات الغزل والإعجاب.. هل هذه أيضًا تمثيلية ؟..

«ســـمير» : «.. لا.. انظرى الى جمالك فـــي المرآة لتعلمى انك تستحقين كل عبارة اعجاب.. ويكفى قلبك النقى الطاهر..»

أستطاع «سمير شـــاهين» أو «بهاء إسماعيل» استثمار حالة الغضب التي بدت عليها «لاريســـا» من التلاعب بها وخداعها من قبل «بافو» و «إميليـــا» وأبدت الرغبة والموافقـــة على التعاون مع مخابرات البلد التي تربت بها وقضت اســـعد أوقات طفولتها وشبابها..

بدا بعدها «بهاء إســـماعيل» في شـــرح كل تفاصيل المهمة المطلوبـــة منها وهى تتلخص في التقرب مـــن «بافو» ونقل كل المعلومات عنه..

قدم «بهاء إســـماعيل» هدية فاخرة إلى «لاريسا» مع مبلغًا من المال..

مما زاد «لاريسا» حماسًـــا للعمل وبذل كل الجهد في إرضاء «بهاء إسماعيل»..

وكانت أولى الخطوات.. هي عدم الحديث مع «إميليا» أو الذهاب في أي موعد محدد مع «بافو» و ان تتظاهر و تبدي غضبها الشديد ان راتبها يذهب بالكامل لســـداد دينها الـــى «بافو»، وقد اتقنت «لاريســـا» دورها بالفعل فلم تكن تمثل.. بل كانت غاضبة بالفعل وكأن الفرصة قد سنحت لها للتعبير عن هذا الغضب..

بعد ان ســـكن كل فرد في غرفته فـــي الفندق القابع فوق كل مرتفع في جزيرة تابعة الى «بونتاديلجادا» “ponta Delgada” ..

خرج نديم لتفقد المكان خـــارج الفندق ودار دورة في البلدة الصغيرة.. وحدد الأماكن التي سيستخدمها لمراقبة وصول الحفار إلى الميناء.. وكان أهمها مقهى على جبل مرتفع يطل على الميناء وتحديدًا.. مدخل السفن الى حوض الميناء.. والمخصص لعملية الامدادات بالوقود والطعام..ثم عاد «نديم».. الى الفندق لأصطحاب الجميع في نزهة في البلدة ومشاهدة غروب الشمس.. أستأذن كلًا

من الباشا والهانم في عدم الخروج لإحتياجهما للخلد الى الراحة بعد يوم سفر شاق..

قام «نديم» بدفع الكرســـى المتحرك القابعة فوقه «إيفا» بدلًا من الســـت عليه والتي كانت تسير خلفهما وبجوار «نديم» سارت «فايـــزة».. التي حاولت التقرب من «نديم» والحديث معه دون أن يصل صوتها إلى الأخريات..

كان «نديم» يســـتمع اليها وفى نفس الوقت يلاطف ويحدث «إيفا» مما أصاب «فايزة» بنوع من الغضب وشـــعرت انها تأتى في المرتبة الثانية بعد إيفا..جلسوا على كرسى خشبى في إحدى الحدائق العامة وقام «نديم» بشراء أقماع المثلجات لهم جميعًا..

ثم قام «نديم» بشــــرح بعض المعلومات من كتاب في يده عن الجزيرة والميناء..

هذا الكتاب قد حصل عليه من شـــركة الســـياحة التي نظمت الرحلة للفائز في المسابقة..

الاهتمام الأكبر كان منصبًا على «إيفا» في شرح المعلومات عن الجزيرة..

بدا التعب واضحًا على الست «عليه» التي أستأذنت في العودة الى الفندق للراحة وربما النوم قليلًا.. ســـارت لعدة خطوات ثم إلتفتت إلى ابنتها «فايزة» وطلبتها للذهاب معها الى الفندق.. مما آثار غضب «فايزة» مجددًا..

مرت الساعات على «نديم» و «إيفا» وكأنها لحظات معدودة..

تبـــادلا الضحكات.. وهما يتجولان فـــي الطرقات الضيقة في الجزيرة.. مرا.. على ســـيدة عجوز تبيـــع الزهور.. توقف أمامها «نديم» وترك «إيفا» فوق كرسيها المتحرك.. وتوجه ناحية السيدة العجوز.. واشـــترى بضع أعوادًا من الزهور الحمراء.. وحين هم بدفع ثمن الورد..

رفضت الســـيدة العجوز أن تتقاضى النقود.. وإذا بها تسأل نديم عن الفتاة الجالسة فوق الكرسى المتحرك..

وقبل أن يجيبها «نديم» مدت يدها إلى رف خشبى بجوارها.. والتقطت زجاجة بها ربما نوع من الزيوت.. وناولته إلى نديم..

وطلبت من نديم ان يضع لها ملعقة في الصباح والمســـاء من هذا الزيـــت على كوب من عصير الطماطـــم.. مع عمل تمرينات لتقوية عضلات الظهر والفخذين..

حاول «نديم» ان يدفع لهـــا مبلغًا من المال.. لكنها ردت عليه بإبتسامة.. دون اى كلام.. ونظرت إلى «إيفا» بعطف وحنان..

شـــعر «نديم» بالتفاؤل مما سمعه من هذه العجوز.. وقرر ان يجرب.. ولما لا ؟!..

عادا الى الفندق والســـعادة والفرحة تملئـــان وجه «إيفا»، و «نديم» لا يتوقف عن الحديث والضحك معها..

راقبتهما «فايزة» من الشـــرفة بوجه غاضب تخرج النيران من كل جوانبه..

وبدأ «نديم» بوضع أول ملعقة في كوب عصير الطماطم.. وفى قاعة الاستقبال في الفندق.. جلس محاولا تحريك أرجل إيفا بهدوء وحرص.. واذا بموظفة الفندق.. تتوجه اليهما.. لتعرض عليهما ان هناك مدرب للياقة البدنية يعمل لخدمة النزلاء في الساونا والصالة الرياضية..فربما يستطيع المساعدة..

ابدى «نديم» سعادته بهذا العرض واتفق معهم، اى إدارة الفندق على عقد جلسات مع مدرب اللياقة لمساعدة «إيفا»..

والذى بدأ مهمته على الفور..

على حسب التعليمات التي تلقاها «شكرى».. بخصوص تسليم الميكروفيلم لأحد عملاء الموساد في مدينة السويس.. وضع «شكرى» الميكروفيلم في كيس بلاستيك وقام بوضعه أسفل الحوض في حمام أحد المطاعم.. ثم قام بوضع منديل أزرق في جاكيت البدلة التي يرتديها..

قام على الفور أحد الأشخاص الجالسين في المطعم وتوجه الى حمام المطعم.. ولم يكن يعلم ان هناك عيونًا تراقبه وترقب كل خطوة في حركته..

بعد ان غادر المطعم وبالتأكيد بداخل جيوبه يقع الميكروفيلم..

وهذا كان سر سعادة رجل المخابرات الحربية الذى أخيرًا استطاع معرفة احد رجال الموساد في السويس والذى ربما سوف يدلهم على باقى افراد الشبكة وهو الصيد الثمين الذى كان

ينتظره.. وتم ذلك بمعاونة «شـــكرى».. وكان القرار بعدم إلقاء القبض على عنصر الموساد الذى تسلم الميكروفيلم..

لمعرفة أعوان وبقية افراد الشبكة..

ولم تمر اكثر من اربع وعشرين ســـاعة حتى تلقى «شكرى» رسالة مشـــفرة من «حاييم بن جدعون» يطلب فيه من «شكرى» عبور قناة الســـويس لمقابلته في الضفة الغربية للأهمية وأخبره أن هناك من سيساعده للعبور للضفة الأخرى..

كاد «نديـــم» ان يقفـــز فرحًا وهو على قمة أحـــد الجبال في الجزيرة..

وقد شـــاهد عبر نظارته المكبرة.. قاطرة تجر خلفها حفارًا.. ويدخل ميناء «بونتا ديلجادا»..

قام على الفور بإرسال برقية مشـــفرة الى جهاز المخابرات العامة من ثلاث كلمات..

(الحاج دخل المستشفى).. اى الحفار دخل الميناء..

وظل يتنقل بين شـــرفة غرفته بالفندق الذى يطل على الميناء وبين الباشا والهانم وإيفا والست عليه وفايزة.. كى لا يشعر أحدًا منهم بغيابه..

وكانت شرفته مكانًا مناسبًا للغاية لمتابعة الحفار.. والرؤية عبر نظارته كانت كافيه ليرى الحفار بوضوح وهو قابع على رصيف الميناء.. والعمال في حركة دؤوب مابين الحفار والرصيف..

لم يســـتطع ان يخلد الى النوم خوفًا من اى تطور او حدوث اى جديد.. وكما توقع.. لم يقضى الحفار سوى ساعات قليلة في الميناء.. حتى عاد مجددًا للأبحار عبر المحيط الأطلنطى.. متجهًا الى.. «داكارا» بالسنغال وذلك حسب توقعات قائد المجموعة في جهاز المخابرات العامة المصرية..

اســـتطاع بعدها النوم قليلًا ثم توجـــه للإطمئنان على عملية العلاج الطبيعى وكيف سارت الأمور في الساعات الماضية..

قامت «لاريســـا» بحســـب توجيهات من «بهاء إسماعيل» أو «سمير شاهين» بزيارة الى «بافو» او «يوسى كاتسير» في مكتبة في شركة مصايد اعالى البحار..

زيارة دون موعد مسبق.. تعجب معها «بافو»..

والذى وجد اللين والكلام المعســـول من «لاريســـا»... أبدى اندهاشه وتعجبه.. فقد عهد منها من قبل انها دائمة التوتر وتشعر بالخـــوف.. وتبدى عدم الارتياح لمقابلته وتشـــعر ايضًا بالحمل الثقيل من الدين والشيك الذى بحوزته..

سألها بشكل مباشر.. : «أنت لطيفة النهاردة.. على غير العادة.. ما السبب ياترى ؟!..

«لاريسا» : «في الحقيقة.. أنا أشعر بالحرج منك.. كان لابد ان ادفع لك اليوم جزء من الدين الذى علىّ لك.. لكن ليست في حوزتى نقودًا الآن.. جزء من راتبى ضاع في بعض الإصلاحات في منزلنا..

لذا فكرت في القيام بزيارتك لتقديم الإعتذار..»

وقبل ان تكمل «لاريسا» حديثها..

دخل عليهم فرد أمن الشركة بعد ان طرق الباب..

واخبر «بافو» أن هناك قطعة من الحجارة سقطت من احدى الطوابق العليا في البناية حيث تقع الشركة.. سقطت فوق سيارته..

نهض «بافو» مذعورًا.. وركض خلف فرد الأمن.. وصعدا الى الطابق الأعلى..

تحركت «لاريسا» بسرعة وخفة وقامت بتثبيت «ميكرفون» صغير للغاية.. خلف برواز مثبت على الحائط..

جلست مكانها في انتظار قدوم «بافو» الذى لم يكن يعلم ان ما حدث كان بترتيب «بهاء إسماعيل» واعوانه..

ولم يكن «بافو» يعلم أيضًا بسرقة الشيك الخاص بـ«لاريسا» آداة الضغط الوحيدة التي يملكها..

عاد «بافو» بعد مرور وقت ليس بالقليل وهو يسب ويلعن..

لم يستطع التوصل الى من قام بإلقاء الحجارة على سيارته ومن اى طابق تحديدًا..

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

هبطت الطائرة التي قلت الباشا واسرته في مطار النزهة بالإسكندرية.. واستأذنهم «نديم» انه لن يستطيع ايصالهم الى فيلا العجمى.. حيث لابد وان يقوم بتسليم نفسه في وحدته العسكرية حيث إنقضاء الأجازة ولا يستطيع التأخير ولو دقيقة..

رتب لهم ســـيارة أجرة تقلهم الى العجمى واتجه هو بمعاونة أحد أفراد جهاز المخابرات العامـــة المصرية.. الى المطار ثانيًا واستقل الطائرة المتجهة الى باريس.. ومنها الى مطار ابيدجان في ساحل العاج..

هذا حسب أوامر الضابط المسئول عن عملية تدمير الحفار..

حيث قام بوضع عيونا في ميناء «داكار» بالسنغال وايضًا زرع عيونًا في ميناء ابيدجان في ساحل العاج تحسبا إذا فشلت العملية في السنغال..

فســـوف يعيد المحاولة مرة أخرى في ميناء آخر.. والمتوقع هو ميناء ابيدجان لساحل العاج.. وكان يعتمد على ملامح «نديم» الأوروبية في الحركة بحرية دون ان يثير الشـــكوك.. حيث كانت عيون رجال الموساد الاسرائيلى منتشرة وتلاحق كل غريب يأتي الى البلدة..

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

أصيبت «كاميليا» بضيق شـــديد في صدرها أثناء سيرها في الطريق لتجد هذا الخنزير امامها.. «بافو».. «من أين يأتي.. وكيف يظهر فجأة.. هل هي مصادفة أم انه يتبعها في كل مكان او يرسل من طرفه من يتبعها ويرصد حركاتها ليظهر هو وقتما يحلو له..

يقف أمامها بإبتسامة بلهاء.. لا تعبر إلا عن شخصية كريهة.. غير محببة.. ابتسم لها أثناء تحيته.. ليعبر لها عن احتياجه للكلام معها.. ومعها هي تحديدًا..

وافقت على دعوتـــه على كوب من القهوة.. على مضض ولكن عزمت انها تكون المـــرة الأخيرة التي ربما ترى وجهه الغبى مرة أخرى..

مجرد ان جلست معه على طاوله.. ارادت مضايقته.. فبادرت بسؤاله.. وهى تشير الى حاجبها الايسر..

«ماهذة الندبة التي فوق حاجبك الأيسر»

تغيرت ملامحه واختفت الإبتســـامة البلهـــاء من فوق وجهه الكريه..

لتحل محلها علامات الضجر والغضب..

«بافو» : «اعتقد انه ســـبق ان سألتنى عن هذا الجرح من قبل.. وذكرت لك انها حادثة قديمة..»

«كاميليا» : وهى تظهر التعجب والإندهاش : «أنا !؟ أنا سألتك.. لا أتذكر.. ربما..»

أســـتاذنها «بافو» بالذهاب الى الحمام.. انتهزت هي الفرصة لغيابة..

واخرجت زجاجة الســـم من حقيبتها التي لم تفارقها.. وهمت بفتح الزجاجة ووضع بعضًا من بودرة السم في قهوة «بافو»..

واذا بها ترتبك وهى تلتفت يمينًا ويسارًا ويداها ترتعشان..

اسقطت بعضًا من البودرة في فنجان قهوة «بافو» وهى تكاد ان يغمى عليها من فرط التوتر والخوف..

مرت بطيئة.. وكأنها ســـنوات الى ان عاد «بافو» من الحمام.. جلس في مقعده.. بعد ان اعتذر لـــ كاميليا عن التأخير..

امســـك فنجان بيده وهو يحكى لـــ»كاميليا» عما حدث له في الشركة صباح اليوم..

وان هناك حجرة ســـقطت على ســـيارته.. أحدثت بها بعض التلفيات.. لكنها تعمل..

.. ثم وضع الفنجان على الطاولة مرة أخرى و «كاميليا» تضع يدها على قلبها الذى يدق بسرعة شديدة..

وإذا «ببافو» ينادى على النادل و يحدثه يغضب.. «هذه القهوة باردة.. كيف لى ان استمتع بقهوة باردة.. انه أسوأ يوم في حياتى اليوم..

خذ هذه.. وأتنى بفنجان آخر ساخن وتأكد انه ساخن جدًا..»

بسرعة حمل النادل الفنجان المسموم.. وسار به بعيدًا..

حاولت «كاميليا» من تهدئة «بافـــو» وارادت مغادرة المقهى حيث باءت محاولتها بالفشـــل.. يا الهى انه كان قاب قوسين او أدنى من ان يرتشـــف بعض رشـــفات وينتقل بعدها الى العالم الآخر.. ليستريح الشـــرفاء من انسان حقير مثل هذا وتشعر هي بالفخر وتخبر العالم كله انها هي من خلصت الإنسانية من شروره وفساده.. وانتقمت لأسرتها مما قام به من قتل وهدم وتشريد...

اخرج «بافو» قلمًا من جيب سترته.. وامسك بمنديل ورقى..

وبدأ يكتب بعض السطور باللغة العبرية وهو يرتشف قهوته الساخنة..

«كاميليا» تراقبه وتقرأ بوضوح مـــا يكتبه.. بدأ بكتابة تاريخ اليوم ثم شرح ببساطة مقابلته مع «لاريسا» في مكتبه وما حدث للســـيارة الى ان وجد قهوته الباردة فـــي المقهى والذى لم يكن يدرى انها قهوة الموت.. قهوة مســـمومة وقد نجا من الموت دون ان يدرى..

وإذا بـــ«كاميليا» تسأله.. «لقد لاحظت انك تكتب شيئًا ما في كل مرة اتقابل فيها معك..؟..

رفع «بافو» رأســـه عن الورقة وتوقـــف القلم في يديه واطال النظر الـــى «كاميليا».. وبعدها أجاب ببضـــع كلمات في صورة تساؤل لكنها تخفى مشاعر الضجر والغضب الذى لا زال يشتعل داخله..

«صرتِ تسألين كثيرًا..»

فهمـــت هي ما يقصده لكنها لم تلق بالًا وكأنها تقول ســـوف أسأل كيفما أشاء ووقتما أشاء.. يكفى اهدار وقت بلا فائدة..

حاول بعدها «بافو» ان يبتسم وهو يسأل عن سوق أدوات صيد الأسماك في الإسكندرية وهل يستطيع ان يجد لشركته مكانًا في هذا السوق..

جلس «شـــكرى» أمام «حاييم جدعون» ضابـــط المخابرات الاسرائيلى في قاعدة عسكرية بسيناء المحتلة.. وهو يتصفح عددًا من الصور.. ويبدو على وجهه علامات عدم الرضا..

ألقى «شكرى» عليه سؤالًا «يبدو ان الصور لا تعجبك او زوايا التصوير سيئة.. الدبابات غير واضحة..»

نظر اليه «حاييم».. «على العكـــس.. زوايا التصوير ممتازة.. لكن جودة الكاميرا وكفاءة العدســـة غير جيدة بالمرة.. لابد من إيجاد حل.. دعنا نتقابل ثانيًا بعد موعد الغداء.. اذهب الان لتتناول طعامك»

اجتمع بعدها «حاييم جدعون» مع «شاؤول بن عامي» و أحد قيادات الموســـاد ذو الخبرة الواسعة.. وانتهى بهم الاجتماع بأنه لابد من تسليم «شكرى» كاميرا أخرى.. اكثر دقة ومتطورة للغاية.. وكان اعتراض «شاؤول بن عامي» أن إسرائيل لا تملك من مثل هذه الكاميرا الحديثة إلا قطعتان فقـــط.. كيف لنا ان نضحى ونضع ثقتنا في «شكرى».. بهذة السهولة..» حاييم : «لاحظ يا شاؤول.. ان كل التقارير الواردة تصب في ان السادات لن يحارب.. لكننى شخصيًا لا اثق في السادات.. إنه ثعلب، وبالتأكيد انه يقوم بعمل تمويه ولابد انه يستعد الآن في الخفاء..

.. لذا.. علينا جمع كل معلومة وتحليلها جيدًا وكشـــف مسرح العمليـــات في منطقة القناة.. فإذا اتخـــذت مصر قرار بالهجوم

علينا.. فلابد لها مـــن نقل كميات كبيرة من الجنود والمعدات الى منطقة غرب قناة السويس..

وهذا دور «شـــكرى» والآخرون لكشف حقيقة تلك المعلومات بالصور الواضحة كى نفهم ونحدد نوعية الأسلحة.. للأستعداد لها جيدًا..

ضابط الموســـاد الثالث : «نعم.. أنا أوافـــق « حاييم» الرأي.. نضحى بكاميرا حديثة في سبيل الحصول على معلومات وصور واضحة ودقيقة..

.. ما الفائدة من تخزين هذه الكاميرا هنا لدينا.. وعميلنا يقوم بالتصوير بكاميرا قديمة وبدائية.. انه الجنون ذاته..

كما اننى اقتـــرح ان نقوم بتدريب «شـــكرى» على التصوير بإحترافية اكثر وايضًا تدريبه على فنيات الطبع والتحميض..

ربما يقوم بطبع الصور وتسليمها مع الميكروفيلم.. خوفًا من تلف الميكروفيلم قبل ان يصل إلينا..

هيا.. لا تضيعوا وقتًا اكثر من ذلك.. تعالوا ندرس هذه الصور جيدًا وحتى ان كانت غير واضحة.. ونكتب تقريرًا عن المعلومات التي جاءت بها ونرسل نسخة منه الى القيادة العسكرية..

«ربما يكن لديهم رأى في كيفية الاستفادة من تلك المعلومات..

اما عن الســـادات اذا كان ســـيحارب ام لا.. فعلينا العمل على أسوأ الفروض، أن السادات اتخذ قراره بالحرب وعلينا الاستعداد جيدًا ونقوم بدورنا بجمع المعلومات وتحليلها وارســـال ما لدينا

الى قادة الجيش.. هم من سيحددون درجة الاستعداد او ان الأمر نزهة بالنســبة لهم إذا أقروا أن مصر لــن تحارب على الأقل في السنوات القليلة القادمة..

عاد «حاييم» لمقابلة «شكرى» بعد الإنتهاء من طعام الغداء..

وصحبه الى قاعة مخصصــة للتدريب على التصوير وطريقة تحميض وطبع الصور..

ثم قام بتسليمه الى احد المتخصصين للعمل علي تدريبه ومعه الكاميرا الجديدة.. الحديثة للغاية.. مع التشــديد عليه على أهمية تلك الكاميرا وانه لا يوجد مثلها بالعالم كله إلا أربع نســخ فقط، اثنتان مع إســرائيل ومثلهما داخل جهازات المخابرات المركزية في واشنطن..

تحرك الحفار مرة أخرى من ميناء «داكارا» بالســنغال متخذًا طريقه من امام سواحل غرب افريقيا بالأطلنطى.. وكان مجموعة العمل المصرية وعددًا من الضفادع البشــرية تستعد للنزول في مياه مينــاء «داكارا».. إلا أنهم تراجعوا بعدما شــاهدوا مغادرة الحفار وكان اكثر الناس ســعادة هو الضابط قائد المجموعة.. حيث لم يكن يتمنى تفجير الحفار بميناء «داكارا» حيث انه قريب جــدًا من قاعدة بحرية تابعة للبحرية الفرنســية.. وبالطبع فإن الأمر ســيكون في غاية الخطورة والحرج.. وربما تتحرك القوات في القاعدة البحرية الفرنسية لملاحقة من قام بالتفجير.. لذا فقد

تنفس الصعداء من مشاهدة الحفار يغادر ميناء «داكارا» وأعطى أوامره للمجموعة للإســـتعداد للعودة الى مصر الى ان تصدر لهم تعليمات جديدة..

في هذه الأثناء.. يراقب «نديـــم» الموقف في ميناء ابيدجان.. وقد علم ان هناك حركة غير عادية في المدينة.. علم بعد السؤال.. ان هناك استعدادات أمنية مكثفة لإستقبال بعثة الفضاء الامريكية حيث من المقـــرر زيارتها الى ابيدجان في هذه الأيام.. أرســـل برقيـــة الى المخابرات المصرية يخبرهـــم فيها بذلك وهو يعتقد ان هذه الترتيبات الأمنية المشددة وانتشار رجال الأمن الامريكى ســـوف يكون عائقًا في تنفيذ العملية حال وصول الحفار لميناء «أبيدجان»..

لكـــن الضابط قائد المجموعة كان لــــه راى آخر.. انها فرصة ممتازة بإنشـــغال عناصر الأمن المحلية التابعة لســـاحل العاج بمساعدة رجال الأمن الامريكى في تأمين وصول وتحركات بعثة رجال الفضاء..

وهذا سيعطى لهم فرصة جيدة للتحرك.. وتنفيذ المطلوب دون الإصطدام بعدد كبير من رجال الأمن والشرطة..

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

قامت الهانم بالاتفاق مع أخصائى علاج طبيعى.. لمباشـــرة العمل مع «إيفا»..

وفى إحدى المرات.. ذهبت الست «عليه» لإحضار الزيت الذى اشـــتراه «نديم» من الســـيدة العجوز في جزيرة «أزوريس» في ميناء بونتا ديلجادا..لوضع بضع قطرات منه في عصير الطماطم الطازج،

لم تجد قـــارورة الزيت.. بحثت عنها فـــي كل مكان.. وقامت بسؤال الباشا والهانم إذا كان أحدهما قد رآها..

وعندما ســـألت «فايزة» ابنتها لاحظـــت ارتباكها وهى تجيب بالنفى..

فايزة : «لم اراها.. طبعًا لم اراها.. مالى أنا وزجاجة قارورة بها بعض الخزعبلات من سيدة عجوز نصابة..»

لم تشعر «علية» بالإرتياح لإجابة فايزة.. وحدث بينهما شجارًا تعالت معها أصوات مرتفعة حضر على اثرها الباشا والهانم الى الحجرة التي تجمع «علية و فايزة»..

وانتهى الأمر ان قالت الهانم.. موجهة كلامها الى «فايزة»..

..اذا لا تعلمين عن القارورة شـــيئًا كما تقولين.. دعينا نفتش خزانة ملابسك....

غضبت «فايزة» وهى تبكى بشدة وارتفع نحيبها.. ووقفت أمام الخزانة الخشبية القديمة.. وهى تضع يديها منعًا لفتحها..

تقدمت منها «علية» وســـحبتها بعيدًا وقامـــت بفتح الخزانة وأشارت الى الهانم لكى تتقدم وتبحث بداخلها.. ولم تمضى اقل من دقيقة حتى عثرت الهانم على القارورة..

نظرت الى الباشا ثم نظرت الى «فايزة» بكل غضب..

غادرت هي والباشـــا الغرفة وهى تقول لـــ»فايزة»: «حسابك معايا بعدين»..

وقبل ان يغادرا.. انهالت يد «عليـــة» على وجه فايزة بصفعة قوية.. صرخت «فايزة من شدة الألم..

انهارت من البـــكاء وهى تصرخ.... حرام عليكـــم.. انا دائمًا الوحشـــة.. أنا دائمًا.. الجانية.. مع اننى فـــي الحقيقة المجنى عليها.. الكل يحـــب «إيفا».. الكل يتحدث عن جمال وبراءة «إيفا» وهى قعيدة على كرســـى متحرك.. وأنا..!!.. أنا..!! ماذا عنى انا.. لا يلتفت لى أحد وكأننى غير موجودة.. الكراســـى والطاولات لهم أهمية اكثر منى.. منـــذ صغرى وانا ارتدى ملابس «إيفا» القديمة والعب بعرائسها التي ملت وضجرت منهم..

الكل يلاطفها ويداعبها.. وأنا فقط اتلقى الأوامر..

حتى «نديم» الطفل الذى كنـــت أرى فيه فتى احلامى.. عندما شب وصار رجلًا.. لم يهتم بأحد إلا «إيفا»..

ثم انهارت في البكاء..

سمعت الهانم والباشا كل كلمة صدرت من قلب وصدر «فايزة» الذى يحترق غيرة من «إيفـــا».. مما زاد من خوفهما على ابنتهما المســـكينة والتي يحاول معها مدرب اللياقة كل جهده كى تسير بضعة خطوات...

ويبدو ان المهمة قد تنجح.. إذ قطـــع صمتهما مدرب اللياقة وهو يركـــض ناحيتهما ويزف اليهما خبر ان «إيفا» اســـتطاعت الوقوف بمفردها..

يالها من فرحة غطت على كل مشـــاعر الحقد والكراهية التي القت بها «فايزة» في اركان المكان...

انهالا بالقبلات على «إيفا» التي قالت : «فين «نديم» يشـــوفنى وانا واقفة»..

انهى «شـــكرى» فترة تدريبه على الكاميرا الجديدة والحديثة للغاية..

كما ابدى براعة مذهلة في سرعة التحميض والطبع مع الجودة العالية في اظهار الصور وايضًا في اســـتخدام الكاميرا دون ان يلحظه احد..

إذ يســـتطيع التصوير وهو يسير في الطريق او حتى جالس على كرسى في مقهى بلدى...

كانـــت النتائـــج رائعـــة ونقل هذا مـــن قـــام بتدريبه الى الضابطان..»حاييم جدعون» و «شـــاؤول بن عامي» الذى أبدى غضبه واصر على عدم موافقته لهذا التدريب وإعطاء الكاميرا الى «شكرى» متعللًا انه مازال لا يشعر ناحيته بالارتياح.. وانه متأكد ان المخابرات المصرية بالتأكيد وراءه..

وانه يخدعهم ببراءته هذه وسذاجته التي يظهرها لهم..

رد عليه «حاييم» بأن الأمر خرج من يديهم وان القيادة.. قيادة الموساد قد وافقت على تدريبه واعطاءه الكاميرا.. انهم هناك في «تل أبيب»..

يعرفون اكثر ولم يكن لهم لإعطاءه مثل تلك الكاميرا الا بعد ان اطمأنوا لكل حركاته وانـــه مخلص لهم ويظهر الولاء لهم.. وذلك من خلال صور الدبابات التي قام بتصويرها في طريق السويس وهى متجهة الى ناحية الضفة الغربية للقناة..

برم «شاؤول» شفتاه مستسلمًا لما ســـمعه وهز رأسه معلنًا رفضه..

استطاع «بهاء إســـماعيل» ورفاقه سماع مايدور داخل مكتب «أبو جميل» أو «يوسى كاتسير».. وخاصةً كل حوار تم مع «إميليا» بفضل الميكروفون الذى زرعته «لاريسا» عندما زارته..

كانت هناك معلومات على جانب كبير من الأهمية.. وقد ازالت العديد من علامات الاستفهام لدى رجال المخابرات المصرية..

قدمت «إميليا» تقريرًا شـــفهيًا وآخـــر مكتوبًا إلى «بافو» عن شـــكها في تجنيد بعض العملاء الجدد مـــن المصريين.. بعدها سألها «بافو» عن «لاريسا» لم تلتق بها منذ فترة.. وتركت الأمر له..

فإذا به يطلب منها ان تعاود الاتصال بها والتقرب اليها.. فهو لا يرتاح الى سلوكها في هذه الأيام.. ولا مانع من ان تقوم بزيارتها من الفندق.. والحديث معها في كل شيء واى شيء لربما نستطيع

ان نفهم ما يدور حولها هذه الأيام واذا صحت شـــكوكى فسوف نضعها تحت المراقبة على الفور..

سمع «بهاء إسماعيل» ذلك الحديث.. والذى أعطاه الفرصة في الحذر من لقاءه بـــ«لاريسا» وعليه التريث بعض الشيء خوفًا من كشف أمره وأمرها..

تحركت الضفادع البشرية من القاهرة متجهة الى ساحل العاج عبر باريس..

فور تلقيها الأوامر.. فقد ظهر الحفار في ميناء ابيدجان.. وعلى رأسهم برقية «نديم» الذى شاهد الحفار بنفسه..

كان الســـفير المصرى فـــي ابيدجان.. في اســـتقبال رجال الضفادع البشرية المصرية..

واصطحبهم على الفور مع قائد المجموعة الى منزله.. وهناك تمت كل الترتيبات..

والانتظار لهطول الليل للتحرك الى الميناء حيث الحفار قابع.. والأضـــواء المثبتة على الحفار والقاطـــرة تضيء المكان وكذلك تواجد بعض افراد الأمن التابعين للموســـاد الاسرائيلى على متن الحفار والقاطرة..

قام قائد المجموعة بالتعرف على عروســـان حديثى الزواج.. وصمم على الاحتفال بهما.. قام بشـــراء بعض الألعاب النارية.. واطلقها في الهـــواء.. أحدثت صوتًا وضـــوءًا كثيفًا.. نزل رجال

البحرية.. الضفادع البشرية الى المياه حاملين معهم المتفجرات.. والالغام..

هرع رجال الحراســـة التابعين للموســـاد في زورق مطاطى الى الشـــاطئ للتحقق مما يحدث على الرصيف.. وجدا عروسان وبعض الاحتفالات المصاحبة للألعاب النارية.. وكانت المســـافة من الرصيف الى مكان الحفار هي كيلو متر واحد..

وبعد مرور حوالى الساعة.. ظهر الثلاثة رجال عائدين بسلام..

حيـــث كان قائد المجموعة في انتظارهم.. والذى اســـتقبلهم ســـريعًا وصحبهم الى بيت الســـفير مرة أخرى.. وقاموا بتبديل ملابسهم بعد ان اتموا المهمة بنجاح وثبتوا الألغام في ثلاثة أعمدة من أعمدة الحفار وقاموا بضبط وقت الانفجار ليكن بعد ساعتين..

.. غادروا بيت الســـفير متجهين الى مطـــار «ابيدجان» وقبل الوصول الـــى المطار.. اهتزت العاصمـــة «ابيدجان» على ثلاثة انفجارات في الحفار..

.. والذى مال على احد جوانبه وغطس جزء كبير منه في مياه الأطلنطى.. بينما السعادة والفرحة عمت قلوب الثلاثة ابطال من رجال البحرية المصرية وكذلك القائد الذى كان يتابع المشـــهد عبر شرفة غرفته بالفندق.. وكذلك «نديم» الذى رقص قلبه فرحًا لسماع انفجارات الحفار..

تمنـــى وقتها لو كانت «إيفا» معه ليحكـــى لها عن قصة ذلك الحفار اللعين واستعادة مصر لكرامتها بتفجيره وحرمان إسرائيل المحتلة من التنقيب عن بترولنا داخل مياهنا الإقليمية.

إتخذ «شكرى» طريقه عائدًا بمســـاعدة أحد عناصر الموساد الإسرائيلي..

وبصحبته أحدث وأعلى كاميرا فـــي العالم.. فقد كان رافضًا حمل الكاميرا معه خوفًا من ضياعها أو تعطلها.. فهى مســـؤلية كبيرة.. لكن أمام إلحاح «حاييم جدعون» رضخ في النهاية.. لكنه لم يتنازل عن شرط الحصول على رزمة من الدولارات قبل أن يبدأ التحرك في طريق العودة..

وبعد ان وصل لبداية الضفة الغربية.. تركه عنصر الموســـاد وعاد الى الضفة الشرقية.. حيث قواعد الاحتلال الإسرائيلي.. اتخذ «شـــكرى» طريقة.. وشعر انه مراقب.. بالطبع لابد أن «حاييم بن جدعون» قد ارسل من يراقبه وكلفه بمهمة تتبعه في كل مكان..

تصرف «شكرى» بشـــكل طبيعى للغاية.. كأى إنسان مرهق ومتعب من السفر عبر صحراء ســـيناء ثم عبور القناة في زورق مطاطى صغير.. الى ان وصل الى مدينة الســـويس.. توجه الى منزله المتواضع للغاية كى يخلد الى الراحة والنوم..

ما ان دخل الى البيت وجد الصول «عبد العاطى» في انتظاره..

الصول «عبد العاطى» هو شـــخص من مجندى الجيش الثالث وهو كثير الشبه بـــ«شكرى» يشبهه لدرجة لا يمكن تخيلها وكأنه توأم أو «فوله واتقسمت نصفين» كما يقولون..

تم ذلك بتخطيط من ضباط المخابرات الحربية.. الذين كانوا يعلمون ان شكرى سيكون مراقب للتأكد من ولائه الى إسرائيل..

ما ان دخل شـــكرى البيت.. بدل ملابسه وأعطاها الى الصول «عبد العاطى» الذى ارتدى ملابس شكرى.. وارتدى شكرى بذلته العسكرية..

وبعد مرور بعض الوقت خرج الصول «عبد العاطى» على أنه «شكرى»..

وبالطبع تابعه من هو مكلف بمراقبته.. تجول «عبد العاطى» في سوق المدينة واشـــترى بعض الطعام.. وقضى بعض الوقت في المقهى.. ثم عاد الى بيت «شكرى»..

.. وبالطبع بعد خروخ «عبـــد العاطى» ببعض الوقت.. خرج «شـــكرى» في بذلته العســـكرية ومعه حقيبة واتجه الى مبنى المخابرات الحربية..

قص على الضباط هناك ما حدث بالتفصيل وذلك في وجود أحد رجال المخابرات العامة المصرية.. وسلم اليهم الكاميرا الحديثة..

تناولوا الطعام سويًا.. وبعدها بدأ الترتيب للمرحلة القادمة وما سيقوم به «شكرى» وماذا سيقوم بتصويره بتلك الكاميرا الحديثة والتي كانت كنز بالنسبة لرجال المخابرات المصرية وفرحوا بها

للغاية.. الآن توجد كاميرتـــان لدى الولايات المتحدة وكاميرا لدى إسرائيل وكاميرا لدى مصر..هؤلاء هم الأربع نسخ في العالم..

ولم تمض أكثر من أربعة وعشرون ساعة حتى تم وضع خطة للقبض على كل عملاء وجواسيس إســـرائيل.. وبالفعل تم إلقاء القبض على جميع العناصر....

الى آخر عنصر كان يراقب «شكرى»... وبالطبع كان بحوزتهم مجموعة من الأحبار الســـرية والمظهرات وكتب الشفرة وأجهزة الإرسال والإستقبال ومبالغ لا بأس بها من الدولارات..

وهنا أتى دور استعمال الكاميرا الحديثة.. حيث قاموا بتصوير عناصر الشبكة كاملة مع جميع المضبوطات..

وقام «شكرى» حسب الموعد المتفق عليه بإرسال الصور إلى الجانب الإسرائيلي الذى كان في إنتظار الرسالة..

وما ان قاموا بالتعامل مع الرســـالة وفكها وطبع الصور التي جاءت بها.. والتي تعمل عبر الأقمار الصناعية..

تم تحميض وطبع الصور.. ليسود الصمت في حجرة اجتماع رجال الموساد «حاييم جدعون» و «شـــاؤول بن عامي» ومعهم مدير المخابرات..

.. الصور بها عملاءهم وجواسيسهم الذين انفقوا عليهم الأموال الطائلة واستغرقوا السنوات في زرعهم وتدريبهم..

الآن هـــم وأجهزتهم والكاميـــرا الحديثة فـــي قبضة رجال المخابرات المصرية..

أنهالـــت المكالمات الهاتفية في جميع أرجاء مبنى الموســـاد الإسرائيلي وسط صرخات أجراس الهواتف.. كان البكاء والنحيب يعزف ألحانًا وصلت أصداءها إلـــى رجال المخابرات المصرية.. عندما يبكى الرجال.. نعم الخسارة ثقيلة.. فادحة جعلت «جولدا مائير» رئيسة وزراء إسرائيل تكيل السباب والتوبيخ إلى «موشى ديان» وزيـــر الدفاع.. والذى بدوره قـــام بصب جم غضبه على مساعديه وأقال مدير المخابرات العسكرية وكذلك تم اقالة رئيس جهاز الموساد..

ولم تمر إلا ساعات قليلة.. حتى أتاهم نبأ تدمير حفارهم.. اداة إزلال القيادة المصرية.. نعم قام المصريون بتدمير الحفار الذى تجره قاطرة هولندية في ميناء ابيدجان.. النيران تشتعل به وقد مال على جانبه داخل مياه الأطلنطى..

الكوارث لا تأتى فُرادا.. من خبر سىء إلى الآخر.. ومن صراخ إلى عويل الى نحيب.. الى إقالات واســـتقالات وقد وصلت الى حد الإنتحار..

فقد أطلق أثنان من قادة الموســـاد الرصاص على رأسيهما.. الإنتحار والموت أشرف وأهون مما شاهدوه في الثلاثة أيام الأخيرة علي ايدي رجال المخابرات المصرية.. ســـقوط جميع شـــبكات التجســـس بكل معداتها وأجهزتها.. خداع «شـــكرى» والكاميرا الحديثة الآن بحـــوزة المصريين الى الحفـــار المنتظر قدومه.. وتفجيره قبل أن يصل إلى البحر الأحمر..

الثامن من مارس عام 1970.. أســـود يوم في حياة إسرائيل.. تدمير الحفار... وسقوط جميع العملاء..

عقـــدت القيادة في الموســـاد الإســـرائيلي بحضور عناصر المخابرات العسكرية وكذلك مســـاعد وزير الدفاع الإسرائيلي.. عدة إجتماعات.. خلصوا منها بضرورة الرد على ما حدث وتوجيه ضربة عاجلة وقاسمة للمخابرات العامة المصرية..

وبعد ســـماع العديد من الآراء والإقتراحات.. استحسن الجميع إقتراحًا شـــيطانيًا قدمه أحد القادة في الاجتماع.. وهو الإستعانة بالضابط السابق بالجيش ورجل المخابرات حاليًا المتواجد بأثينا باليونان..»يوسى كاتسير» المعروف عنه شدة العنف والشراسة وكذلك كم الكـــره الذى يحمله للمصرييـــن بالإضافة إلى إيمانه بالقضية وحقوق دولة إسرائيل وشعب إسرائيل المختار كما رباه أباه الحاخام..

وأضاف الضابط..»اقترح بسفر «يوسى كاتسير» الى القاهرة والقيـــام بتفجير أهم المعالم الســـياحية بالقاهـــرة.. المتحف المصرى بالتحرير.. ســـوف تكون بمثابـــة ضربة قاصمة وفيها الـــرد الكافى على كل ما أصابنا من إخفاقات.. وربما نســـتطيع أن نتبعها بضربات أخرى.. ونرى الحســـرة والخيبة على وجوه رجال المخابرات المصرية.. تخيلوا معي، دخول ضابط مخابرات إســـرائيلى عبر مطار القاهرة دون علمهم.. ووضع قنبلة داخل المتحف.. ثم يعود عبر مطار القاهرة وهم نائمون..

استحسن كل إبليس حاضر للإجتماع الفكرة وتعالت أصواتهم الشـــيطانية بالموافقة على الفكرة.. وتشكيل فريق عمل للإتصال بـــ»يوسى كاتسير» ووضع الخطة المناسبة لتنفيذ المهمة بكل دقة وإتقان.

* * * * * * *

بعد إنتظار لثلاث ساعات.. أخيرًا خرجت «كاميليا» من الجامعة لتجد أمامها «بافو» أو «يوسى كاتسير».. ليطلب إليها إصطحابها لتناول طعام الغداء..

اعتذرت لأحساسها ببعض الأرهاق..

ألح في طلبه.. وكأنه يســـتعجل موته.. هكذا فكرة «كاميليا» وصوت داخل عقلها يناديها.. أنها الفرصة الســـانحة لوضع السُم في طعامه.. ربما يكون اليوم آخر أيام ترى فيه وجهه الكريه..

وافقت على مضض..

طلب كل منهما طعامه.. وقبل أن يهم «بافو» بتناول أول قطعة لحم.. جـــاءه النادل ليخبره أنه مطلوب عبـــر الهاتف.. «اتصال تليفونى لك سيدى»..

وضع «بافو» شـــوكة الطعام ونهض وهو ناقم على من حرمه من تنـــاول اول قطعة لحم.. إنها.. «إميليا» على الخط تخبره بأن الدنيا مقلوبة في تل أبيب.. ومطلوب منه التوجه إلى المطار فورًا دون حقائب للسفر إلى تل أبيب للأهمية..

استمع «بهاء إسماعيل» لصوت «إميليا» تتحدث في الهاتف من المكتب.. وماطلبته من «يوســـى كاتسير» عبر الميكروفون الذى ثبتته «لاريسا» من قبل في مكتب «بافو»..

وفى أثناء المكالمة.. أخرجت «كاميليا» زجاجة السُم ووضعت بعض الحبيبات فوق قطعة اللحـــم الخاصة بطبق «بافو».. انها الفرصة السانحة.. جاءت هذه المكالمة في صالح خطتها..

تظاهرت بتناول طعامها وعيناها مثبتتان ناحية كابينة الهاتف حيث أنهى «بافو» المكالمة واتجه مسرعًا ناحية الباب.. وهو يشير إلى «كاميليا» ما معناه «لابد أن أغادر فورًا»..

انها النجاة من الموت للمرة الثانية بعد نجاته من فنجان القهوة المسموم..

أخذت قارورة الملح الصغيرة الموضوعة على الطاولة وفتحتها واســـكبت الملح كاملًا فوق قطعة لحم «بافو» وكذلك اســـكبت قارورة الفلفل الأســـود كاملًا فوق اللحم خوفًا من أن يأكلها أحد فيموت أو تأكلها قطة أو كلب..

الموت لا يســـتحق إلا لكل قاتل جبان.. لا يستحقه إلا الخنزير «يوسى كاتسير»..

نهضت بعد أن دفعت الحســـاب.. وداخلهـــا هواجس وأفكار متلاحقة.. مالها أصبحت تعشـــق القتل.. تتمنى قتل «يوســـى كاتسير» وتنتظر موته..

هل صارت مجرمة.. أم أنه حق مشـــروع للإنتقام للأب والأم والخال..

عقد «صبرى عبد الهادى» و «بهاء إسماعيل» اجتماع.. لمناقشة توابع سفر «يوسى كاتسير» العاجل وبهذة الطريقة.. من المطعم إلى المطار ثم إلى تل أبيب وكذلك محاولة «كاميليا» الثانية بوضع السُم في طعامه بعد القهوة..

فقد كانت عيونهم تراقب وتلتقط للصور في كل مقابلة تجمع «كاميليا» مع «بافو»..

قاموا بوضع تقرير مفصل وأرســـلوه إلـــى القاهرة الي مبنى جهاز المخابرات العامة مصحوبًا بالصور والتسجيلات الصوتية لكل ما دار داخل مكتب «يوسى كاتسير».

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

في مقعد الطائرة المجاور للنافذة.. يجلس «نديم» مبتسمًا في رحلته العائدة من ابيدجان إلى القاهرة.. ينظر عبر النافذة ليشاهد ميناء ابيدجان بالكامل ويظهر وسطه بوضوح الحفار المحترق.. يسترجع معه شريط كل ما حدث منذ أن غادر مع الباشا وأسرته إلى جـــزر البرتغال.. حتى وصوله إلى ابيدجان وســـماعه أجمل الأصوات،.. أصوات انفجار حفار العار الذى قهر إسرائيل التي لا تقهر..

عاد «نديم» عدة أيام إلى الوراء.. لتشـــغل عقله صورة «إيفا» وهى تحاول تأدية التدريبات بكل همة وعزم والحرص على تناول زيت السيدة العجوز في كوب عصير الطماطم.

تذكر أيضًا وقوف «فايزة» بالشرفة وهى تستشيط غضبًا.. مما ألقى الخوف في قلبه من حقد وغيرة «فايزة»..

ما أن هبطت الطائرة إلى أرض المطار.. مطار القاهرة.. حتى توجه «نديم» إلى مبنى جهاز المخابرات العامة.. لتقديم تقريره وتلقى التعليمات المطلوبة في المرحلة القادمة..

.. وعند خروجه من مبنى المطار التف حوله بعضًا من سائقى التاكســـى ظنًا منهم أنه أجنبى ويحمل العملة الصعبة... الى ان تحدث اليهم بالعربية.. حتى ظهر الغضب على وجوههم وأنفضوا من حوله.. مصري بملامح أوروبية.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁ ❁

امتد اجتماع «يوسى كاتسير» مع قيادات الموساد الإسرائيلى لفترة طويلة تم فيها وضع كل تفاصيل خطة رحلته إلى القاهرة.. مع اصطحابه لأحد العناصر الغير معروفة للمخابرات المصرية.. فاختار ان تكون «كاميليا» في صحبته لهذة الرحلة..

عاد بعدها على الفور الى أثينـــا.. وبعد أن أخذ بعض الوقت للراحة ظهر أمام «كاميليا» مرة أخرى يقدم الإعتذارات والتوسلات كى تسامحه على مغادرته المطعم بهذة الطريقة معللًا ذلك أنها كانت تصب في مصلحتها..

«كاميليا» : «مصلحتى!!.. كيف هذا تتركنى في المطعم وتغادر بهذة الطريقة وتدعى انك تعمل لصالحى.»

«بافو» : «تعالى نشرب كوبًا من العصير في ذلك المقهى وأنا أشرح لك كل شـــيء.. لقد تلقيت مكالمة من صديق لى صاحب شركة ســـياحة.. قد وعدنى ســـابقًا أن يمنحنى تذكرة مجانية لى وشخص آخر معى.. إما إلى إســـطنبول أو القاهرة.. أو بالى بإندونيسيا..

وطلب منى فـــي المكالمة الحضور فـــورًا لأن هناك من يريد الحصول على هذه التذكـــرة المجانية غيرى.. وبالفعل قابلته في الشركة.. شركة السياحة.. وأخترت أن تكون وجهتى الي القاهرة.. كرحلة ســـياحة و عمل وأيضًا فكرت أن تكون التذكرة الثانية من نصيبك كى تزورين أســـرتك.. وكنت أعلم أن هذا الأمر سيفرحك للغاية..»

لم تعلم «كاميليا» ما ترد به.. هل هو صادق وإن هذا ما حدث أم أنه شـــغل وخطط رجل مخابرات وأن في الأمر شـــيئًا ما غير نظيف..

أبدت سعادتها بالعرض.. وسألته.. متى السفر..

«بافو» : بعد بكره.. بعد ثمانية وأربعين ساعة نكون في مطار أثينا متجهين إلى القاهرة.. وسوف اصطحب معى عينات لأدوات الصيد لعرضها على شركة المصايد بالإسكندرية في الوقت الذى تزورين فيه أسرتك..»

«كاميليـــا» : «بعد يومين؟! وقت غيـــر كاف بالمرة.. أريد أن أشترى العديد من الأغراض..»

«بافو» : «أغراض مثل ماذا.. ملابس.. يمكن شـــراؤها غدًا وأنا أعرف محل ملابس موديلاته رائعة وأســـعاره رخيصة وصاحبه صديقى..

«كاميليا» : «ليس هذا فقط.. حقيبة سفرى مكسورة أريد شراء حقيبة جديدة..»

«بافو» : «لا عليك.. سأعطيك أنا حقيبة ممتازة هدية لك.. سأضع فيها فقط عينات من أدوات الصيد وعلبة شيكولاتة هدية لصاحب الشركة بالإسكندرية.. وبقية مساحة الشنطة لكِ.. تضعين فيها ما تشائين»..

لم تجد «كاميليا» ما تقوله.. وأجابت بـــ»نعم» لكن الســـؤال الأخير.. متى موعد العودة كى أرتب مع إدارة الجامعة..

«بافو» : بعد أربعة أيام فقط»..

****

غادر «نديم» مبنى جهـــاز المخابرات العامة المصرية متجهًا إلى محطة قطارات رمسيس وهو في حيرة من أمره.. أيتجه إلى رصيف قطارات بور ســـعيد.. كى يزور عم حجازى.. فقد مضت فترة طويلة للغاية منذ تطوعه فـــي الجيش وذهابه إلى المنطقة الشمالية العســـكرية لحضور فرقة تدريب للرصد والإستطلاع.. ثـــم التحاقه بالعمل لدى المخابرات العامة.. إلى الآن لم يزره مرة

واحدة ولم يدخل حجرته التي لابد وإعتلاها العنكبوت وأنجب فيها عناكب صغيرة..

أم يتجه إلى رصيف قطارات الإسكندرية للإطمئنان على الباشا وأسرته.. وخاصَّة «إيفا».. وهل حدث أى تقدم في علاجها..

قلبه جذبه وألقى به داخل قطار الإســـكندرية.. ومنها إلى فيلا العجمى..

وقبل أن يضع «نديم» إصبعه على جرس باب الفيلا الخارجي..

وجد البـــاب يفتح.. وتقف خلفهُ «إيفا».. نعم إنها «إيفا» واقفة على عكازين وليس هناك أي أثر للكرسى المتحرك ولا من الست «علية» خلف الكرسى..

إنها «إيفا» واقفة.. ممشـــوقة القوام.. طويلة.. جميلة بشـــعر أشـــقر ناعم وعينان زرقاوان مثل أبيها الباشا.. لم يشعر بجمالها قط عندما كانت جالســـة على الكرسى المتحرك.. الآن هي واقفة حتى ولو كانت تســـتعين بعكازين.. لكنها تحرك قدماها وتدب برجلها على الأرض..

لم يشـــعر إلا وهو يحتضنها بين زراعيه وقد تركت له نفسها ووضعت رأســـها على صدره ودموعها تنهمر في صمت.. تأخذ نفسًـــا عميقًا داخل صدرهُ وكأنها تشُـــم رائحة ضلوعه القوية وتنهدت وهى تشعر بالأمان أخيرًا..

انه من له الفضل في علاجها.. ووقوفها على قدميها..

الباشـــا يقف خلف النافذة من الطابق الأعلـــى.. ولم يتمالك نفســـه من البكاء وهو يرى فرحة ابنته حتى ولو كانت في حضن «نديم».. أحيانًا البراءة يمكن أن تصل الى أبعد الحدود حتى ولو كان الإرتماء في حضن غريب.

أعطى «بافو» حقيبة سفر فاخرة ومميزةلكاميليا وبها بعض العلب التـــي تحتوى على عينات أدوات الصيـــد ولكن كان أيضًا بجوار العينات داخل العلب.. أصابع المتفجرات.. وكان بالحقيبة أيضًا علبة معدنية من نوع فاخر من الشيكولاتة أخبرها أنها هدية لصاحب الشـــركة بالإسكندرية.. ســـيقدمها له عند توقيع عقود الصفقة.

وصلت تعليمـــات رجال المخابرات المصرية إلى «صبرى عبد الهادى» و «بهاء إسماعيل»..

بما أنه تم إســـتدعاء «يوسى كاتســـير» بهذة الطريقة وهذة الســـرعة.. إذًا لابد وأن يكون في الأمر شـــيء جلـــل.. لابد أنهم يحضرون لشيء ما خطير.. ربما تكون ضربة من جانب الصهاينة للرد على عملية الحفار..

فالمطلوب هو مراقبة تحركات «يوســـى كاتسير» و «إميليا» مراقبة دقيقة وبحذر وموافتنا بالجديد يوم بيوم أو ساعة وساعة إذا لزم الأمر..

وبالفعل كانت العيون وراء «يوســـى كاتسير» وهو متجه إلى مطار «أثينا» بصحبة «كاميليا»..

.. حتى عندما وصل القاهرة.. كانت التعليمات أن يتركوه يمر عبر المطار كأى ســـائح عادى دون التعرض له و منحه تأشيرة وختم الدخول أيًا كانت الجنسية التي يتخفى وراءها..

خرجا من المطار سويًا.. «بافو» و «كاميليا» وتوجها إلى أحد الفنادق بوســـط القاهرة.. هكذا كان طلب «بافو» من «كاميليا» بقضاء يومـــان بالقاهرة لزيـــارة المعالم الســـياحية ويومان بالإســـكندرية.. تتوجه هي لزيارة أسرتها ويتوجه هو إلى شركة تجـــارة أدوات الصيد كى يتمم صفقة أدوات الصيد والتوقيع على العقود.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

قضى «نديم» وقتًا ممتعًا.. مع الباشـــا وأسرته.. تحسنت فيها حالة «إيفا» كثيرًا مع ارتفاع روحها المعنوية واستطاعت بمساعدة «نديم» في السير دون عكاز وهى ممسكة يده..

أســـتأذنهم «نديم» في السفر إلى بور ســـعيد ومنها إلى بور توفيق لزيارة «عم حجازى» والأطمئنان عليه..

كانت فرحة طاغية لـــ»حجازى» برؤية «نديم» رغم عدم علمه بطبيعة عمله إلا أنه كان متأكدًا أنه يبلى بلاءًا حســـنًا في صفوف الجيش المصرى.. أيًا كان موقعه..

صعد بعدها «نديم» إلى حجرته فوق سطح البناية..

فتح الباب.. ولم يكن هناك عنكبوتًـــا واحد كما توقع.. كانت نظيفة وكأنه قد تركها بالأمس القريب..

وعلى الطاولة الصغيرة وســـط الحجرة.. وجد «نديم» خطاب «كاميليا».. أخته..

فتحه قرأ ما فيه وعيناه تغرورقان بالدمع..

مسح وجهه بذراعه.. وقرأ الخطاب ثانيًا..

أنها «كاميليا» أختى.. أنها بخير.. خطها رائع وأسلوب الكتابة وصياغتها ينُم عن مستوى تعليم جيد للغاية.. أحمدك ياربى..

وفى نهاية الخطاب عنوان المنزل بحى العطارين بالإسكندرية..

هرع خارجًا.. إلى أقرب تاكســـى يقلـــه إلى محطة القطارات المتجه إلى الإســـكندرية رغم أنه توه قادم من الإسكندرية بعد أن غادر فيلا العجمى..

الآن هو عائدًا إلى الإسكندرية إلى أخته الحبيبة «كاميليا»..

يبدو أن الإسكندرية هي كلمة السر في لقاء الأحباب..

كم أُحب هذه المدينة وأريد أن أقضى بقية حياتى فيها..

وصل إلى الإسكندرية عند غروب الشمس.. توجه إلى العنوان الذى في الخطاب..

.. صعد الدرج.. وتردد في ضغط جرس الباب.. فقد كان قلبه يدق بشدة..

انها لحظــات قليلة وتفتح لــه «كاميليا» أختــه الباب.. هل ستعرفه.. وهل سيعرفها.. وماذا سيقول أو يفعل.. يشعر أنه طفل صغير يبحث عن أمه..

ضغط جرس الباب.. ســمع أصوات خطوات قادمة من خلف الباب..

فُتح الباب.. وقف «نديم» واجمًــا وهو ينظر للحظات قبل أن يستطيع النطق..

.. سيادة العقيد «فكرى الصباغ» !!!

غادر «نديم» منزل «كاميليا» ومنزل العقيد / «فكرى الصباغ» بعد مرور ساعة..

شــاهد صور لــ»كاميليا» بعد أن صارت شابة لكنها نفس الفتاة التي بصحبة «لاريسا» باليونان.. زاد خوفه عليها ولم يطلع العقيد/»فكرى» على الموقف الذى تواجهه «كاميليا» ومحاولات «يوسى كاتســير» ضابط المخابرات الإســرائيلي من تجنيدها لحساب دولة الاحتلال.. ماهذة اللعبة التي يلعبها القدر..

لقــد كان يجلس في قاعة المحاضـرات ويقوم بالتدريـس له العقيد/»فكــرى» وهو لا يدرى ان أخته تعيش في بيته ويعاملها كإبنة له..

ويشــاهد أخته بصحبة «لاريســا» وبصحبة الخنزير «يوسى كاتســير» وهو أيضًا لا يعلم أنها أخته.. الآن تنفك الطلاسم تباعًا

وتُحل الألغاز.. لكن الصدمة قوية للغاية.. ولابد من التحرك فورًا قبل وقوع الكارثة..

بعد الأتفاق مع القيادة.. أتخذ قراره بالسفر إلى اليونان لإنقاذ « كاميليا»..

وما أن وصل إلى أثينا لم يكن يدرى أن «كاميليا» تقضى ليلتها الأولـــى بالقاهرة.. وكأن القدر يزيد مـــن صعوبة وتعقيد اللعبة ويتعمد حرمانه من اخته..

اجتمع مع «صبـــرى عبد الهادى» و»بهاء إســـماعيل» ليزُف اليهمـــا خبر أنه يعرف الفتاة التي بصحبة «لاريســـا».. وقبل أن ينطق بالمعلومات.. بدأ «صبرى» بقـــراءة التقرير الذى ورد من القاهرة بخصوص الفتاة.. اســـمها «كاميليا» أبو زيد وتعيش في الأســـكندرية في بيت العقيد / «فكرى الصباغ» الذى تبناها هو وزوجته مدام / «إسعاد»..

...... إلى آخر التقرير..

«نديـــم» : «رائع لكن الجديد فوق هـــذا التقرير.. أنها أختى.. نعم.. هي أختى «كاميليا» التي افترقت عنى منذ كنا أطفالًا صغارًا في بور توفيق..

وقص عليهـــم كل ما حدث وخاصًة حادثة يوم ضرب الضابط «خنزير» «يوســـى كاتســـير» ووضعه لـــ»كاميليا» أمام جِنزير الدبابة ثم هدم بيتهم وبداخله الأب والأم والخال..»

«صبرى» : «هنا أنا فهمت لماذا تضع «كاميليا» السُم في قهوة «يوسى كاتسـير» تارة وفى طبق اللحمة تارة أخرى.. تريد قتله والأنتقام لها ولأسرتها..»

«نديم» : «أي سُم.. عما تتحدث..؟!..

أخرج صبرى الصـور وأطلع «نديم» علـى كل ما فاته منذ مغادرتـه اليونان في مهمته التي لم يكـن يعلم عنها أحد وهى مراقبة الحفار..

شعر «نديم» بالفخر من محاولات أخته «كاميليا» لوضع السُم في طعام هذا الخنزير لقتله وإراحة العالم من شروره..

وأثناء تصفحه للصور.. توقف عنـد صورة تكررت أكثر من مرة وفى أكثر من لقاء «يوسى كاتسير» يكتب في قُصاصة ورقية بعض السطور.. ياترى ماذا يكتب ؟!..

ماذا يعنى هذا التصرف.. دار النقاش بين المجموعة حول هذا الأمر.. وخلصوا إلى انه ربما ينسى كثيرًا ويحاول أن يكتب بعض الملاحظات لينقلها إلى دفتر مذكراته فيما بعد..

ولكن هل من ينسى يصلح أن يكون ضابط مخابرات.. انه غير منطقى.. لا..

هذا التفسـير غير صحيح.. إذًا مـاذا يفعل بتلك القُصاصات الورقية.. وأين مذكراته.. فقد فتشـنا بيته مرتين.. مرة بمعرفتك أنت يـا «نديم» ومرة أخرى بمعرفة أحد رجالنا.. وفى المرتان لم

يتم العثور على تلك المذكرات اللعينة.. الآن ما العمل.. ماذا سوف تفعله الآن يا «نديم»..

«نديم» : «لابد وان أعود إلى القاهرة في الصباح لأكون بجوار أختى وأنقذها من هذا المجرم.. أنتم لا تعرفونه كما أعرفه.. فهو بلا ضمير.. بلا أخلاق..»

«صبرى» : «لا تقلـــق على أختك «كاميليا».. زملاؤنا في جهاز المخابرات بالقاهرة قاموا بتحليل شـــــخصيتها وكل ما يتعلق بها حتى اللغة الجسدية..

وبالتأكيد تأكدوا من ســـلامة موقفها.. وسوف يكون هناك من يوفر لها الحماية ويضمن ســـــلامتها.. لا داعى لتدخلك يا «نديم» ربما يفسد كل شيء.. هي مواطنة مصرية ورجالنا سيعملون على البقاء عليها سالمة وفى أمان.. لا تقلق.. ولكن يمكنك أن تسافر

الى القاهرة.. لتكون قريبًا.. لكن لا تتدخل وانتظر حتى ينتهى رجالنا من مهمتهم.. فهم يراقبون ويسمعون كل شيء عن «يوسى كاتســـير» الذى غروره صور له أنه غير مُراقب ومتخفى باســـم مستعار وان السلطات المصرية لا تعلم عنه شيئًا.. دعه غارقًا في أوهامه ومن يضحك أخيرًا يضحك كثيرًا.

****

طرق «بافو» باب غرفـــة «كاميليا» وطلب منها الحصول على عينات أدوات الصيد لمراجعتها قبل السفر للإسكندرية.. وأخبرها أن تستعد للخروج للتنزه في القاهرة..»

.. سألته : «أين سنذهب..؟!..

«بافو» : « أقترح.. زيارة المعالم الســـياحية والتنزه في نهر النيل وتناول الطعام المصرى.. واى شيء آخر يطرأ في رأسنا..»

عاد «بافو» إلى حجرته ومعه أربع علب كرتونية والتي بداخلها عينات الصيد وأيضًا أصابع الديناميت..

أخـــرج أصابع الديناميـــت وربطهما ببعض بشـــريط لحام كهربائى.. وقام بتوصيلهم بعداد تنازلى (تايمر).. ووضعه داخل حقيبة صغيرة ووضع فوقها بعض قطع من الملابس.

عـــاد إلى غرفة «كاميليـــا» وأعاد إليها علـــب أدوات الصيد.. واصطحبها الى الخارج..

بعد أن اعادت «كاميليا» علب عينات أدوات الصيد داخل حقيبة السفر بجوار علبة الشيكولاتة..

انطلقا سويًا عبر ســـيارة أجرة الى ميدان التحرير.. واقترح «بافو» عليها زيارة المتحف.. المتحف المصرى بالتحرير..

«بافو» : «هل زُرت المتحف المصرى بالتحرير من قبل..؟»

«كاميليا» : «لا.. كنت دومًا أتمنى زيارة المتحف لكن دائمًا ما يحدث شيًء ما يعوقنى دون إتمام الزيارة..»

كانت عيـــون المخابرات المصرية تراقبهـــم خطوة بخطوة.. بالإضافة إلى أنه كان على رجال المخابرات ان يكونوا ســـباقين بخطوة.. أي عليهم توقع ماهى الخطوة القادمة لهذا اللعين «يوسى

كاتسير» قبل أن يخطوها ويكونوا على استعداد لهذة الخطوة وفى استقبالها..

وهذا ما حدث بالفعل.. فقد توقع رجال المخابرات أن ما بداخل الحقيبـــة التي يحملها ماهو إلا متفجرات.. لـــذا عليهم إيقافه أو إبطال مفعول المتفجرات قبـــل أن يتهور ويفجرها.. وخاصًة أن القاهرة مدينة مزدحمة للغاية وستكون النتيجة كارثية.. لذا قاموا بتجهيز عدد أفراد من خبراء المفرقعات..

وعندما شاهدا «يوسى كاتســـير» و «كاميليا» متجهان ناحية المتحف.. استعدوا بوضع عناصر من مكافحة المفرقعات داخل المتحف.. مرا خلال بوابة الدخول بعد أن اشترا تذكرتان لدخول المتحف..

تجولا في الطابق الأرضى وإذا بـــ»بافو» يضع الحقيبة التي في يده خلف أحد الثماتيل في المتحف.. دون أن تراه «كاميليا»..

ثم استأذن منها.. انه لابد وأن يغادر المتحف لشعوره بالتعب والجوع الشـــديد وانه لاحظ وجود مطعم علـــى الرصيف الآخر المقابل للمتحف..

وافقته «كاميليا» على الخروج.. وتوجها بعد أن عبرا الشـــارع الى المطعم فـــي الجهة المقابلة للمتحـــف.. مطعم يقدم وجبة الكشرى المصرية الشهيرة..

في هذه الأثناء توجه خبراء المفرقعـــات وأخذوا الحقيبة من خلف التمثال.. وأخذوها جانبًا وبســـرعة وإحترافية قاموا بقص

الأســـلاك الموصلة بين (التايمر) وأصابع الديناميت شـــديدة الأنفجار.. وبذلك تم إبطال مفعول القنبلة..

جلس «بافو» على طاولة بجانب الزجاج ليكشـــف بســـهولة ورؤية واضحة موقـــع المتحف.. كى يســـتمتع بلحظة إنفجار المتحف المصري..

وأثنـــاء تركيز بصره عبر النافذة الكبيرة.. وجد من يســـحب يداه ويشُـــد وثاقهُ وراء ظهره بالأساور الحديدية.. واقتادوا معه «كاميليا» وسط ذهول الجميع في مطعم الكشرى.

لأول مرة منذ ســـنوات تعبر مدام «إسعاد» عن غضبها الشديد من زوجها العقيد / «فكرى الصباغ»..

..... : «كيـــف لك أن تتركنى هكذا نائمـــة وانت تقابل «نديم» في بيتنا.. كان عليك أن توقظنى.. كان نفســـى اشوفه.. أليس هذا «نديم» الذى كنا نبحث عنه في كل مكان.. اليس هذا من كسر قلب إبنتنا «كاميليا» وعندما يظهر تتركنى نائمة وتتركه يغادر دون أن آراه.. لم أكن أتوقع منك هـــذا.. حتى ولو كنت تقصد خير.. أننى أعتبره ابنـــى حتى وان لم اربيه صغيرًا.. لكنه له مكانة في قلبى إكرامًا لأخته.. لإبنتنا «كاميليا»

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

توجه «نديم» من مطار القاهـــرة الى مبنى المخابرات العامة المصرية.. وهناك علم أنه قد تم القبض على «يوســـى كاتسير»

والفتاة التي معه «كاميليا» وهما الآن في طريقهما إلى مكانٍ ما.. لبدء التحقيقات معهما..

توجه «نديم» إلى مكان التحقيق وطلـــب أن يقابل «كاميليا» وبالطبع تفهم زملاءه من رجال المخابرات وقاموا بترتيب لقاء له مع أخته «كاميليا»..

لم يســـتطع «نديم» الجلـــوس.. صار يجـــول الحجرة ذهابًا وإيابًا إلى أن فُتح الباب وظهرت «كاميليا».. لحظات من الصمت جمعتهما.. لم تكن لحظات طويلة..

إذ قطع الصمت إرتماء «كاميليا» في أحضان «نديم» ودموعها تنهمر بشدة.. ارتاح قلبها بعد معاناة.. وجدت أخيها.. من يحمل الهم ويكمل المهمة وهو من ســـيقوم بالإنتقام لها ولأبيها وأمها وخالها..

ارتاح جســـدها بعد شهور وســـنوات من الخوف على فقدان «نديم»

ارتخى جفناها وأغلقت عيناها وراحـــت في إغماءة وهى في أحضان «نديم».

* * * * * * *

اســـتمرت التحقيقات مع «يوسى كاتســـير» الذى قاوم كثيًرا وأنكر كل شيء.. الى أن واجهه رجال التحقيقات بكم من الصور والتسجيلات الصوتية وأهمهم صوره وهو يضع حقيبة المتفجرات

خلف أحد التماثيل في الطابق الأول من المتحف المصرى بالتحرير..

.. لم يستطع المقاومة كثيرًا وبدأ في الأعتراف بكل شيء دون أي محاولة للكذب أو الخداع..

قام فريق بتفتيش غرفته وغرفة «كاميليا» بالفندق..

تم العثور على علب عينات أدوات الصيد ومعهم علبة الشيكولات.. والتي لم يكن بها أي قطع شيكولاتة ولكن العشرات والمئات من القصاصات الورقية المكتوبة باللغة العبرية وبأقلام أحيانًا زرقاء وأحيانًا أحبار سوداء أو حمراء..

.. كانت القصاصات في حالة جيدة.. أرسلها رجال المخابرات الى القسم الفني الذى قام بتفريغها وترتيبها حسب التاريخ.. وهذة هي الخدمة التي قدمها «يوسى كاتسير» إلى رجال المخابرات أنه كان يكتب التاريخ في كل قصاصة ورقية منذ أن بدأ في كتابة المذكرات منذ اكثر من عشرين عامًا..

تم الترتيب وتفريغ محتوى كل قصاصة، ثم ترجمتها من اللغة العبرية إلى اللغة العربية وجمعها في كتاب.. أنها مذكرات «يوسى كاتسير» وعندما سألوه عن علبة الشيكولاتة أجاب.. بأنها هذه هي مذكراته والتي كان يظن الجميع أن كتابتها كانت تتم بشكل تقليدى كأى مذكرات مكتوبة في دفتر.. لا.. اننى كنت اكتب على اى ورقة أجدها أمامى.. وأضعها داخل علبة الشيكولاتة الفارغة..

تنفس رجال المخابرات الصعداء.. تمت المهمة.. الحصول على مذكرات الجاسوس «يوســـى كاتسير» والتي تحوى على كنز من المعلومات عن الجيش الإســـرائيلي وقياداته وضباطه والمشاكل التي في الجيش الإســـرائيلي والثغرات وأنواع الأسلحة ومستوى التسليح.. وأمور كثيرة أخرى عن المخابرات الإسرائيلية (الموساد) وقياداته وطرق التجنيد للعملاء المصريين والعرب.

مر وقت طويل دون اى اتصال من «يوســـى كاتسير» بقيادات الموساد.. أو «إيميليا» في أثينا.. وتسربت معلومات تفيد القبض عليـــه بالقاهرة وأنه الآن فـــي حوزة رجال المخابـــرات العامة المصرية..

استفاقت «كاميليا» لتجد حولها أخيها «نديم» والعقيد «فكرى الصباغ» ومدام «إســـعاد».... «الآن تبدأ حياتى الحقيقية».. هكذا قالت «كاميليا»..

أمر العقيـــد «فكرى الصباغ» أن يعود معهـــم «نديم» ويقيم معهم..

..... : «لا تنســـى أننى قائدك يانديم.. أيضًا أنا أبو أختك.. إذن أنا أبيك وهذه.. ماما «إســـعاد».. أمـــك.. فهى تحبك قبل أن تراك وكفاية أننى أخذت دش بارد بسببك من ماما إسعاد..»

وافـــق «نديم» على الانتقال للعيـــش معهم ومحاولة تعويض ما فاته هو وأخته «كاميليا» ثم اخبرهـــم برغبته في التوجه إلى

العجمـــى.. أصرت «كاميليا» على الذهاب معه بعد أن اســـتمعت للقصـــة كاملة منذ ان افترق عنها في بور فؤاد.. فهى متشـــوقة لرؤية «إيفا» والباشا والهانم حتى الست «علية» و «فايزة»..

وانضم إليهما في الذهاب للعجمـــى العقيد / فكرى وزوجته «إسعاد»..

أجواء أسرية رائعة.. الجميع في غاية السعادة.. وكان أكثرهم سعادة هو الباشا الذى شعر بالإطمئنان على «إيفا» والهانم.. إذا حدث له أي شـــيء فهما في أيد أمينة وخاصًة بعد أن عاد «نديم» إلى أخته ومعهما العقيد «فكرى»..

كانت «إيفا» تتحرك بين الجميع في خفة الفراشة.. فقد بدأت عهدًا جديدًا..

وفى تلك الليلة أعلنت عن حبها لنديم.

قامت المخابرات المصرية بتسريب بعض مقتطفات لوكالات الأنباء العالمية من مذكرات «يوسى كاتسير» مما أصاب إسرائيل بالجنون..

الإجتماعات تنعقـــد في كل مكان «مجلس الـــوزراء» بقيادة «جولدا مائير» واجتماعات أخرى في وزارة الدفاع برئاسة «موشى ديان» وأخرى في «الشاباك» وهو الأمن الوطنى الإسرائيلي وثالثة أو رابعة في جهاز الموساد الإسرائيلي..

الاستقالات والاقالات بالجملة.. البكاء والصراخ في كل مكان..

ضربوا ودمروا لنا الحفـــار.. والآن القبض على أهم ضباطنا «يوسى كاتسير» وقبلها الإيقاع بجميع شبكات التجسس وسقوط العملاء قبل ســـقوط أوراق الشـــجر في الخريف..وقد تهم علي الحصول علي الكاميرا الحديثة، نعم انه حقًا خريف دولة إسرائيل..

وأخيرًا.. الفضيحة العالمية التي تناقلتها جميع وسائل الإعلام العالمية..

سطور من مذكرات «يوسى كاتسير»، ان المصريين قد وصلوا إلى المذكرات قبلنا.. والآن صاحب المذكرات ملقى في ســـجونهم وبالطبع حصلوا على كل معلومة صغيرة كانت أو كبيرة منه.

أيامًا سوداء تعيشها دولة الاحتلال بعد أن تم كسر يدها وأنفها.. وفقأ عيناها.. حالات من الانتحار.. وتغيير قيادات بالكامل..

كل هذا في ظـــل احترام كبير ورعب من رجـــال المخابرات المصرية.. رجال الظل.

طلبت «كاميليا» من «نديـــم» أن يصحبها في الذهاب الى بور توفيق.. لزيارة أمها و أبيها وخالها.. حيث يرقدون في ســـلام.. زيـــارة المقابر وقراءة الفاتحة.. أمـــام المقابر.. تدعو «كاميليا» بالرحمة والمغفرة لثلاثتهم..

تبكى حزنًا عليهم ولكن أيضًا فرحًا بالانتقام لهم والإيقاع بمن تســـبب في موتهم لكن هذا لا يكفى.. هكذا قالت بصوت مسموع وهى توجه حديثها الى «نديم» الواقف الى جوارها..

«نديم» : «ماذا تقصدين..؟.. أنه الآن في قبضتنا.. في السجن وسيواجه أقصى عقوبة.. لا تقلقى..»

«كاميليا» : «كنت أتمنى قتله بنفســـى.. ساعدنى.. أريد وضع السُم له في طعامه داخل السجن..»

«نديم» : «هذا مستحيل.. نحن دولة قانون.. أنا لا أقصد انه لا يستحق.. بل يســـتحق أكثر من القتل بكثير.. وأنا شخصيًا أتمنى أن أقتله بيدى.. لكن للأســـف هو لا يساوى كل هذا الجهد.. دعى القيادة السياســـية تستفيد منه ومن وراءه اقصى استفادة افضل من ان نطعمه ونسقيه مجانًا في السجن.. وأيضًا أفضل من قتله.. قريبًا سيفرح قلبك..»

في هـــذه الأثناء كانت هناك مُباحثـــات بين الجانب المصرى والجانب الإســـرائيلي برعاية الصليب الأحمـــر في ترتيب عملية لتبادل الأسرى..

وافقت مصـــر.. لكن نقطة الخلاف أعـــداد المفرج عنهم من الأسرى من كل جانب..

مصر طلبت الأفراج عن عشرة مصريين مقابل كل إسرائيلى... أما بالنســـبة للبطة الكبيرة أو الخنزير الكبير « يوسى كاتسير» فالأفراج عنه مقابل مائتى أسير مصري في السجون الإسرائيلية وهو العدد المتبقى في السجون الإسرائيلية..

فإذا تمت المبادلة فلن يكون هناك أي سجين أو أسير مصري في السجون الإسرائيلية.. الذين تم أسرهم أثناء حرب 1967.

أعترضت إسرائيل على طلبات مصر المبالغ فيها.. لكن القيادة المصرية أصرت على طلباتها أو إلغاء عملية تبادل الأســـرى من أساسها..

وافق الجانب الإســـرائيلى.. فاليد العليـــا الآن لمصر.. هي من أهانت إسرائيل مرارًا في كل عملية مخابراتيه كان التفوق لمصر، والذل والخيبة هي من نصيب رجال الموســـاد وقيادات الجيش الاسرائيلى..

وكفى حصولنا على أحدث الكاميرات المســـتخدمة في عالم التجســـس وأيضًا أسر وأحتجاز أهم ضباط الجيش سابقًا ورجل المخابرات حاليًا.. الخنزير..والحصول علي مذكرات و بما تحوي من معلومات و أسرار، مذكرات جاسوس.

انهت «كاميليا» زيارة المقابـــر بصحبة أخيها «نديم».. وقررا الأثنان زيارة «عم حجازى» للإطمئنان عليه..

هناك في بيت حجازى.. كان يســـتمع إلـــى تفاصيل بطولة الحصول على الكاميرا الثمينة من صاحب العملية نفســـه.. من «شكرى» كانا يشـــربان الشاي ويتبادلان القصص عما حدث من بطولات في حرب الأستنزاف والذى شـــارك فيها «حجازى» مع مجموعة من الفدائيين..

كانت مفاجأة جميلة برؤية «شكرى» لـــ«كاميليا» و «نديم»..

قلبيهما يدق بســـرعة وقوة.. يتبادلان النظرات بينما الحديث دائر بين «نديم» و «حجازى»..

انطلقت الشـــرارة الأولى لســـهام حب نقى بين «شكرى» و «كاميليا» تجدد العهد دون أن ينطق أحدهما بكلمة..

جمع بينهما حب الطفولة ممزوجًا بحب الوطن والأخلاص له.. وكأنهما يتفقان على استكمال المسيرة سويًا حتى تحرير كل شبر في أرض سيناء التي عاث فيها العدو فسادًا..

عـــادا كلًا من «نديم» و «كاميليا» إلى الإســـكندرية.. الى حى العطارين..

لإستكمال الحكاوى بصحبة الأب الطيب العقيد / فكرى الصباغ والأم الحنون / «إسعاد»..

ضفاف القناة و بوساطة من الصليب الأحمر..

بدأت عملية تبادل للأســـرى جميعًا حيث انتقل جميع الأسرى المصريين من الجانب الإســـرائيلى ليتلقفهـــم الجانب المصرى بسيارات وحافلات وسيارات للإسعاف..

وانتقل جميع الأســـرى الإســـرائيليين من مصر الى الجانب الإسرائيلي في الضفة الشرقية ما عدا.. «يوسى كاتسير» كان هو آخر من يغادر وقبل أن يتحرك في الصعود على القارب الصغير بوجود مندوب الصليب الأحمر والانتقال الى الجانب الإسرائيلي..

ظهر الثلاثة.. «شكرى».. «نديم».. «كاميليا»..

تقدمت «كاميليا» من «يوسى كاتسير»

شعر هو بالرهبة حين رآها.. وتذكر كل ما حدث في اليونان..

«هل تذكر من أنا».. هكذا قالت «كاميليا»..

«يوسى» : «نعم.. انتى «كاميليا».. أثينا.. أنا «بافو» أو هكذا كنت

استخدم هذا الاسم المستعار.. اتضح لى الأمر الآن.. كم كنت مغفلًا»..

«كاميليا» : «لا.. دعنى اذكرك.. أنا الفتاة الصغيرة التي ضربتك بحجر على حاجبك الأيسر وأسالت دماؤك القذرة في بور فؤاد..

وقمت أنت بوضعها أمام جنزير دبابتك.. وضربت بمدفع دبابتك طلقة شيطانية ليتهدم البيت ويموت الأهل..»

«يوسى» : «غير معقول.. أنت.. ومنذ ذلك الوقت تلاحقيننى.. غير معقول.. لا أصدق.. أشعر بدوار.. أنا «يوسى كاتسير» يحدث لى كل هذا.. ومنك أنت..»

رفعت «كاميليا» يدها التي كانت تخفيها وراء ظهرها وهى ممسكة بحجر مدبب يشبه الحجر الذى ضربته به على حاجبه الأيسر عندما كانت في العاشرة من عمرها.. وانهالت بالحجر على الحاجب الأيمن فوق عينه.. سالت الدماء..

وهى تبكى وتضحك.. وتقول.. الآن حاجبك الأيمن كى تتذكرنى بشكل أفضل..

تدخل من حولها وهى تضحك ودفعوا «يوسى كاتسير» ودماؤه تسيل على وجهه.. إلى داخل القارب الصغير.. الذى انطلق يشق مياه القناه الى الضفة الغربية المحتلة والتي لابد وان تتحرر قريبًا وتعود الى حضن الوطن..

وفى صوت واحد قال الجميع.. «إلى الجحيم ياخنزير»

داخل القارب الصغير.. يقف «يوســـى كاتســـير» واضعًا يده على حاجبه المفتـــوح محاولًا إيقاف الدماء.. والى جواره مندوب الصليب الأحمر وأيضًا أحد الجنود الإسرائيلية.. قام «يوسى» في حركة سريعة بخطف سلاح الجندى الإسرائيلي ورفعه مع اهتزاز القارب.. ثم صوبه الى رأسه..

ضغط على الزناد.. لتنطلق رصاصة داخل رأسه.. ليسقط في القارب.. مع أصوات هي الأخيرة التي سمعتها أذنه..خنزير..

هنا ارتاح قلب «كاميليا» وشـــعر «نديم» و «شكرى» بالفخر بالخلاص ممن عاش في الأرض فسادًا..

****

عاد ثلاثتهم.. وفى صباح اليوم التالى.. اســـتيقظ الشـــعب المصـــرى بأكمله علـــى فاجعة.. حيث قامت طائرة إســـرائيلية بالأغارة على مركز الحسينية بمحافظة الشرقية.. والقوا قنابلهم

الخبيثة على مدرسة بحر البقر الإبتدائية أطفالًا صغارًا أبرياء في عُمر الزهور.. تهدمت المدرسة فوق رؤوسهم..

مات أكثر من ثلاثين.. شـــهداء عند ربهم.. وتم جرح أكثر من خمسين آخرين.. هكذا هو العدو الإسرائيلي الجبان..

لم يستطع الرد أو منازلة رجال مخابرات مصر.. فرد على كل الضربات التي وجهت له بضرب مدرسة أطفال أبرياء..

أطفالنا في الجنة وأنتم إلى زوال هكذا صرخ الشعب المصرى في صوت واحد..

أطفالنا في الجنة وأنتم إلى زوال..

ســـرح «نديم» بخياله بعد ســـماعه خبر ضرب مدرسة بحر البقر..

عاد الى الوراء اكثر من خمسة عشر عامًا.. أنها نفس المدرسة التي كان يتمنى الإلتحاق بها.. وكان يشـــاهد الأولاد والبنات وهم ذاهبون بهمه ونشاط إلى المدرسة من وراء النافذة ذات القضبان الحديدية في منزل الخالة «إعتماد» و «عم عطوة»..

ياه.. كم أحب هذه المدرسة وكانت حلما من أحلامه بالإلتحاق بها وإستكمال تعليمه..

.. يموت طلابها وطالباتها بكل دم بارد وخســـه من شياطين العدو الإسرائيلي..

هل يظنون أنهم بذلك انتقموا.. لا انهم لوثوا ودنســـوا أيديهم أكثر وأكثر.. وسيأتى اليوم قريبًا، وقريبًا جدًا لنطردهم من سيناء..

ويعيشـــون التيه الذى عاشـــوه على زمن النبى «موسى عليه السلام» طيلة أربعين عامًا..

كتب عليهم التيه وكتب عليهم ان يكونوا منبوذين.. مكروهين في كل بِقاع الأرض.. أرض الله التي لا تقبل إلا طاهرًا وتلفظ كل خسيس..

انتبه على صوت «إيفا» وهو يســـير الـــى جوارها على رمال شـــاطئ العجمى ضمها الى صدره.. ونظر الى عيناها الزرقاوان طويلًا بعيناه الزرقاوان أيضًا..

..» هل تعلمين لماذا انظر اليـــك طويلًا هكذا».. «إيفا» : «لا.. لماذا؟»

«نديم» : «كى اغســـل روحى من براءة عيناك بعد كل الشرور التي اجدها في الدنيا.. عيناك هي الحوض الطاهر الذى اســـتحم فيه كلما زادت الخسة والدناءة من حولى..

انت يا «إيفا» رمز الخير والجمال.. وهذا كل ما احتاجه في هذه الحياة.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊ ❊

قامت «كاميليا» بتوجيه الدعوة الى «لاريســـا» وأسرتها.. عم «أنطون» وطنط «نارفارا»..

لحضور حفل زفافها..

في حفل أنيق مُبهر في حديقة فيلا العجمى.. أُقيم حفل زفاف «إيفا» على «نديم» وأيضًا زفاف «شكرى» على «كاميليا»..

السعادة تعم المكان.. أدام الله السعادة على الجميع..



أعمال أخرى صدرت للكاتب و المؤلف



Facebook: https://facebook.com/marwan.monir.5
Website: www.MarwanMonir.com

- عاشقة الظلام........... رواية
- كابتن فيليبس............ رواية مترجمة
- أسرار بصريـــة....... كتاب سياسي مترجم مع نقد وتحليل
- نادي ديوارس .... رواية
- ريشة في هوا............ رواية
- قلب لا ينــــام .... رواية

